

من «شعر» الى «الناقد»: الفارق بين العلاقة والدور



يسعون إلى تحديد أدوارهم في مجلة وشعر في سلسلة من المقالات والأحاديث. منها ما كتبه أنونيس في جريدة «الحياة» عن مجلة وشعر ويوسف الخال في «أوراق من سيرة ذاتية - لغافية»، ١٩٩٢/١/٢٠، و١٩٩٢/٢/١٣ و١٩٩٢/٢/٢٧. ومنها ما كتبه أنيس الخال وشوقي أبي شقرا في «النقاد والممد: ٤٤ - شياطين فبراير ١٩٩٢» عن دور كل منهما في مجلة «شعر» عبر تاريخها المربك. ومنها ما كتبه أرملة مها بيرقدار في «النهار» (١٩٩٢/٣/١٠) معاناة أصحابها - ومنهم أنا - لتقصيرهم الكبير تجاهها لا تجاهه، والذي لا رد عليه إلا التجاهل والطمع. وحتى لا يتقل الرد من مجال التباهي إلى مجال اللفضيحة. وعلى الرغم من رخصي - كقارئ أولاً ومن ثم كشخص يتعاطى الشأن الثقافي - بكل سيرة أو شبه سيرة ذاتية أو مذكرات أو ذكريات أو أحاديث يدلي بها أي أديب حول تجربته ودوره وعلاقته مع البعض أو الكل، فإن ما يعتني هنا وبالدرجة الأولى، هو إلقاء بعض الضوء على دور شخصي لي في مجلة وشعر: حله البعض لـ «النقاد»، فكأنهم أرادوا نقل خلائات شعراء مجلة وشعر ونقل أزمها إليها، وكان «النقاد» هم المسؤولة عن غصومات شعراء الحفصيات والسنينات، لا مجلة تصدر في العشر الأخير من هذا القرن، معنية بتقاليد وقضايا السنينات.

وليس من مهني توزيع أو تكريس أدوار الآخرين في مجلة وشعر، ولا تقييمها في إطار حركة التجديد الشعري. ولا تقديم كشف حساب عن علاقتي ويوسف الخال. مهني تتحصر في تحديد دوري أنا في مجلة وشعر وعلاقتي بها، وإتبعات هذا الدور وهذه العلاقة فيما بعد على «النقاد». نتيجة هذا الخلط أعطيت دوراً في مجلة وشعر ليس صحيحاً، ولم أمارسه إطلاقاً، ولم أذيعه أبداً. إنما هو دور ليس مع مرور الأيام. زافته «النقاد» من حيث لا تدري تكريساً. أما أنا فقد كانت لي علاقة بـ «شعر» وبصاحبها يوسف الخال، إنما لم يكن لي أي دور فيها. وهناك فارق أساسي وعظيم بين العلاقة والدور. العلاقة فكانت حميمة مع يوسف الخال الشخص، ولما الدور فكان هامشياً مع «شعر» المجلة.

فلنكن اعادة كتابة الذكرة مدخلاً إلى هذا الحديث وهاجساً للكون.

□ □ □

■ منذ صدور «النقاد»، والبعض يحاول الربط بينها وبين مجلة وشعر. وبما للعلاقة الشخصية والصداقة الحميمة التي كانت تربطني بشخصها الشاعر يوسف الخال. وربما لمهرجان الشعر العربي الذي أقامه في لندن في صيف ١٩٨٧، تكريماً لذكراه وشارك فيه عشرة شعراء وحضره عدد كبير من الناس. وكان بعد ذاته نظامة لا مثيل لها للشعر والشعراء. أعلن فيها عن تأسيس جائزة باسمه، أعطيت حتى الآن لستة شعراء شيان حرب لم يسميهم إن نشرنا من قبل. وهي الجائزة الوحيدة في العالم العربي التي تمنح الشاعر على هذا الأساس. ويستمتع الجائزة للمرة الثالثة في حياة العالم الخال ١٩٩٢ لثلاثة شعراء شيان جدد ينشرون للمرة الأولى. وربما أيضاً لإهتمام «النقاد» الدائم بمالك يوسف الخال وترثاه وولائها لدوره الريادي وتكريها لصداقة العظيمة.

والرابط بين «النقاد» وشعر، وبعضه حسن التية ينطلق من دور مجلة وشعر الثقافي الريادي والطليعي والتقدمي في الحفصيات والسنينات. وبعضه سيئ التية يعتمد الخلط، ويتعلق من السمعة السياسية الغربية واليمنية التي كانت لأشخاص مجلة وشعر من وجهة نظر جموعة من «المصريين القوميين» و«الاشتراكيين الماركسيين» وفلول اليساريين، الذين عانوها لأسباب لا علاقة لها بالاعروة ولا اليسار ولا بالوطنية. كما لا علاقة لها بالآداب ولا بالشعر ولا بالحدثة ولا بالتجديد. إنما هكذا كانت محاور الخلافات السياسية والثقافية في الحفصيات والسنينات من هذا القرن. فالحركة الشعرية كانت غارقة في الابداليولوجية وتقاليد الأنظمة، مهووسة بالأفكار المتاهضة للاستعمار، وصرخة بالفضايا القومية التي كانت تجسدها في حته قضيّة فلسطين وقضيّة استقلال الجزائر.

ولذا كان تاريخنا السياسي ما زال مسكوناً إلى اليوم بواجس حروب الأسس، وما زال يفرغ عيار معارك المستحيل بأسلحة الماضي، فإن تاريخنا الثقافي ما زال أيضاً ليسر صراعات الماضي القريب. وخاصة أن بعض أشخاصه، وقد تلبث بهم الواقع، مازالوا أحياء يرددون، يملكون ملكاً نفسى انتفضي، فلا يصدرون ولا يملكون. نتيجة لذلك لفت نظري في الآونة الأخيرة مع مرور الذكرى السادسة لغرب يوسف الخال، أن عدداً من شعراء مجلة وشعر التاريخيين، قد أعلنوا

الأيام. وقويت هذه الصلات، وتززت بمجموعة من الصداقات بيني وبينهم كلما ازداد هجوم «العربيين» و«الشعرانيين» و«الشعبيين» وأماهم عليهم، وكالآلة الانجذاب لمهم «العائلة» للشعر و«الأميرالية». وكنت أشعر بحكم نشائي وثقافتني الليبرالية، ومدى الظلم الذي يمين بجسامة مجلة شعر من جراء حملات الاتهام والتجريح التي كانوا يتعرضون لها. وشعرت أن وجودي بينهم وصلاحي معهم، وأنا سياسياً من أناء، قد يشكل معنى من معاني التضامن الخفي أو للمعلن.

وكان «خمس شعر» مفتوحاً للجميع، للشعراء وغير الشعراء، فيحضره عدد كبير من الأدياء ويتم فيه مناقشات وقرارات شعرية أو تبادلية وجهات النظر حيال التجديد، أو الأشكال الشعرية التي تعمل على أساسها المجلة. ومرت سنوات عدة، لعلها أربع أو خمس، قبل أن يتجه «الحميس» إلى الجلسات المغلقة التي انحصرت على جماعة المجلة وبعض المدعوين والشعراء العرب الزائرين. وبعدما أصبحت الاجتماعات في نادي غربي الجامعة الأميركية في بيروت، ولكن في أكثر المرات كانت اللقاءات في بيت يوسف الحال.

كنت آتي إلى «الحميس» والزائر في الصيف، مسلحاً بالرسائل التي كنت أكتبها بين الحين والآخر للمجلة في الحياة الشعرية التي أنشأتها والشعر الانتكاري الجديد الصادر في ذلك الحين. وكان صلاحي الأخير، يتحكم ثقافتني الانكلساسكسوتية وتواجدي في كيمبرج، أطلعني على أريشولد ماكليس الذي قدم العدد الأول من شعره، وعملت في «س. بي. اليرت». وعمل عزرا باوند وعمل بيتس وعمل ويلت و«تيتان» وأميل ديكتسون وغيرهم من شعراء الإنكليزية، الذين كان يترجمهم ويشرتهم يوسف الحال. كل ذلك وسط جوشه ثقافة الفرائديونية، مما دفع من فينت عليه، فصار يدعوني إلى «الحميس» كلما وصلت إلى بيروت، حتى استقرت فيها نهائيًا في صيف ١٩٦١. واستمر «خمس شعر» حوالي ثلثي سنوات، طوال زمن صدور المجلة الأولى بين ١٩٥٧ و ١٩٦١. وكان جمعاً نادراً لم يتكرر، وإن قلّد.

وإن لم يكن في مرحلة الاصدار الأول عضواً في هيئة تحرير المجلة. ولا متعلقاً على مؤداه، كذلك لم أكن طرفاً ولا مشاركاً في النقاشات التي كانت تدور في «الحميس» حول «قصيدة الشعر» أو «الشعر الترميزي»، أو «النقد البنيوي» أو «اختراق جدار اللغة» أو «تأسيس كتابة جديدة» أو «القصيدة المدورة» أو ترجمة أوديس لفصيدة الشاعر الفرنسي سان جون بيرس «ضحية هي المراكبة». كذلك لم أكن طرفاً في تحرير الخلاف الذي استمر فيها بعد فينت شوقي أبي شقرا وأوديس، ولا في الصراع الذي ورثه انسي الحاج بعد ذلك. كانت هومي الشخصية والمهنية، هوميًا سياسية وصحافية. موضوع الشعر واللغة والترجمات كان موضوعاً «يطرب» أكثر مما كان موضوعاً يعنى أو يبرز أو حتى يثيرني. كنت مستمعاً وجليسا سدياً في «خمس شعر»، ولم أكن مشاركاً في رأي له أي وزن أو قيمة بعد عذّل من سير النقاش في هذه الأمسية أو تلك.

كنت في صف الكومبارس وأمامي صف الوديس. كنت في الصف، وكان هناك في البكون: يوسف الحال وأوديس ويدر شاعر السياب وجبرا ابراهيم جبرا وتوفيق صايغ وسلمى الحضره الجبرسي وخالدة سعيد وحليم بركات وتديم نعيمة وجوزج صيدح وأنطوان غطاس كرم

لا أذكر البداية تماماً، إلا أن على الأغلب أن حلهم بركات هو الذي عرفني على يوسف الحال. كان ذلك في صيف ١٩٥٦، والامتدادات لاصدار مجلة وشعر ومزالمت بيني أخذ ورد. وكنت أعرف حلهم بركات قبل ذلك عندما كان يدرس في مدرسة برمانا الحسنية حيث كنت تلميذاً. وكنت قد تركت المدرسة في صيف ١٩٥٦، شاباً في الثالثة عشرة من عمري، وسافرت في ذلك العام إلى انكلترا للانتماء بالجامعة هناك. في الوقت الذي كان هو قد ترك التدريس في برمانا وجاء إلى بيروت. وكانت صداقة قد نمت بيني وبين حلهم بركات خلال سنوات برمانا، التي أصدر خلالها مجموعته القصصية الأولى «الصمت والمطر» عن دار مجلة «شعر»، وكتبت عنها أول مقال في في النقد الأدبي نشرته مجلة «الأديب» في عدد أيار ١٩٥٨. تسلمت العدد الأول من شعره في شباط ١٩٥٧ وأنا في كيمبرج بانكلترا. ولا أذكر عدد المرات التي التقيت فيها يوسف الحال ذلك الصيف قبل صدور مجلة شعر، إلا أني أذكر قلماً أنه عندما عرف يسري إلى انكلترا طلب مني أن أقوم بكتابة رسالة من الحياة الثقافية بريطانية للمجلة، واعتبرت هذا التكليف بمثابة مفتاح لدخول ملكوت الأديب. لذلك عندما وصل إلى العدد الأول منها، كان حدثاً عازماً بالنسبة لي، إذ تجرّدت أمامي المجلة التي سأكتب فيها. وبعثت برسالي الأولى إلى وشعره نشرت في العدد السادس (ربيع ١٩٥٨)، أي بعد صدور المجلة بأكبر من سنة.

وهكذا عندما صدرت مجلة شعر في شتاء ١٩٥٧، كنت تلميذاً في كيمبرج، وكنت شاباً مهووساً بملكاتية الشعر والأدب والفنون، ورافعاً سياسياً غير حزبي، «ناسري» والسياسة والشراف والجمال، «نقدية» الفكر، «ليبرالي» الشريعة، «ديمقراطي» التوجه. كان العصر عصر جمال صيدح الشعر، وعصر تأميم اللغة، وعصر عبارة الأميركية والاستعمار، وعصر الشعر والقومية العربية والأشراكية والوحدة. وكنت من جبل ذلك العصر.

في كيمبرج تعرفت بالشاعر توفيق ضايغ، الذي كان يدرس في جامعته، قبل أن ينتقل فيها بعد إلى التدريس بجامعة لندن، وتعرفت بالشاعر خليل حاوي، الذي كان يمدّ أطروحة الدكتوراه عن جبران خليل جبران، وهناك تعرفت بين ١٩٥٦ و ١٩٦١، على مجموعة من الأدياء، الذين كانوا يدرسون الجملة أو اللغوية، إما للدراسة، ولما للبحث، أو للقاء المحاضرات، أو لزيارته بعضهم البعض. الالامعة طويلة والذاكرة قصيرة.

قبلها وأثناءها، كنت قد تعرفت في بيروت عندما كنت أزوجها صيف كل عام، في صالون يوسف الحال على حشد كبير من أدياء وكتاب وشعراء الأس واليوم، من قد تكون غدت بهم الذاكرة بعد أكثر من ثلاثين سنة. وعندما كنت أعود إلى بيروت من كيمبرج في العمل القصصية، كنت حريصاً على تلبية دعوة يوسف الحال بحضور «خمس شعر» الذي كان يعقد مساء كل يوم خميس في فندق «بلاراه» الحمراء، قبل أن ينتقل فيها بعد إلى منزل يوسف الحال.

وعلى الرغم من كوني شاباً مسيئاً بأفهام معين، كانت صلاتي ومعاري وصداقاتي كلها في الوسط الأدبي، ومن الفنانين والشعراء الذين كان معظمهم يتسمي بتفكيره السياسي إلى اتجاه مختلف كلياً عن الناهي، وكان ذلك شيئاً طبيعياً، من منظوري على الأقل، في تلك



ويلد الحيدري وهشام شرابي ومجاد فخري ونذير العظمة وشوقي أبي شترا وأسمي الحناج وفؤاد دقة وعبد المفاط وعصام عفاط وجورج غانم وأسمي زروق وجورج شحادة ونزار قباني ويوسف غصوب وصلاح سنيبة وطلال حيدر وقدي طوقان وإبراهيم شكرالله وفؤاد الحشن ونزارك المللكة وفيرهم، عن كانوا يحضرون كمشاركين أو زائرين. أكثرهم كان يكرهين ساء، ومعظمهم كان يملك كفايات أو أملكها، وأقلهم كان من ثقافة وسياسة مغارة للثقافي وسياسي. كنت أجلس في صالون «خمس» هذا المسرح العظيم وأمامي هؤلاء النجوم الذين يصنعون الشعر ويغيرون من مسار تاريخه.

صحيح أنني كنت كوسبريس، إني كنت كوسبريس قريباً من السلطة. ولم تكن السلطة سوى يوسف الحلال.

كان يوسف الحلال شخصاً رائعاً، طريفاً، عبقاً للفن وللثورة والتغيير، له أراء في منتهى العطفة، كانت تبهري بالجليل الذي فيها، وتستوحي بجرأتها. كان صانعاً ومؤسساً ومتواضعاً إلى أبعد الحدود. للسلطة ذات أهمية - وخاصة مع الشعر - لا يفرط فيها بسهولة، عضفاً يحتمي دائماً بالآخرين، كان مهووساً بموضوع اللغة العربية، يدور على التخلي عن الأعراب وحركاته، لكنه يخالف الدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتيني أو الكتابة بالهجاء الدارجة أو العامة، كان يفرح بالشباب والتجارب الواعدة. كان شاعراً وشاعراً وصاحب مزاج وصاحب كلاس، يقدّر النكتة وإن كان راوياً سيئاً لها. وعلى الرغم من

الفجوة العميقة التي تفصل بين خلفيته الدينية السليمة وسخرته الدائمة من العرب، وبسبب السوءية القوية الاجتماعية السليمة، البنائية الصيقة لها بعد وفي سنواته الأخيرة، وبين خلفيته العربية القوية وبسبب الناصرة - الاشتراكية في أحيته، كنت أشعر بقلبي نحوه. كان لا يعرف التعصب السياسي أو التشبع العائلي. وكان أكثر ما يكون تسامحاً في شؤون الدين والدنيا. وكان يشجع في دألي عنده تقاليف الانكسار كسورية وتربيتي البروتستانتية، حيث كنت خريج مدرسة برمانا العالية التي كانت تديرها في تلك الأيام جمعية «الكوكيز» الانكليزية. كان بطريقاً حقيقياً للشعر، يحيط به مجموعة من الشعراء الناصريين، يرفعهم رتبة هاراً، ويتزلم رتبة ليلاً. كان واسع الصدر، كبير القلب. وكنت أحبه.

وعلى الرغم من هوسه بالشعر، ومن مداراة يوسف الحلال في، فقد رفض أن ينشر في «صوت الآخرين»، أول ديوان شعر في، في سلسلة منشورات مجلة شعر، في صيف ١٩٦١، لأنه لم يكن في المستوى الشعري الذي يريده، ولم يكن مقتنعاً به. وكان جبرا إبراهيم جبرا! ألقى من اقتنع بي كشاعر، وقدم لديوان بدراسة بعنوان «زخارف اليب» المصلا. لكن هذا لم يثن يوسف الحلال عن نشره. وأذكر يوم ذاك أنه أخذ على خاطري، وكان عمري يومئذ ٢٤ سنة، فحملته إلى بيروت وأخذت من «المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر» في بيروت مصاحبا فيكتور غريب. وهكذا أكد يوسف الحلال بأنني لست من شعراء مجلة شعر، وعندما صدر «صوت الآخرين» رفض أن يكتب عنه مجلة شعر، إلا أنه في الوقت نفسه خصص «خمساً» بكامله لمناقشته، نشرت مقالاته حرة «البار» في حبه.

كانت هذه كل علاقتي بمجلة «شعر» حتى توقفتها الأول في صيف - خريف ١٩٦٦.



للك، وأمانة للتاريخ أقول اليوم التي كنت على هامش شعره ولم يكن في أي دور إطلاقاً في المجلة، حتى في مرحلة الإصدار الثاني (شباط أربيع ١٩٦٧ - إلى خريف ١٩٧٠). وبين كنت في عداد هيئة تحريرها لم يكن في أي رأي في أعضائها التي صدرت. كان يوسف الحلال صاحب القرار الأول والآخر في الذي ينشر أو لا ينشر فيها، كأي رئيس تحرير حقيقي. ولا أذكر لمأداً كان حسيباً أي شعراً أو أنسي الحلاج قد مارسا أدوارهما التي مارسها في حياة شعره الأولى. خلال هذه الفترة كتبت فيها مجموعة مقالات نقدية ومراجعات لكتب. ونشر في يوسف الحلال قصيدة أو قصيدتين تشجيعاً. وكنت في هذه المرحلة معارضاً لإصدارها مرة ثانية من «دار البار للنشر»، مقتنعا بأن الجلات التاريخية لا تقوت إلا كالاشجار واقفة، وأن لا قيامه ثانية لها منها لتفعل أصحابها أحياء عفاطها وهي رميم.

وسايرت يوسف الحلال في عتاده لإصدارها ثانية، وخاصة أنني كنت أعمل في «النبارة الجريدة»، وكان هو يعمل في دار النشر، وأراؤني أن أكون قريباً منه. وصديق ظني وتوقفت لشعره بعد ٤٤ عدداً على اعتماد إحدى عشرة سنة في خريف ١٩٧٠، بعد أن باع نصف امتيازها لدار «النبارة» عند إصدارها. وفقد الصف الأخير عند توقفيها. لم يكن لي فيها سوى دور الصديق ليوسف الحلال ودور رفيق الدرب المتفقد لشعره بجنته.



يقى دور مجلة «شعر» في الثقافة العربية، وهو في رأيي دور مبالغ فيه. دور اعترافهم أن كانوا خارج مجلة «شعر». ودور عززه أعدادها لكتبت «دومهم» ودور مهنه الجليل التي لم يعاصرها. دور أصنعت لها في عصر حيث لم أتأثر ثقافة كثيرة.

كانت «شعر» مجلة فضيلة تصغر أربع مرات في السنة، مؤلفة من مجموعة من الشعراء والفنانين والأدباء للتزوين المنفتحين على الأدباء العربية، وعلى الشعر الفرنسي تحديداً، يجمعون يومياً ويلتقون معاً كل خمس ويلقون عصبة مستترة من المثقفين. كانت مجلة نصوص شعرية وترجمات وكتابات في نقد الشعر وتعرفه.

كانت «شعر» مجلة رائدة في عملية لفت الانتباه إلى حركة الشعر الحديث في العالم، عولمة أن تكون مخالفة للساند الثقافي والسياسي في تلك الأيام، الذي كان متعلقاً ومعصباً ويحكموا بالقرارات التقليدية التي كانت تسمى «عربية» أو «ماركسية» أو «اشتراكية» أو «فوقية عربية». كان «المعارضة» مجلة وشعره المتلون بأصباح حمر. الفصولات أسرى «دوفا» تيارات عصرهم. بينا كانت شلة وشعره لبيانية، غريبة الاتجاه، مغارة في بنجها عن الجديد، متفتحة على ذلك العصر، في وقت كان الانغلاق هو سوسة التفرق المعادي لها.

ومع نمو حركة الشعر الحديث وتكاثر الشعراء الجدد. أصنعت مجلة «شعر» - وهي في رأيي ظاهرة عادية جداً - هالة - لم تكن لها، ولا اعتقد أن مؤسسا طبع اليها أو أرادها. إني أراؤها شعراء الحداثة الجدد لتكون لهم «مرجعية» يتخلطون عليها أو يتفوقون حولها. مع انتشار عصر الظلمات ومرور السنوات، وبعد هدوء العواصف من حولها، أصبحت «شعر» تزداد وسط مجاليها من الجلات العربية، المجلة الأكثر شياء بمجدة القارئة بين جلات الأمم ومجلات اليوم. فقد كان لها هذا الومع في عصر كانت الوحدانية السياسية والانزلام



أول البحر

خالد جابر يوسف

عَرَى أَنِّي بِبَلَاغَةِ الْبَلِيلِ
وَأَنَا أَتَمُوجُ عِبْرَ مَسَافَةِ شَفَاقَةٍ تَشْبِهُ الطَّبِيعَةَ
حَتَّى نَسِيتُ أَنَّ حَجَرِي تَصْدَأُ
وَجَسَدِي يَنْكَمِشُ كُلَّمَا تَمَدَّدَ الْوَقْتُ
يَا رَائِيهِ الَّتِي تَحْفَظُ فِي الْأَعَالِي،
ثُمَّ دَيْبِ يَسْلُقُ أَكَاذَ الْمُسِّ . .
كَأَنَّكَ صُورَةُ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ الْجَفَاءُ الَّذِي
يُطَارِقُهَا .

حِينَ وَقَفْتُ أَمَامَ الْجَبَلِ، وَرَأَيْتُ الدِّينَامِيْتَ،
شَمَمْتُ رَاحَةَ الشَّيْطَانِ الْإِنْسَانِي فِي صُورَتِهِ
الْآخِرَةِ،
لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى أَحَدٍ
حِينَ لَوَّحْتُ لِلْمُهَاجِرِ الْمُتَعَمَّنِ وَأَنَا أَسْلُقُ الرِّكَامَ
كَأَنَّهُ عَمُودٌ مِنَ السَّعَادَةِ يَنْهَضُ مَعِيَ عَمُودُ دُخَانٍ
يَتَصَاعَدُ

هَذَا بَصَقْتُ بِبَلَاغِي إِلَى الْقَعْرِ . .
بِالزَّبِينِ كُنْتُ أَحْرَرُ أَنْغَامَهَا الْمُتَشَابِكَةِ،
فِي يَدَي تَأْجُهَا، وَهِيَ الْمَرَأَةُ فِي الْأَعَالِي . .
يَنْحَسِرُ جَلِيدُهَا عَنْ دَمِيَّةٍ مُلَوَّنَةٍ وَخَفَافَاتٍ ثَقِيلَةٍ
تَعْبِرُ الذَّاكِرَةَ

لَمْ أَعُدْ إِلَى مُفْتَحِ الْأَسْئَلَةِ؟
مَازِلَ أَلْ بِمَقْدُورِي أَنَّ أَقْفَ عِنْدَ أَوَّلِ الْبَحْرِ؛
أَقُولُ لِلْمَوْجَةِ: اسْتَقْبِمِي، أَيُّهَا الْمَوْجَةُ؛

وَلِلْمَرْكَبِ: اسْتَقْبِمِ،
الصَّخْرَةَ تَحْتَضِنُ الْعَجْزَةَ . .
انظُرُوا كَيْفَ تَنْزِعُ مِنْ يَبُوسَةٍ تَارِيخِيهَا
وَتَفْضَحُ الْمَسَاحِينَ الَّتِي لَوَّثَتْ بِشَرَّتِهَا الدِّكْنَاءَ . . □



(٩) خالد جابر يوسف شاعر من العراق، فاز بجائزة يوسف الجبل للشعر عام ١٩٨٨، من مجموعة القصصية «جسداً من اللحم» الصادرة عن «رواق الريس» للكتاب والشعر . لندن.

التقائي ذو البعد السياسي هما التمثيلين السائدتين. فحفظت «شعر» تعددية الألوان في الثقافة والأدب والشعر، عل الرغم من أنها كانت هي نفسها مصابة بمعنى الأوان معين تنعكس على الكثير من مواقفها. هذا كل ما كان بيني وبين مجلة «شعر» الذي يعني الناس، أما ما كان بيني وبين يوسف الجبل، فلا يعني أحداً إلا أنا وهو.

□ □ □

ومن محاولة الربط بين «النقاد» و«شعر»، إلى محاولة القول إن «النقاد» هي امتداد لمجلة «شعر»، واستطردت لمجلة «حوار» التي أصدرها الشاعر توفيق صايغ (١٩٦٢-١٩٦٧)، من الديهي هنا التأكيد بأن «النقاد» ليست بأي شكل من الأشكال امتداداً لأي من المجلتين المذكورتين. الرابط الوحيد بين «النقاد» من جهة، و«شعر» و«حوار» من جهة ثالثة، هو صداقتي الشخصية ليوسف الجبل وتوفيق صايغ وصلي التاريخية بهما. مجلة «النقاد» خلفت لزمان وأناس مختلفين وأكابر وظروف مختلفة. المجلات لا تزني أحوار بعضها البعض. هذه المقولات يريدونها الذين يريدون تبرير أوهام لم تنته لديهم بعد.

ربما تكون «شعر» قد تركت بصماتها على مجلة «مواقف»، لأن أدونيس كان شركاً في «شعر». والعلاقة بين أدونيس والجبل تختلف جذرياً وكلياً عن العلاقة بيني وبين الجبل، فلا يصح أن «شعر» على «النقاد»، ولا سمة مشتركة، ولا أوجه شبه بين المجلتين. ثم إن «شعر» حركة أدبية كانت أكثر استجابة وفاعلية. و«حوار» لم تكن حركة أدبية إطلاقاً. بيتاً «النقاد» مجموعة متناقضات، وهذه ربما ميزتها. فيها ليبرالية واتساع أفق ديمقراطية وشكاسة. ربما لا يجعلها يوسف الجبل في «شعر» ولا توفيق صايغ في «حوار». إن الجبل الربط ازداد مع تأسيس جاترة الشعر وأصداري أعمال يوسف الجبل وأعمال توفيق صايغ. ولم يكن دافعي لذلك سوى محاولة وفاء للمشرة والصداقة وتكريماً للأدوار.

و«النقاد» ليست سوى اتجاه أدبي في إطار محاولة شخصية. محاولة بمجموعة كتاب التلوا حولاً طامعين إلى تصحيح مسار تطور الحالة الفكرية والثقافية في العالم العربي. وهي محاولة تقصص تألياً لدى قدرتنا ونعمتنا وإمكاناتنا والظروف التي تحيطنا. وليس في «النقاد» مصلح ثقافي أو داهية ثقافي. «النقاد» مجموعة كتاب تجمعهم الحرية. وليس هناك أغراء أو حوافز في «النقاد» سوى الحرية للتاحة فيها. وكمن من كاتب كتب أو ساهم في «النقاد» تورط من جراء ذلك. لذلك أقول إن «النقاد» هي استثناء القاعدة الثقافية للتيعة اليوم. و«النقاد» مجلة غير مدجنة حتى أشعار آخر وعندما أصبح تصحيح شيئاً آخر. وهي مفتوحة لأصداقها وأعدائها على الدوام.

وأرد أن أضيف أن مهمتنا في «النقاد» ليست رسولية أبداً. الناس وضعتنا في هذه الصورة. نحن دعاة تغيير. نحن «دور بين عيان». شعبة صغيرة في غلام كثيف. مجلة عمرها أربع سنوات لا تدخل إلا إلى خمسة ألاف عربية ويمكن أقل وفي شكل متقطع. وكان الرقابة العربية أعطتنا حجباً أكبر مما نستحق، وتحاكم الكل من خلالها. ولكن ما هي «النقاد» تحديداً؟ ماذا تختلف عن غيرها من المجلات الثقافية التي سبقها والمجلات التي عاصرتها؟

«النقاد» في عصر الحريات هي مجلة بديعية، ولكنها في عصر الظلمات هي مجلة مضنية. □

لا أنادي إلا هذه اللحظة

أنسى الحاح

الرغبة. أقصد لحظة الإنعصار من الحب حتى الوقوع من كل
عروشنا المستعمرة على أرض الإتهاب الكئي.

أقصد لحظة الانفصال عن كل ذات فبنا غير ذات التاهي
حيًا، عبادة.

لحظة التبحر في سياه الاشرار والانحلال في الشفافية.
الانحلال.

والانحلال من عقدة كل جذع، من جذع كل شجرة، من
أي انشاء كان،

والسباحة في سلام سكران بلا أي هدف، بلا أي حساب
إلا المزيد من نهب الأبدية في هنية، ويتدفق شعوري ولا
شعوري في حجم نجوم تتدحرج.

ماء الناييب، هنا.
إتيناقه، شلاله، ومشموره.

ثم تحتل لحظة الميام حيًا بلحظة الأوج الجسي، ولحظة
وهب الذات بلحظة أخذ الآخر.

كما تحتل لحظة الركوي بلحظة الجنون ولحظة الحضور
الأكر بلحظة التياب الأكر.

ولحظة الحنان اللاهائي بلحظة الشراة اللاهائية.
ولحظة الصمت المطبق بلحظة تفجر كل سدود الهذيان
الباطن.

لأهيا في كلمة، لحظة القعة في الحب.
ولا حياة للشعر إلا بها.

ولا حياة إلا بها.

ماء الناييب هنا.

الناييب التي لا تبعد عنك غير مسافة التوغل في ذاتك،
تحت أعصان التظاهر وخشب القسوة وحجارة الانتفاعية.

لحظة تحيّنات النعمة

حيث يتلاشى عطول الذكريات مع وصول الومضات عن
حياتنا المقبلة.

لحظة الولادة من جديد

لحظة لقاء الجسر بين براعة طفولتنا وخلاصة حكمة
العصور

لحظة الولادة من جديد من قاع هذا الاستسلام الإخي.

ولا تعود نرى شيئًا، فما من حاجة إلى النظر
ولا يعود شيء بخلاف بل عيوننا، فما من حاجة إلى النظر.

■ منذ ما قبل عهدي بالكتابة كنت دائماً أتحبها ذويان حب.
ذويان الكاتب في لحظة حب تُعائنه بوحدة الوجود، أو
بوحدة شخص يحبه.

وقد عرفت الكراهية والغضب والنقمة، وصحوت من
أحلام على صدمات، ومررت بحالات من الانزعاج اللذيق
والعزلة الوحشة، ونسجت العديد من أحلام التائر العماز،
وغفرت بعض الليالي خالياً من كل شفقة إلا شفتي على
نفسي.

وانعجحت كليات في بياه الأناية، واحتوت بكلم الضعيفة
ومع هذا لم أستطع، رغم أني حاولت مرات، أن أتغلب على
تلك اللحظة.

لم أستطع أن أتغلب على «ضعف» الاستسلام في الحب
والذويان في لحظة الحامسة.

وعندما أراجع اليوم - وقبلها أفعّل - كتابات تلك الضعائين
يتبين لي أنها لم تكن سوى فراغات انتقالية بين قدر حيي وآخره
بين لحظة ذويان ولحظة. فجوات، جراحات، ارتطامات بواقع
معاكس للحب، بعالم سميك، لا يرد الجواب.

أوقات ضائعة بين لحظة ولحظة.

لحظة الانحلال في لحظة: انحلال الوعي التفعي لمصلحة
الوعي المقهور، لمصلحة الوعي المتصالح مع الكون تحت
ضغط سحر الحب. لحظة العفران الأقصى، لحظة انحلال
كل غرائز الموت في دوامة الرغبة وغريزة استعادة عشية الحياة
الأبدية.

أحاول الآن أن أكتب عنك أيها اللحظة دون أن أسيء إلى
حيثياتك. فما أبتغض ضوضاء الكلمات أمام روعة صمتك.
لا أقصد لحظة انفجار الشوشة ولا لحظات تجسّع غيوم



وكيفاً قَلَبْتُ النظر حوالى هذه اللحظة، وفي معانيها
ونسائجها، ما وجدتُ مفراً من استتاج بسيط يتكرر قوله
عندي: الحب هو الشعر. أو الشعر هو الحب، لا فرق. لا
شعر بلا حب. ويتضمن هذا شعر الرؤيا، واللغة، والمرض،
والكراهية، والوطن، والصوفية، كما يتضمن شعر الغرام. لا
شعر بلا حب. الحب هو الشعر.

الحب العاطفي - الجنسي ... الحب الغامض، الموحى
برسائل الفذرة، الباعث بإشارات غيبية، والحب «الزمني»،
البسيط، المرسل نظرات العيون وليس الأيدي ومعانقة
الأجساد. الحب المصعد، والحب المارزس. الحب «الواقعي»،
والحب «الأساطير». فهو دائماً نقى، أبيض أكان أم أحر أم
أسود.

الشعر هو الحب. فكيف يكون شعراً ما لم يكن، في مصدره
وفي ماله، حباً؟ وكيف يكون حباً ما لم يكن غنياً بترك
اللحظات الذريابية؟

ليس شرطاً أن تدوب مباشرة في الآخر.
تستطيع أن تدوب في شيء يربطك إلى الآخر.

وكما أن الحب احتراق أو عاطفة مهذبة، كذلك سبب
الحب، أي الجسمال، هو حياة ملتهبة وليس شهيداً. إنه
الضمد، بل الاشتراق الزمني مضراً وجيب الاحتفال بما يشبه
القلع في قلب الكون بأسره هنا، بين جوانحك.
الجسمال هو هذا الخفقان الأرضي أمه، هذا الاضطراب،
الشديد الذي يدمر فيك نواة كل كذب ولا يدع قشرة إلا
يتزعزعا، ملقياً بك بين مطرقة الشهوة وسندان الحسرة.
الجسمال هو شهيدك أنت أمه، أيها المأخوذ، هو شهيدك
أنت معه، داخله، داخلك وقد أصبح فيك. الجسمال أيها
المسكون ليس شهيداً بل هو الحب.

فؤار اللحظة.

الوقوف من شاطئ البؤس في اتجاه الغور الفردوسي
السحيق.

الدوار المتقن

الموعد المثلث مع السعادة.

بل السعادة هنا، مهما شتمنا.

هنا، وهناك أيضاً، أين التعارض؟

فتناك هو هنا في ما بعد.

وفي ما قبل، دون شك.

لا أنادي إلا هذه اللحظة.



... ولا مفتر
من استتاج
بسيط: الحب
هو الشعر

لا أتوق غيرها.

لن أبعد النفس في البحث عن حل آخر لما لا حل له.

لا أقرأ ما ليس بي.

لا أحب أحداً لا يبارسها، لا يجعل إليها، لا يسيبها.

لا أفكر إلا فيك لا أعيش إلا من أجلك أيها التفوق في

الذويان.

يا سباق رمي الذات في وهج الاقتتان، في منحدر التوله،

على بلاط عبادة الجلال.

كل شقائي هو أن أرضى، أحياناً، أن أبعد عنك أكثر مما

أريد أيها اللحظة.

وما أنا بعيداً عنك بأكثر من حطام يستغرب ماذا يفعل هنا،

ويضال كيف ما زالت هذه الأرض تتحمل الحياة والاحياء.

على بركات اللاوعي، تحت رحمة التخيل الطليق، لا

أحقق سوى رغباتي. أي منحة أكرم؟

وأقول «سقوطه» و«انحداره» وتحليق في اتجاه الأسفل،

ولكن، عجباً، لا أشعر، خلال هذا السقوط، أثناءك أيها

اللحظة المقدسة، بأي «سقوط». أشعر أن أتمتع، أتوغل،

أتمتع، أصعد، أرى... أرى ما ينبغي عنى القديمتين، وما

ينبغي عداة الحياة في وما يلقي كل فكر الاحباط والخوف.

وأخير ما يهتفي بكل ما كان مغلقاً في وجهي.

تعتني أكثر مما تعتني أيها اللحظة. بدونك لا معنى لك

أيها العالم، ولا كلام بيننا.

ومهما استنقرت في هذا الفسوس لا أغرق فيه حتى

الفقيدان. لا أختفي مهما ابتعدت. أرجوك أيها اللحظة

للمقدسة لا تكتفي لأي أنظف بالكتابة عن بعض صفاتك

فأقول، مثلاً، أنك، بذل أن تعطل الوعي تزيديته، وبدل

التفني المظنون في حالات الشوة هذه، تعطين قلبي وفكري

وسعدي وروحي أجسامها الخارجة من الأسم، أحجامها

الكبرى، الأشد أصالة في نورها من الشمس في نورها، وبذل

التواري والاحياء اللذين يتهمك بها كارهو كل عطاء، تعطين

الداخل فيك حظاً أن يشهد ذاته، أخيراً، بعين الراي، وأن

تعلمت جبال المرح وهو قادر فوقها قدرة إلى تلعب حوله الرياح

وهو يلعب بالحياة والموت وما يتدحما.

أنت ظهوري أيها اللحظة.

وكلما ذهب عبك أمسكت الكأس المقفودة وشربت منها

العصا الأبدية.

أنت يدي الممدودتان إلى الكون

والكون يسمعي ويعطيني يديه. □



الشاعر والمهرج جان

يحيى جابر

وقد انتقلت لحظة وقوعها من يده، وانتشرت في أرض المطار فبعثرت
دواوين البحر وروپات المني، مع كيس البزورات الذي تفرق تحت
أرجل المسافرين.

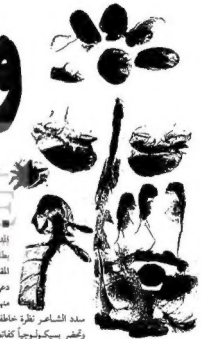
أمر صاحب البيلة الكحلية حلاً بأن يلتم حفية الشاعر، ثم نتع
منه جواز سفره، وأعطاه بسرعة لضابط الجوازات ليختم تأشيرة
الدخول، وشاعرت ينف خلفه كزقارة، ولم ينته إلى الصفوف الطويلة
من المسافرين المتسطين في طوابير يجدها الجهمري بنظرات
جاسوسية. فكل المسافرين القادمين اعتبروا عملاء أو مهربين، ولم
يكن يمنة أصلاً هذا المشهد الخرافي، حتى أنه أخذ يبالغ بوصف
نظافة المطار وسعة قاعاته، وروعة العاصمة من فوق ثم يهذج: منذ
زمن وأنا أحلم بزيارة هذه العاصمة المشددة. فأجابه الجهمري
مبتهجاً: لم تر شيئاً بعد وحاول الشاعر أن يرد عليه، لكن الحبال لكزه
من الخلف هائساً: وسيدى حنالك ثقيلة جداً. فعبس الشاعر
قائلاً: انها الأشعار... يا ولد.

كان المسافرون مع الشاعر على الطائرة ينظرون إليه. بحسد، وقد
تخلص من نظرة المرأة الحامل التي كان يماررها في الطائرة... ما يعبه
فقط أن يتقطع هذا الحايك المعدي برفقة الرجل المسؤول عنه، المسؤول
صاحب البيلة الكحلية والنظارات السوداء. والمسلم الذي لا تلمع
من فوهة وردة.

ما تم ابتكاره في الفكر العربي الحديث، كتابة عن ثقافة جديدة،
هي ثقافة المطارات، ثقافة الاحكام والتأشيرات، ثقافة نفاثة أسرع من

في الطائرة التي أقلت من يده، كان الشاعر
البدوي إلى مهرجان الشيعي العربي، بعيد فراقه
بطاقة الدعوة على المرأة الحامل التي تهاوره في
المقعد، ويعدتها عن المهرجانات الشعرية التي
دعي إليها ويفرأ لها نهاج من قصائده (واحدة)
منها من عبد الأم). وقبل أن تحط الطائرة
سدد الشاعر نظرة خاطفة للعاصمة من فوق، وهز رأسه اعجاباً
وتحسّر سبب كولونيال كفاف شعري. وفي اللحظة التي إنزلت فيها
دواليب الطائرة على المدرج، تغيرت ملامحه استمداً للقاء الاخيرة أو
الرفاق في البلد الحبيب المضياف. فبدأ يفيض أفكاره ويرجمتها حسب
نظام البلد، وأخرج لساناً آخر من جيبه، بالإضافة إلى اثنين تليفان
براسه، وعينين زجاجيتين، وقام يلمصها على الوجه الشعبي الذي
أحضره خصباً. وفي اللحظة ما قبل الاخيرة، لم ينس أن يرسم تلك
«البسملة» على الشفتين ليكتمل قناع «الاياله الأنيق». وأهلاً وسهلاً...
ياخ العرب، حسناً قال هذا الرجل صاحب البيلة الكحلية والنظارات

السوداء، والذي قفز فوق الدرابزين الجهمري فتأعب الشاعر ووسى
حقائبه من يديه، وركض ضاحكاً. كذلك ركض صاحب النظارات
السوداء. كانوا يركضان صوب بعضهما مثل رجلين نجوا من معركة في
فيلم سينمائي، تباؤسا، دون أن يعرف أحداهما الآخر. لكن ما ضلّق
الشاعر أثناء المنطق، ضغط الشوكة التي سرقها من الطائرة، التي
كانت توخره في خاصرته، ولكن الأمل الحقيقي انتابه حين لمح حفيه



المصدر رعى الديوان في سلة المهملات. السلة التي كانت ملأى بالدواوين.

فك الشاعر حويلته من الكلب والقصدان والجوارب والتياب
الداخلية، وجن تأكد من وجوه البذلة الخاصة بالأسماء الشهيرة،
لاحظ أنها يجعله مدموعة. فترق قليلاً لأن هذه البذلة كانت عارياً
مناسبة لقصيدته، ولا يمكن أن يغطي شعره بدونها، ففكر بأن يرسلها
إلى الكوكبي في الفندق. ولكنه فزع من دفع التكاليف. فراجع عن
فكرته وقرر أن يضعها تحت فريشة النخلة تحت غطاء غليظ لمحمود مكتوبة
بأقلام تلمة، بدأ يترج ثيابه ثم دخل إلى الحمام، وأمام المرأة كان عارياً
كما خلقه ربه، وسر لأن ربه خلقه خفية بهذه الحياة من مهرجانات
وحملات وخلافه. فتح رشاش الماء وبرز مع الساخن ليقف،
ورشال وجهه الشمع والأذنين والعينين وكذلك للسان ووضعها جيداً
على رف الخسفة... نزل في البانيو. إنه عاشق للمهرجانات بسبب
الدوش، فلفظ ثعب في بلاهة من الماء في الطنجرة على البانيو
الكاز، وغرف الماء من الطنجرة بالكيلة... وبدأ يلمط، وبغني،
لكنه تذكر مهمته كشاعر، فاستعمل المناسبة للثانية ليقدمون على
قصيدته. فبدأ يترجم وينظم، وينطق المقدمات والفتلات، كان في
أقصى اتصالها وكانت الصابونة بين يديه كميكرافون. في تلك
اللحظة كان هناك ثمة ضرر صرصر يسير بهدوء على حافة البانيو ثم اغتزل
إلى قدم الشاعر البارزة وأكمل سيرته بحدار ما دفع الشاعر إلى الكلاء
والتنجيع، والضرر صرصر يحاول أن يتصلصع بشعراته فدهه حتى لا
يغرق، والشاعر يتأذى صمماً مملوفاً. لكن الضرر صرصر تكلمت أصغراً
بمنطق قدم الشاعر الذي صرخ أصغراً: ضرر صرصر... إلى. وبدأ
يستمع الفندق والمهرجان... ويستمع صوته خافت من فكرة أن شتاتمه
يمكن أن تكون قد تسلت عبر جهاز تصمت سري موضوع في مكان
ما، فبدأ يرتعش مثل ضرر صرصر مبلل بالماء.

في رعدة الفندق كان الشراء يتجمعون حول بعضهم زرافات
ووجداناً ويترقون رواداً وشباناً ويغسسون كلاسيكين وجداناً،
ويلتصون رجالاً ونسواناً. وكانت الأحاديث تتواصل عن الحرية
والديمقراطية والقصدية الحذيفة والشعر والتر، بينا رجال الأمن
يشعلونهم برصاصهم. كانوا موزعين مثل تلك الشرقة التي
ترين القاعة، من قنن ودوارق وأكواب نحاسية أو فخارية بمصاحيب
وصحون مزخرفة كانوا يشبهون قطع الانتيكا التي تضر الفناقق على
إسراخها كرمي لعبون السواح. وكانت الشراء تتنافسون مع هذا
الديكور الشرقي، بوصفهم فرجة ثرية متحفية، وكان ضبط أمن
الفندق يحدقون بالداخلين والخارجين من المواطنين عابرين سهواً،
الذين كانوا يترقون أحياناً لغيرهم على الشراء من خلف الزجاج،
فيسارعون إلى زجرهم. ولكن حين دخل إلى الفندق فرج سياسي
بإماني، سرّ هذا الحشد من الشعراء الذين تحولوا بسرعة أمام السياح
إلى شرابيل ومشاين وشعراء وصيحات وصلوات ويرائى، ترتفع فوقها
العقالات والطرايش والطاقيات واللبادات والكوكبي، كان الشراء
في السهنة الوطنية، حين تقدمت ساحة بإماني معجز من شاعرنا،
طلبت أن تلفظ صورة تذكارية له، وفورية معها، [شاعرنا استغل
الحاجة وقال بعد عودته إلى بلاده أن شعرة يترجم إلى اليابانية من

الصوت، فترك الشاعر اللذلي بين الضيقة والجريكو والمراق،
وسرّ بعداً عن الركاب العائدين من غرباتهم، أو الجاهليز للجولة
على الحدود، زوراً أو مقبين، مبالغاً في الطريق أخير مرافقه
متعين... كل جولات السفر تدخل إلى الكمبيوتر تدقيقاً، ألا جواز
الشاعر المهرجاني، فهو فوق الشهات، لأن الشراء... هم اللذلي!

قل أن يصعد الشاعر في السارة أو ليكروياص، تنفس ملء رثيته
وولاً آخر شريح حياه لقل الأرض أبعالاً وفي الطريق أخير مرافقه
أنه قد أحضر معه قصدية متقبلة، ستغرق الأرض، وسيقلب فيها
الطاوله. وربما تستكر المشاهير الكراسي اصعباً. حين بدأت
الفتاقل تطل على جانبي الأوتستراد بدأ الحديث يتجه نحو إنجازات
الدولة العمرائية وجماليات النظافة الأسفلتية، فزاول الشاعر مرافقاً
بخمسة عشرة عزة إلى الأمام وسبع ثوابت اصعباً، ثم قام الشاعر
بمقارنتها مع الأوتسترادات الجديدة التي فتحتها في صحاري القصدية
العربية، وكيف أنشأ على جوانبها عبارات شاعفة من الدواوين،
كذلك الأبنية الدرامية الأنيقة، وكأني في الكلام مما جعل السائق
المحزون يولي بوزه ساعراً ويقول: ولقد رصنا إلى الفندق... وقبل أن
تزال نوازل الشاعر المراق تراجعا الوسكي التي اشتراها له في الطائرة،
فقبل الأخير وأمر عده، كذلك أبيض ظلمات مسلمة [عاشت
حصارة الأوتسترادات والفناقق].

أول امرأة يتصرف عليها الشاعر في الفندق هي موقفة
الاستعلامات المرحبة في فيمنها طرفه فلأ منعه الجوارح، أو تحفياً
من وجع الضوء الذي تترك له الهالة القدسات في حوز رأسه. فناداه
الموقفة بصحبة كرمي غير معتبرة، أن غريته صبيحة غليظة، وكل
الغرف الكبيرة قد حجزت وإمتلات بالضيوف الشراء. وهنا يصرخ
الشاعر كطفل كذد للثو، فترفض أمه، فعوا... صاحب النظارات
السوداء، ويأخذ الموقفة بيديها، ويترقب معها على إعطاء الشاعر جناحاً
بكامله. عندها يستكين شاعرنا على ذراع المراق، ويستند على كتف
المستخدم الذي يحمل حذائه، وفي الأصعد يقبض رقت في المرأة، وهو
يأنهم حبة ثمر أوجه مسالاة، أو موزة، ولستخند لا يكف عن كلمات
يأنهم مثل أهلاً وسهلاً... وأشرقت الأضواء... السهم
بلده... وأقرأ عنك... والسك القائل... كان لستخند وثاقاً
أن الشاعر سيخجل ويأوله بقشياً مهباً. وأول أصا الشاعر وبضاعة
مربية، وهذا المهرجاني فرصة له لأن يترج بحصيلة جماعية وبقشيش
الشاعر قصدية، لأنه صاحب خبرة في هذا الموضوع، ويعد التسول من
لحظة كتابته للقصدية حتى الفاعلها، فهو يركي ويستند العطف بطريقة
عربية، وهذا المهرجاني فرصة له لأن يترج بحصيلة جماعية وبقشيش
عزم من الأداة أو توثيرات من مصروف اليوم (Pocket Money)، إن
ثقافة الشراء يتفها الشاعر عبر يد مكتسوة ومدمودة، ولأها لا وصل
إلى هذه العاصمة.

فعل من يتشاطر هذا لستخند في هذا الاحترام للمال به؟ يادره
الشاعر: يا يادر! هذه الكلمة كان يرددها ذاتاً غيباً لفصاحم القوق أو
صغار المهنة... أخذ هذا آخر ديوان لي، وكب عليه لعدها من ترع
مخفية، فأخذ لستخند الديوان وأقفل الباب، وفي الطريق إلى



قبل ومستشرقة يابانية. والبرهان هو الصورة القوية وما دما في الحديث عن الصور، فقد تقدم شاعرنا مثل البقية، واختار مصوراً عالياً يفتش عن رفته، ومثل ما أن يصوره في الأسمة خصباً، وسدده له نوع الصور على الشكل التالي:

- عدة لقطات من الوجه اليسرى وهو في قمة انفعاله بكاء.
- لقطات من الوراء يظهر الجمهور معه، خصوصاً أثناء التصفيق.
- ثلاث لقطات مع الوزير أو مدير المهرجان وهو يصافحه.
- لقطه واحدة مع الكاميرات التلفزيونية التي تنصروه.
- لقطات متفرقة مع النساء اللواتي يتكلمن معه ومن كافة الأعمار.

(فلا فرق).

واقف الشاعر مع المصور على أن يفتي أثناء التحميم استطلالة أنه، مع حالة ضوئ أو دلفوه ناعم لوجهه لينود مقدساً، لكن الجدل أن يتبع بينها حول الشعر، ألا حين وقعت الواقعة وعلا الصخب لحظة دخول النجمة العربية الأولى للعدلب، في الأفلام المصرية، التي تنزل في التفتق نفسه، فانقرط عقد المصحين والمجبات من الشعراء، وكنس نحوها موقوف الاستعداد والصحابيون والمصورون ورجال الأمن. حتى أن مدير المهرجان اعتل منتم بليلة لياضع النجمة. وتكت تسمع ههيات الاستكار من الشعراء وكذلك الاستهجان. لكن بنجمة العليابه قريت أن تسلم على الشعراء فرداً فرداً. وأن تأخذ معهم صورة جماعية. فلم يتساموا، ووقدوا جرهم أمام المصورين، وشلهم بغزوة المياه، كان الشعراء يتصرون دافعين بعضهم البعض فمن يفتق إلى حوا المظلة؟ أو من يفتق في البسط لينو الآخرون حوله ككباب؟ وكانت الكاميرات تنطق والفتلات تلعب، والشعراء يمشون بزوات حكمة لسة والكابزار والتشيع من من فتح فمه على أكبر استهجاناً فزها التاريخ، وأسلم من التفت عابساً محتجاً لكنه بقي مكانه، وأخر بدأ يجادل ويتحدث مع النجمة، وأكثرهم اشعلوا سجال مع تغليقة فوق الجبين. وتقول النافورة من عليهم إلى نافورة من دخان سحاجر.

في كلمته الترحيبية قال عريف المهرجان: «واننا سنسافر الليلة على أجنحة الشعر، ونعبر معه». فبدأ الشعراء الضيوف يتحولون إلى طيور واعتزل كل واحد منهم طيراً يتقلد به ليرف، وأعلن بدء طيران الحفل الشعري برعاية شركة الطيران المحلية، وكان هناك طيل وزمر. ارتقى شاعرنا الأول وكان كوكاك الحزين رتبة لرفته التحيلة وقدمه الطويلين) فوقف أمام الميكروفون بعينه المستطعتين، وبدأ يلقي قصيدته «الدمعوية» شفق فجأة، وأجشش، وكربت الدعمت التي كنت تسمع غريها. والجمهور الجلس يصفق تصفيقاً جتازياً، وكانت التندبات والطميطات تسمع في أرجاء الصالة فهتف الجلودان والبطانات والشاعر يواصل بكاءه متشدداً: «أين ضاعت فلسطين يا وليدي... وأرحم دموعي يا بلبله... وفاضت أبهار الدعوم من مائه حتى كادت ترى سدك السلوم يرق بين رموشه... تصفيق وتلم وتلم واقف الشاعر من لحظة نهاية قصيدته إلى نزوله عن المنبر. وبط وزير الثقافة تناول الشاعر عزيمة، وعانقه، لقد شفى الشاعر ومالك الحزين غليله، وكسب الجمهور.

حين نودي على الشاعر الثاني، وهو الشاعر والصقراء، كان يدرك

أن الجمهور قد أفلت من يده. ولكنه كان وثاقاً من نفسه، من نظرتة الحادة، وطيراته الضالمة. طار الصغر إلى المنبر، وتقع يديه أو جناحيه المرهقين، ثم استشاط وشاط قصيدته إلى أهل ما يمكن. صال لبنان وصغر بغداد. وأرجع الكوكيت إلى أهلها، ثم عا الحفود من الحارطة العربية، وكان التصفيق حاداً ومتواصل كإيقاع جيش منضبط ذاهب إلى الجبهة بقة، رغم التصفيق لم يتمم الشاعر، فواصل تصفيق الثورات على الجمهور، وزرع أيضاً الثورات. فبدأ الجمهور يصغر ويظليل ابتهاجها بهذا الشاعر الذي حرر الأراضي السليبة. وزرع العظايا من نفت وياه. وأعلم الجليار قمماً، وكان الجمهور يصفق للخبز الساخن الذي كان يترجم على فم الشاعر، لم يتبع صفراء تصفيقاً حتى لحظة نزوله عن المنبر مبتلاً بالنفط والطمين، وهو لحظة نزوله، رفق الجمهور ثائرة، وحرق تارة أخرى بالشاعر ومالك الحزين الذي تم منفعده.

صعد الشاعر الثالث وهو يلحن في سره والشاعر الصقراء. وشعر بأن تربيته كانت هوشية نحس. شاعرنا أو ثالث التلكب للشاعر الدوري، ولأنه حريق قرأ أن يثيره ويحاجبه ليكتسب الجمهور. فتحول بسرعة إلى سمدان الشعر. فبدأ قصيدته بطريقة عن الشعر الحديث، فضج الجمهور بالصخب، وما دام الجمهور الحبيب قد هفقه فلقد أسك به من ذيله. فأكمل قصيدته هارثاً بالملك، ساعراً من أمراء النفط، والجياهير تقوم وتعد في الصالة، وأدأ الشاعر السعدان يواصل فيجالاته، متشبهاً على الأرض، قافراً في الهواء. والجمهور بكاته بالتصفيق، وكان بقية الشعراء يركزون على استنابهم إما خطاً أو لفتح أنفسهم من الضحك، وحده في الصف الأمامي الوزير يجهر ضياعاً حتى وقعت وجبة أسنائه، لكنه لم يتم فضحك بلا أسنان، حين صرخ أحدهم في الصفوف الخلفية أن هذا شعر مسخرة، ثم اعتاله بسرعة وسط ضحك الجمهور وتصفيقه للشاعر الذي نزل عن المنبر وهو يرفع علامة النصر.

كان عريف المهرجان يواصل حز أنكاته ضاحكاً وهو يقدم الشاعر الرابع الذي شعر بالخرج، فأدأ مازالت تفتقه، ثم شاعرنا الرابع وهو الشاعر الطالوسي، استغل هذا الانشغال بأن سمدان من مهول وشرب كوب للماء، وقع أزرار بدته، وفك ربطة عنقه قليلاً. واضطر إلى التعامل مع الموقف بخت، فأشاعر السعدان قد أرقع الجمهور قناعاً، وعطله. أخذ نفساً عميقاً، ونفس ريشه، وعرف أن الجمهور مزال يملك من منجم الغرسانس ما يكفي للمون شاعر. وتلقت الصور وكان الشاعر واقفة مستريرته تحمل ثيابها قلعة قطعة. وبدأت الصالة تفرق في العنمة مع التصفيق الذي بدأه الشاعر وهو يجري المراء الأولى في القصيدة من فخلها إلى صدرها فيظنها. هدوء شامل، مع صرخات تلو متفرقة في الصالة. أسك الشاعر امرأة تاراً فاعذ بجملتها وتعرتها وبدأ يفضها أمام الجمهور وكاد يلفهم الميكروفون، وبعدها انصحب امرأة بفحولة تاذرة ثم احرقها وسك رداها، حين





واحدة... وفي القاعة كان الوزير قد وقف مصففاً ولحقة الجميع، حتى ان المصور التلفزيوني حين سمع اسم الزعيم ترك الكاميرا وصفت، ثم التفتها، وتابع تصوير تلك الأيدي، كان الشاعر واقفاً مكانه يراقب تلك الأيدي. وقد مدّ أصبعه الأوسط من تحت الطاولة لزملائه الشعراء. ثم اكمل قصيدته الكلاسيكية في وصف الزعيم الوحيد الأوجد، ومعاركه، وشجرة عائلته وسلالاته. وقبل اسمه له عدة معاني وكلها شعر ان الصالة هادئة ذكر اسم الزعيم تشعل مرة اخرى، لدرجة ان الوزير قام من مقعده وقفز إلى المنيرويل الشاعر في جيبته. القيلة الأولى للكلماء لشاركه التجوية مع حب الزعيم. والقيلة الثانية لم تكن قبلة وإنها هسماً في أذنه: حلال عليك هذا المهرجان من جمهور ومكافآت

اهتزت الأيدي، واحمرت، وسقطت الأصابع، صفق الجميع بأقدامهم حتى تفككت، تانططوا، لم يبق شيء من الجمهور في تلك الآسية الشسوية سوى نيفات قلوب حاولت التسلل إلى خارج القاعة، لكن صوت الدراجات النارية والسيارات السوداء الكبيرة سرعان ما انقض عليها وهربها، خرج من السيارات رجال مدججون بالسلح. ودخل الزعيم فهب الجميع واقفين، وتماشم الشاعر فوق المنبر، فازعيم حفر له وجه السرعة إلى المهرجان حتى لا يخطف هذا الشاعر كل التصفيق الجماهيري، ومن حساب، فلياصبه أولاً ثم يصان ما تبقى من تصفيق، ويقلب هذا المهرجان على رؤوس أصابعه، جز المراقبون الشاعر إلى السيارة السوداء الكبيرة والزعيم لمسه، ويروي انه كثره كثيراً، وعلمه أتعر لأساليب التهجيج الجماهيري.

ملاحظة أولى: جاء في المتجدد ان المهرجان هو عيد الفرس، وهي كلمة مركبة من مهر في عجة ومن جان أي روح. فيكون معناها عجة الروح أو الاحتفال العظيم. ملاحظة ثانية: شاعرنا الذي عاد إلى بلاده، كان طوال الرحلة في الطائرة يحف صورة الزعيم عن الإساعة التي أعدها لإياها فمجز. وقد بارث ولم يشترها أحد. وبقيت ساعة بلا عارفين في جوارو حبيب. □

حاول واحد من الجمهور الدخول إلى المرحاض، اعطاه رجال الأمن يدهو على السباب يتهمتين: الأولى أخلاقية، والثانية بداعي التخريب، ولكن الشاعر حين أدرك ان القسرية قد تسلت إلى أحاسيس الجماهير المطلقة والمثولة أيمن انه عرف من أين تركز الكف. فأنى الضميمة وأضاء الصالة بعينيه الشهواتين. فذبت زلزال من التصفيق، أوقع القباطن عن الجدران وتجهت حلقات الأذان وسيرات المقود وخلاخيل النساء. كان تصفيقاً لم تشهده المنطقة، لقد فاز الشاعر الطلوس وبخلوته. نظر إلى زملائه الشعراء وقال في نفسه: لقد خصيتكم وحين نزل كانت نظرات النساء مركزة عليه، أما الوزير فقد غمزه.

عرف المهرجان مشى مريضاً نحو المنبر. وكان عدد من الصبايا والشباب الجماهيين قد بدأ بالانسحاب، لكن العريف انبه فجأة إلى ان هناك شاعراً آخر قلمه بقوة وسرعة. شاعرنا الخامس أو الأخير، أيقن انه الحارس فعلاً، ماذا سيقول؟ وماذا سيلقي؟ لماذا لا تنشق هذه الأرض وتبتلع. وحين كرر العريف اسمه مرة أخرى، استيقظ من حوارته الداخلية. شاعرنا كان الشاعر «البومة» فغير بسرعة إلى الشاعر «البقعة» وقال في نفسه: ومن يعدي الطوفان، لأنه إذا فشل في عدم كسب التصفيق لن يرد اسمه مرة أخرى في المهرجان ولن يدهو، ففكر: يجب ان أعجب الصالة، ولكنهم سبقوه إلى الثورة وتوزيع الثروة. الدموع والرهشات والضحكات، وكان حين صعد لاحظ ان زملاءه يتهافسون فيها بينهم. قال في سره: سأنتقم من الجميع، من هؤلاء الشعراء وهذا الجمهور وذلك الوزير. وحين وصل إلى الميكروفون، شد حزامه الحديدي وألق بحبته ما يجري في الصفوف الخلفية وصرخ فجأة: من عل هذا الشعر أوبسمة شمة كبيرة إلى راعي هذا المهرجان إلى زعيمنا المحبوب وقالك ثورة هذه البلاد. ولم يكن ينتظر هذا التصفيق الهادئ، فحين لفظ اسم الزعيم بدأ الحراس بالتصفيق الذي انتقل إلى الصالة فأصاب الجمهور بالصرع، وكان التصفيق يسري كالكهرياء في التلام القاعة، ثم انتقل إلى خارجها والاروقة. الميكروفونات المنصوبة بدأت تغلق التصفيق، الذي انتقل إلى الشوارع الخلفية مع اسم الزعيم، لقد كانت المدينة تصفق بيد



اليمن الجنوبي

الحياة السياسية:

من الاستعمار إلى الوحدة

علي الصراف

56 KNIGHTSBRIDGE
London SW1X 7NJ
Tel: 01-245 1905
Fax: 01-235 9305



صدر حديثاً

المنسيون

٢. بشر فارس

عنان رؤوف



ولأشك في أن إطلاق التوسمين اسم بشر فارس على أحد شوارع عاصمتهم لم يكن تقديرًا لخواهيه الأدبية وحسب، بل لإقراراً بأهميتها بصوتها، ولاسيما الإسلامية والاجتماعية واللغوية التي نُشر بعضها باللغة الفرنسية. كانت رسالة بشر فارس لشهادة الدكتوراه من جامعة السوربون بدمشق في علم الاجتماع بعنوان «البرّص عند عرب الجبلية» كما نشر في مجلة الدراسات الإسلامية، مبحثاً كان ألقاه في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس عام ١٩٣٦ عن المشكلات التي تعرضت للكاتب العربي الحديث من جانب اللغة والثقافة والاجتماع، وهناك أيضاً مباحثته التي نشرت في «تكملة دائرة المعارف الإسلامية» في لندن عام ١٩٣٦.

كان «بشر فارس» كاتباً فاعلاً لأنه أصدرَ على اتباع أسلوب جديد في الكتابة استهدف به إحياء الكلمة العربية التي ابتكها الصحافة وعبث المستعربين. وكما كان الرجل أبقياً في مظهره أصدرَ على الأمانة في كتاباته ولغها لم يكن له شعر كثير، وجموعة قصصه «سوء تفاهم» ضمت أربع عشرة قصة ومقالاً واحداً: «المرأة والفنان» - مائدة لفصحة. ومع ذلك كان ينشر باستمرار مقالات في اللغة والاجتماع في مجلة «الرسالة» لأحد حسن الزوات خلال الثلاثينات.

ولأن بشرًا كان مرفقاً وذو حاسّ مرفه، كان ينتفضد صوغ العبارة صياغة، بل قد يجيء بالتعبير وكأنها قدّمة من صخر. والواقع أن أية جملة أو فقرة من قصة تبدو وكأنها تحت نحتاً ولم تكتب بمفردات. وكانت في حينه قد أصبحت أسلوبه في كتابة القصص: صوغ «العبارة المشحونة»، وغالباً ما كان يغيب جملة وصف بجملة أخرى تعي، خلاصة لها أو حكمة مشتقة منها أو نسيئة تزيد في أناقتها. واليك بعض الأمثلة:

- من مستهل «قصة سنكمل»: (جلست إلى مرآتها تتعلى، ظلت أن صفاء بشرتها يكفها، وهل تمنع المرأة غيرها أن يتفكر بصفاها؟)
- من مطلق قصة «وطن قولا»: (كانت للمرة لا يعجزها سوى الصفاء. وفي الأشياء ما يحزن الأهم)
- من قصة «المضيئة»: (حجرة مظلمة فيها أربع نوافذ مفتوحة، وصحائب... ورجل لم يحرق قط أن يسأل نفسه لم يعيش)

■ قبل بضعة سنين زرت تونس المحفراء. وذات يوم كانت السيارة تغلبي من القنفذ إلى بوليسفار الحبيب فلفت نظري اسم شارع مررت به: «شارع بشر فارس». وعند تلك اللحظة لم أُر شيئا آخر حتى وصلت غابيت غرقت في ذكريات تعود إلى أربعين سنة وتنتف. وأول ما حطر لي: ذرعت العناية أهل تونس. لقد أكرموا الرجل بإطلاق اسمه على شارع في حين نساء أهل بلدته. وكنت أقمت في قصر ثلاث سنوات ثم زورنا لمأى فها سميت أحداً بذكر اسمه. وحملت لبنان خمس سنين فها هو أسكن في حديثي أوهام. ولا أظن أن أحداً ذكره منذ وفاته وهو يرون السكّون من أهميته خلا والمجد في الإعلام، إذ خصّه بضعة سطوره فاض نفسه.

«فارس (بشر): (١٩٠٧ - ١٩٦٣) شاعر وباحث لبناني. ولد في بصرى صاف (لبنان) وتوفي بالقاهرة. هاجر إلى مصر وعاش فيها. أبحر سر المجمع المصري. له مسرحية «مفرق الطريق» و«وجهة القلب» وأبحاث في التصاوير والأخارف والتشخيصات العربية منها «سر الزعزعة الإسلامية».

وعما لم يلقه المنجد ونسي إلى، وألفه قد أنجز بذلك، أن الرجل كان ولد في عائلة نصرانية، ولم يكن اسمه بشرًا وإنما أخذ هذا الاسم بعد أن استقر به المقام في مصر وأشهر إسلامه هناك. وسمعت أيضاً أنه كان في سعة من العيش بحيث لم يضطر إلى كسب العيش، فأنصرف إلى الكتابة، قصصاً وشعرًا وموسيقى. له كتاب بعنوان «مباحث عربية» في اللغة والاجتماع جاء فيه أول بحث باللغة العربية، على ما أعلم، عن المسلمين في فنلندا.

مسرحيته «مفرق الطريق» كانت محاولة في الرمزية وذات فصل واحد قدام لها «دوتوتة» في الطريقة الرمزية المستعجلة. وكانت المسرحية، على ما أتذكر، على نسق مسرحية «استنظار كودو» التي ألفتها بحوالي الربع قرن. أخذ من مسرحية عبارة: «عليتي اليوم أن الحياة مجموعة سوء تفاهم»، وجعل «سوء تفاهم» عنوان مجموعة القصص التي صدرت بعد أربع سنوات (١٩٤٣). لم ألق على مؤلفه «وجهة القلب».

لأنه كان
مفتوناً
بالابتكار، بشق
بحراً شعرياً
جديداً



كانت القصة عند بشر فارس قصيدة بلا تفعيلات، ولغذا جاءت عبارات قصصه وكأنها نيفس بحياة جديدة، وكأنيها ترجع أو تتلاها في ساء صافية. لم يحن الزجل بالقرب المحيوي أبداً. كل ما في الأمر أنه معج به الكلمة العربية روحاً جديداً كانت قد انتفضت. واقتبس لأن شيئاً من مقدمة مجموعة دسوه تقاضيه، لحسن فيها الكاتب معوهه للقصيدة

«والقصيدة عندني نية من صدر الحياة تنتزع، لا بصورة من صفحاتها الواسعة ميسوعة... يجب أن تكون القصيدة برقاً لمأعاً ملي سحبه سود، والمحب السواد هي الحياة الجياشة».

«ويجب أن تنطوي القصيدة على شاعرية في الأداء وفي التصوير خاصة، حتى تغلف من جفوة الواقع. وأما قوامها فرفاقه في تمحس الغيم الانساني، بمعالجة كأنها هيئة... مع اجتناب التبيين المطلق».

«ومدار الانشاء الرفيع ان يجعل المشى القاري - يشاطره» «والقصيدة ليست للشيء. عليها ان تثير القاري» وان تشغل باله وما بها حاجة إلى حكمة متصلة السلك؛ بل شأنها ان تكون تجسدت تتلاحق على لوح الحياة المتدفقة.

وكما نقرأ بشر فارس في القصيدة فعل الأمر نفسه مع الشعر. وفي مقال بعنوان «القطب الشاعر» احتل صفحة واحدة من مجلة «الاديب» اللبنانية قال

«أصل الشاعر الحديث ان يصوغ عبارته على حسب ما يستأنس حته اللغوي بفيض هائبة، فذلك تميره»

«وربما ذهب الشاعر في الاستقلال المطلق حتى انه يجدد الكلمات ويولد التغيرات فيها».

«ولم ان استقلال القطب يفسح للمعنى لأنه يطلق الفعل على اسم المفعول».

«إنها الشاعر سيد لفظه، وهو لا يكون كذلك إلا إذا أوتي القدرة على التعبير من ذات ملكته، فيسخر الألفاظ لعرشه ويروض القوافي لنفسه»

«على ان الشاعر مهيب مهاب وبات الشعر له من طلاقة الفريجة وبغاية البديهة لا بد له من استشفاف سر اللغة زيادة على الاستكثار من هرائها بعبارة وتخييل».

«ولأن بشراً كان مفتوناً بالابتكار لم تكفه كل أوزان الحليل بن أحد في الشعر، فشق بجرأ جديداً يسبح في وده، ويضم قصه وقيثار مضرب» بقصيدة على تفعيلات ذلك البحر «فاعلاتن مفاعلاتن، مزيون، ومظلمها»

«نوح قيثار مقرب سلسل الوحد بالظرب حبس الأمس في وتر جفن من جفن مذكرو».

زار الدكتور بشر فارس مستط رأسه عام ١٩٤٣، وأظن ان الزيارة كانت في فصل الصيف حيث أقام في شتورة. كان اللبنانيون حينذاك في غمرة من ارحاضات الاستقلال وميثاق ١٩٤٣ (غير المدون) التي بشر فارس بضعف معارضتها في بيروت ونشرت تصورها مجلة «الاديب» ووفاء من الرجل لموطاة الأول ساهم بلوره في النقاش

المالر آنذاك بشأن مصر لبنان عند نهاية الحرب العالمية الثانية. وبين يدي نص معاصرة يتحسون باللغة والقومية، أرى فيها أية في علم الاجتماع والسياسة وفي التفكير القومي. ومع انه حرص على الكلام عن القومية فمن الواضح انه كان يقصد الوطنية (اللبنانية). قال الرجل:

«أتيتكم اليوم وفي صدري أشياء من حال لبنان الحاضر لا يستطيع العامل في ميدان الفكر ان يسهو عنها وان يضي، وإن كان ذابيه العلم الصرف والادب المضى. لا تقنوا اني ابغيت توبيخكم في هذا دعوى ليست والله من شيعي. ولكن في نيتي ان أذكركم في شأن شاغل لكم ولي أيضاً، ألا وهو القومية وروسيا وعلاؤها».

ناقش بشر فارس في معارضته مقومات القومية: الأرض والدين والدم والمضي، مع رغبة في الاستمرار، وصلصة العموم وأخيراً اللغة. واقتبس بإيجاز أشياء مما قاله فيها

«أما الأرض» فيما يورث الأسف ان لبنان يقع بقع. وكل بقعة متطوعة على نفسها».

«وأما الدين فخبر لي ولكن ان تمر به سرعاً وليس ذلك من باب الخشية... ولكن الاسراع هنا سيهيه ضجر في طياته لم حراز نغله» «عشمة ملحة... من قوم يضربون في أرض واحدة ويضغهم إلى بعض ينظر نظرة المعتدي مرة والمستغنى أخرى... وحسبي ان المنطق كلمة واحدة هي كلمة القاتلة فاستخلص مما تتر حول حروبنا المريعة ان الذين في لبنان يهتات ان يكون لهم معقل الصراخ وممرج وثام».

«وأما العلم فلا أعي ثقافته وتحمده كذلك من عروق الجندود حتى عروق النسر، بلذلك... وان تنظيمه قوم واضعوا عليه سياستهم وتديبهم... ادخل في باب الاسطورة» «في باب العلم ولاسيما في تغر تواعدت عليه أجيال من الناس فلكين، وفلازمين».

«وأما المثالي وما يجلته من الرغبة في الاستمرار فلي اراكم تاضفون إلى عهد وأسم، فهذا يصمد حتى زس متقدم دارج فتأخذه العيبية، وذلك تشييت بالعربية، وثالث يغلطها بالاسلام فعوا تكيف توجهون الماضي على سمت واحد وحاديكم غير واحد؟ إننا المثالي، كما يقول الفيلسوف برغن، نافذة على هذا المطل على المستقبل، ونافذتكم على فحسات متباينات»

«وأما مصلحة العموم... فإراكم ان تسترحضوا بعد. ولا لوم عليكم فالأمم اليوم في تجانب وتذلق، فأتى لكم ان تنهجوا الوجهة الصالحة الباعثة؟»

«عقبت اللغة. فهل اشدكم يشك انكم على لغة واحدة؟ أجل، أعجزني صديق أثير ان نقرأ يقرؤون بأن اللبنانيين لغتين، فهذا زعم لا ينهس له دليل. فلنحك إياها في التي تنطق بها ساليمة أول ما تنطق ثم نأخذها ساهماً واعتاداً لا تكلفاً واكتساباً، وان بدا لفر ان يجرها استهم عن أصوغا، فلذلك شأنهم وحدهم. إن لغتكم هي العربية ورضيتكم أو كرهتم، حسنت لديكم أو سات... فإن اللغة هي الحافظة الفريدة التي أجيحت لكم ولا تنك في ايديكم. هي ملككم جميعاً»

هل قرأ أحد كلاماً أبليغ من هذا الكلام وأرق من واقع لبنان منذ ذلك الحين وحتى اليوم بالرغم من الحرب الأهلية التي تشبت قبل حوالي سبع عشرة سنة وبالكاد تنتهي الآن. □

إن لغتكم هي العربية رضيتكم أو كرهتم، حسنت لديكم أو سات»

مساءلة الصادق النيهوم:

مَنْ يَأْسِرُ مَنْ؟

هل الاسلام في الأسر
أم نحن في أسرهِ؟

علي حرب

■ هل الاسلام هو في الأسر أم نحن في أسر الاسلام؟ هكذا أبداً كلامي على كتاب الصادق النيهوم: «الإسلام في الأسر»، فأسائل العنوان نفسه عما ينطق به ويسكت عنه، عن معناه ولا معناه ذلك أن هذا العنوان يثير حفاً عن مشغون الكتاب فالصادق النيهوم يريد أن يقول لنا إن الإسلام معتقل مسجون ولا بد من فك عقاله وتحريره. وأما المسؤولون عن سجنه فهم المسلمون أنفسهم، فقهاء وسلاطين، علماء وسياسيين. غير أن العنوان المذكور يثير ما يجيب، كما هو شأن كل كلام، يجيب ما يتكلم عليه وما تحجبه عبارة التيهوم القائلة بأن الإسلام في الأسر، هو الاعتقاد بوجود إسلام مثالي ماهوي قائم في ذاته بصرف النظر عن أيهاط تحفقه في الدنيا والآل، أي بصرف النظر عن البشر الذين أسهموا، تاريخياً، في صنعه وتشكيله، بإبداعاتهم وإنجازاتهم، بأعطائهم وكراراتهم، بأصطفايتهم وعصريتهم أو بانفتاحهم وتسامحهم. هذه هي، فعلاً، السُّلْمة الضمنية التي يسكت عنها عنوان الكتاب ويتأسس عليها في الوقت نفسه، أهمي الاعتقاد بوجود إسلام متعال. على تاريخه،



شعبان ١٤١٢



منصوص عن المسلمين الذين مارسوا أو جسدوا بخطاباتهم ومؤسستهم، بأهوائهم وعصبيتهم، برهاناتهم وصراعاتهم،

مختلاتهم وانقسامهم. هكذا يفصل النيهوم بين الإسلام والمسلمين، بين إسلام صاف واحد في ذاته متواطيء مع نفسه وبين أشكال ظهوره في الممارسات التاريخية والمؤسسات الدينية، على ما تفرع من ذلك في الأسلاك الفقهية الشرعية، أو في النظم الكلامية العقائدية، أو في التشكيلات الاجتماعية والأنظمة السياسية. وبناء على هذا الفصل بين المثال والواقع، بين النموذج والتطبيق، يوجه النيهوم نداءه من أجل تحرير الإسلام واستعادته بصفاته ويوجهه وأصاته. هذه هي المشكلة كما يتصورها النيهوم: الرجوع إلى إسلام أصلي نموذجي تم تحمله بالأغراب عنه، أو تطريعه وتغيرفه، بل تم سجنه ودفنه على يد أهله، سبوا العلماء منهم وأهل السياسة. والنيهوم يعتبر أن أسر الإسلام لم يقتصر على الجبهة الحداثية، بل يشمل التاريخ الإسلامي كله، باستثناء فترة رمية قصيرة عُيِّن فيها الإسلام بصورة نموذجية أي إسلامية، تقتصر على عهد الرشدين بل على جزء منه ينتهي بانتهاه ولاية الخليفة الثاني.

إذاً يتعلق الأمر بالعودة إلى إحياء الإسلام وتحريره أو إصلاحه. وهذه الدعوة ليست جديدة. إنها الدعوة التي يدعو إليها الخلفون العرب بصيغ مختلفة منذ عصر النهضة. والشيخ محمد عبده كان يريد الإسلام الأصلي ولكنه كان يعيش عليه من أهل العلم أي من رجال الدين أنفسهم. والنيهوم يدعونا اليوم إلى العمل على ديبس الإسلام من مقبرة الفقه (ص ٢٣٤). وهذه هي الدعوة نفسها التي سمعها الآن في طول العالم الإسلامي وعصره: إقامة الدولة الإسلامية تطبيقاً لشرعة الله وأحكامه، أو استرجاع دولة الخلافة كما تعبر عن ذلك الحركات الأصولية. ولهذا فإن النيهوم يبدو كمن دلفه "الشيء" أقرب مما يظن إلى الدين بكتفهم وشن حربه الكلامية عليهم من فقهائه ودعاه، فالخلاف بينه وبينهم ليس خلافاً في الرؤية، أي في المبادئ والأصول، وإنما هو خلاف في التطبيق: إنه خلاف بين أناس يتصمون إلى العائلة الفكرية نفسها أهمي إلى سلطة عقائدية واحدة. إذ الككل يفصلون بين الإسلام والمسلمين بتجريد الإسلام من تاريخيته وشروريتها، من دينونه وسلطوته. والكل يعتقدون بوجود إسلام حقيقي صحيح يمثل والحقيقة الواحدة بالذات، يضمن حسن تطبيقه إسقاط الحق ونشر العدالة بين الناس، أو على الأقل بين صنف المسلمين. وهذا هو الأمر الجامع الذي يجمع معظم لدعاة الأسلاميين، وسفاده أن لا خلاص للتحرير والمسلمين من المآزق والأزمات، إلا بالعودة إلى الشريعة الأولى النافذة الكاملة، فهي الأصل الذي ينبغي أن تُبنى عليه، أو النموذج الذي ينبغي احتكاك.

ولا يختلف النيهوم في طرحه من سائر الدعاة. بل هو مثلهم أصولي سلفي لسان حاله: لا يصلح حال الخلف إلا بما يصلح به أمر السلف. والسلفي، كما هو معلوم، يمتحج على المسلمين بالإسلام وهذا هو شأن النيهوم أيضاً. إنه يمتحج على المسلمين باسم اسلام نموذجي أصولي، على عكس ما ظن إبراهيم بن علي الوزير في رثه عليه^(٢٠). من هنا فإن خطاب النيهوم يبدو في ظاهره وبسطه خطاباً تقليدياً تعديدياً، في حين هو في حقيقته ونطقه خطاب سلفي. بل إن النيهوم هو أحد سلفية من أهل السلف. ذلك أن أكثرية السلفيين

الإصلاحيين يقولون الإسلام كما هو في حقيقته وواقعه، أي كما تجسد في التاريخ. وهم يعتبرون أن الشريعة قد طُبِّحت بالرغم من التناقض والأخطاء والنظام والقياس، لأهم يرون أن لا عصمة ولا كيان لأحد في هذا العالم. فهم لا يتفرون إذن الواقع والتاريخ ولا يفترقون لاد الحقائق. وهم بذلك أكثر واقعية وصفاية ورؤية ديمقراطية من النيهوم الذي يشهر سلاح نقده باسم الديمقراطية نفسها. ذلك أن تاريخه والتاريخ، إذ هو يستبعد من الدائرة الإسلامية معظم ما يتصل بالإسلام من أحداث وتصور وعملية ورجالات، انطلاقاً من نظرة طوبوية لم تتحقق في يوم من الأيام. يقول لم تتحقق، ذلك أن المسلم هو في النهاية كائن من لحم ودم، يعيش الحياة بقضها ولحيضها، بأهوائها وبصتها، بفضائلها ونقصاتها، بجزورها وتقارها. وهو يمارس إسلامه بحسب شرطه وطوره، ويتمتع بصوره لدوره ومكانته، وأصلاً من إرادة قوته. هذه هي النظرة الواقعية العقلانية للأمور. وموجب هذه النظرة تتمثل مع الإسلام بوضوح بمصلحة أحواله وتاريخه وصنعيته أهله، لا سيما منهم العلماء والمفكرين والدعاة ومؤسسي الدول وقادته. بموجب هذه النظرة لا ننكر، مثلاً، أن للمؤمن إسلامه، بل نطرح ال

هذا الحقيقة بوصفه صلباً مارس إسلامه بكل دينونه وبكل ما أدرك من قوة وسلطة، فالتقى مثالي حاربه، وانقلب على أعقاب اليوم الأمر مقامه، وتحوّل للمعتزلة قبحاً على خصوصهم، وبعت بالرسول إلى بلاد اليونان لاستحلال كتب الفلسفة منية ثانياً في الحرية والأفانيتها سلاح فكري قاتل إلى الجدالات العقلية والفقهية، هكذا مارس للمؤمن الإسلام كاستراتيجية شبيهة أو سطوتية أو حزبية أو معرفية على ما لا يفرقهم^(٢١). واقع الإسلام لا أول حقيقة بالذات، دلت أي حقيقة. ولكن، وأكلاً هون، ليست شيئاً جديراً بكتيب بتسوة عالية. وإنما هي كل مركب يبرمج تشكيله وإعادة إنشائه باستمرار. وهي تتشعب أو تدمر بتغير الظروف والشرط والمعطيات والحجيات. أما إذا أردنا أن نحتكم إلى النطق الذي يوجه خطاب النيهوم، فستصالح مع الإسلام بوصفه هوية ثابتة كاملة نموذجية عالية. وصنعها ستفي عن المسلمين إسلامهم. ستفي الإسلام بدوله ونظمه، بعلومه وأفكاره، بعلمائه وأعلامه، وهو نفي لا مآل له سوى نفي الإسلام ذاته من الواقع والتاريخ. والنيهوم شأنه في ذلك شأن بعض المسلمين الذين يتفنون مشروعية كل ما جرى على صعيد الخلافة والرياسة، بعد التمس والوعي، باسم رؤية أسطورية للإسلام، أو باسم مشروع مثالي طوباوي مآله، عند التطبيق، إنتاج واقع إسلامي أسوأ من الواقع المرغوب أو المستبعد. ولا عجب لما تصصف بالحوية ويمتاز بالجدة والأصالة، لا يُطَّرح ولا يمتحن، بل يُخلَق ويترك.

هذا من حيث الرؤية. أما من حيث المنهج، فإن النيهوم يهتم العلماء المسلمين بأنهم يتعمدون على مناهج وصنعيه يتتبع صفة العلم، في حين هو في حقيقته مناهج تجريبي لا يفسر الظواهر، بل يكتفي بوصفها من الخارج ويحصل على تسطيقها أو حجبها (ص ٢٠١). ولا يقتصر النيهوم في حكمه على العلماء المحدثين أو المعاصرين، بل يسحب هذا الحكم على مجمل النتاج الفقهي الذي تراكم طيلة أربعة عشر قرناً. ولا شك أنه حكم عشوائي يطلعه النيهوم على ميدان علمي التسم بالغبوب والغنى والابتداع. هذا أيضاً يشطب

شأن النيهوم
شأن الذين
ينفون
مشروعية
كل ما جرى،
باسم رؤية
أسطورية
للإسلام

دعوة المؤلف إلى استعادة الديموقراطية الأولى ليست سوى طمس لطبيعة السلطة في الاسلام

اليوم يشطحه قلعه، أي بطريقة سحرية، فرعاً معرفياً هو من أهم فروع الثقافة الإسلامية وأكثرها فاعلية في تكوين النقل الإسلامي. ولا يعني نقد اليوم على موقفه من الفكر وتناحيه تحيد هذا العلم أو استبعاداً من مجال التخصص والقد. بل العكس هو المطلوب ما دام الفقه مارس ويؤسس مثل هذا الدور نظام والحظ في حياة المسلمين. ولكن اليوم يجترأ النقد السهل، أي الالتفات، إذ هو يعني تقياً تأساً قطعاً معرفياً بكامله مثل بقلعه والأصول والكتابات، بينما المطلوب درس هذه العلوم، إما بهدف تأويلها وإعلاء شأنها، أو بهدف تفكيكها للكشف عن بداياتها المحتجبة أو أسسها الضالعة أو آلياتها السلطوية. إن اليوم لا يعثر على نفسه مثل هذه المهمة ولا يتناول الأمر على هذا المستوى. وعلى كل حال ينبغي أن لا نعمل كتابه أكثر مما يعمل، إذ هو لا يتكشف عن منجز بالعلمي الدقيق للكتابة، أي عن طريقة جديدة مغايرة في البحث، وإنما هو مجموعة مقالات متفرقة يبدل حيزها اليوم برأيه في مسألة من أهم المسائل التي استأثرت وما تزال تستأثر باعتناء المثقفين العرب، هي مسألة الديمقراطية. فلنتطرق فيها بقوله وبقرته في هذا الصدد.

يقول اليوم: «... فالديموقراطية الأوروبية صيغة لا يمكن تحقيقها، إلا بترزاق عسكري وقبلي، على غرار التزاق الذي عاشته شعوب غرب أوروبا، في الظهور نفسها والزمان نفسه. وهو شرط يمكن فقط من دماء التاريخ حيلة حسنة سنة إلى الزمان».

ولكن التاريخ لا يعود. وليس يوسع العرب أن يهبطوا في عصر لم يزلوا فيه، وجعلوا حيلة ديموقراطية. كل ما في الأمر أن التزاق في وقتنا بالذات، لا يحتاج أن يقع، لأنه وقع منذ أربعة عشر قرناً على الأقل، وفضله صلاص صلبة الجينية للديموقراطية التي نخطئ في تسليم السلطة للآخر وللإفتراف للناس، على طريق التشريع الجلف في الجوامع. فهذه هي الصيغة الحية التي تصمدت ثقافتنا المصرية المغترية وما تزال تجعلها، في تراثنا وولفنا، من باب المحرص على دقة الترجمة.

ويقول أيضاً: «ولن ننظم الجميع - مثل نظام الأحزاب - صيغة إدارية لتحقيق سلطة الجبهة ظهر في تاريخنا بعد سحق المؤسسات العسكرية والعينية في تزايق أكثر قوة وأكبر نطاقاً من التزايق الذي عاشته شعوب غرب أوروبا. لكن نظام الأحزاب صيغة لا نملك لها دستوراً في ثقافتنا. أما الجميع فهو صيغة لها تاريخ نمره دستور بلعة مواطنينا ينشأه صيغة بينهم، باعتباره أمر مقدس منهم».

وأخيراً يقول: «... إننا نضيق وأحياناً في موقف ثقافتنا مختلف لأن قوتنا لا نتصل تحت ملقب بيت الله... بل نتصاح في مكان آخر يحد الجبال، استنويته من خارج حضرة في صيغة سياسية ملققة حلالها للمرة أنها صيغة من دون شريعة في لفتنا. (ص ٣١-٣٢)».

هذا النص هو حبه من كتاب «الإسلام في الأسرة» يمكن الاعتقاد عليها بتصريح على نطق اليوم في التفكير. إنه نموذج مبرر عن طريقة فهمه للمشكلات وكيفية معالجتها، لا سيما مشكلة الديمقراطية التي هي لتحدو الرئيس الذي يدور عليه الكتاب. وأيضاً بخصوص مفهوم اليوم للسلطة، إذ الديمقراطية إن هي إلا طريقة أو آلية في علب السلطة وإدارة المجتمع. يقول اليوم في النص السابق: «إن للإسلام صيغة خاصة للديموقراطية، وهي تقوم على تسليم

السلطة لله والإدارة للناس». وهذا المفهوم للسلطة لا يختلف في الحقيقة عن مفهوم العلماء والفقهاء. بل هو المفهوم نفسه المبرر في الخطاب البني، على ما يقدّم لنا هذا الخطاب نفسه: السلطة الحقيقية لله أو هي ذات مصدر إلهي، وأما البشر فهم وكلاء أو ممثلون. ولكن الخطابات الدينية أو الكلامية أو الثقافية تذهب لـ تصورها دوماً على نحو يحجب حقيقتها وسلطانها. ذلك أن السلطة في الإسلام بعثت من إرادة القوة، وتكونت بفضل صراع العصابات والجملات، وتوسعت دوماً كمشروع مدته السيطرة والإحتطاع. فهي إذن رهان شرعي واستراتيجية نبوية، أي كأن أساسها الأخلاق. ومصدرها وشروطها. فلا جرم فقط ما يصرح به الخطاب عن السلطة، وإنما جرم أيضاً وتخاصة ما لا يقوله. وما لا يقوله يتعلق بألية نشوء السلطة وشروط عملها وكيفية ممارستها وتفتتات اشتغالها وجنلها أي طرق اعتنائها واحتجاجها. وإذا كان الخطاب الديني يتحدث عن إرادة السلطة، فإنه ما دام الخطاب غالياً، لا يد في النهاية ليشري أن يتعهد السلطة الأخية ويستتر بها، فيصيرها ياربها وفقاً لتقديره أو بحسب هواه. وما التزمز هنا سوى حجب السلطة الفعلية التي يقوم بها فرد من الأفراد لجميع الآخرين لتشيته وتعملهم على معناه. وقولون لثافت بأن السلطة لله معناه أن ينبغي لسلطته الفعلية بالتستر على كون قوته بشكل سلطة يمارسها على غير. هذا هو فعلاً ما قول القائل: لا ينبغي إلا الله. أو يجب حجب حكمه وسلطته. هكذا فخطاب الأوامر يحكي سلطة الناسوت، لكنه صيغة كون الإسلام قد مارس دوماً كشرعية دينية، تحكم سلطاني يقوم به فرد أو أسرة أو شعب أو جماعة، أي عصبية تتبع بالقوة والسيطرة. ولهذا فإن دعوة اليوم إلى استعادة ما يسميه بالثقافة الجاهلية أو الحقيقة للديموقراطية الأولى المنسوبة أو المحذوبة ليس سوى طبيعة السلطة في الإسلام، أن كلام لا يكشف بل يزيد الأمور تعميةً وصحياً. وهو بقدر ما يطمس حقيقة السلطة يشد الرشايق على الناس بدلاً من أن يعمل على تحريرهم. ولا تعجيب. فالتيهيم لا يريد تحريرنا من الأسر بقدر ما يريد تحرير الإسلام نفسه. والآخر القول إنه بقدر ما يسعى إلى تحرير الإسلام من الأسر، يوقتها في أسره، أي في أسر الإسلام. ولا أعني بالإسلام هنا الإسلام في ذاته، بل الإسلام كما يتجلى اليوم. إذ لا وجود لإسلام في ذاته على ما أنقذ في قراني الإسلام وحيته. وإنما لكل واحد تصوره المختلف للإسلام وطريقته الخاصة في أدائه وممارسته والفرق بين واحد وآخر، أن بعضاً قد يتعامل مع الإسلام على نحو مفتوح بوصفه مساحة حصرية أو عالماً نقاباً أو قارة معروية أو تراثاً أدبياً، أي لفصاً رشحاً للحقيقة والمضي في حين يتعامل معه بعضاً الآخر على نحو متعاطف، بوصفه سقفاً فوقها أو مصطوفة عقائدية أو قوتهم أصولية أو سجيناً جامعاً يكره الناس على الدخول إليه ويكلامهم أصح، الفرق بين مسلم وآخر، أن المسلم المقاتل لا يقبل المسلم الآخر المختلف منه في الرأي والمعتقد، بل ينكر عليه إيمانه. وينفي أن يملك بعض الحق، إذ الإسلام هو في رأيه حظيرة للأجانب، أي دائرة مغلقة، وحدهم الذين هم داخلها يتبعون لأمم الحق، وأما الذين هم خارجها فهم أهل الظلم. أما المسلم غير المقاتل، فإنه يتعامل مع الكل بوصفه يتبعون إلى الحقيقة. إنه يعتبر أن لكل واحد حقيقته وقوته كإيمان، أي حقه في أن يكون مختلفاً، أكان مسلماً أم غير مسلم، ولهذا فالسلم للتحلل من متفاده الجملد المنطق الذي





الغرب. نعم ثمة اقتباس وتأثر. ولكن الدعاية الإسلامية الحديثة يرى في تقدم الغرب صورة عن مقاييسه، فيساق بغرب من الترسيبة إلى تعجيد الذات ويدعو إلى استعادة الماضي بكل أسطنته المعرفية ونظمه الحرفية التشرعية، بينا المظهر التكراري في أمر الحاضر عن نحو منتج خلاق. ذلك أن صناعة الحياة لا تقوم على تطبيق حلول قديمة لشكلات زائلة، بل تتطلب من الأحياء أن يبتكروا حلولهم الخاصة لشكلاتهم.

هكذا نحن نعد دوماً إلى نقطة الصفر. بل نهرب إلى الوراء، لا لكي نعيد البناء، بل لكي نفلت السلف ونحلو حذو كما هو شأن داعيتنا الكرم. ليس هذا لحسب، بل إن البهيم بعد أن قرأ بأن الديمقراطية هي إنجاز غربي وصيغة خاصة بالمجتمع الرأسمالي الليبرالي، عاد إلى القول بأن لنا ديمقراطيتنا الخاصة التي طُبِّعها المسلمون الأوائل. وفي هذا ما فيه من التزييف أو التلطيح، فضلاً عن المحلل بحقيقة الديمقراطية.

ولا أنحالي أغلو أو أنصف في أحكامي. ذلك أن الديمقراطية قد تكونت في فضاء فكري مغاير كل المغايرة للفضاء الفكري الديني الإسلامي. فهي آلية سياسية ابتكرت وسورت مع نشوء سلطة مفتوحة تقبل النقاش، ومع نشوء خطاب مُعلن يستمد مسوغه، أي عقلانيته، من ذاته أي من بداهته وإشباعه، لا من سلطة الرأسمالي اللامنفردة، كما تقدم نفسها الخطابات الدينية التبرية. في الفضاء الديمقراطي يستل الإنسان بنفسه من القرى العلوية المغارة، فيخرج من قصوره المغلي ويخلو برجع ذاته والمشرع لاجتماعه مع بعضه. وبه يبرح شائبات الله وشبابه، والفهمي والديني، والسفاري والأزهري، وأجبالاً وأغرام، والإيمان والكفر... لكي تتصلر الواجبات كحبات أخرى كالمقنن واللامنفرد، والصحيح وغير الصحيح، والفاويز وغير الفانوني، والسري وغير السري، والإنساني وغير الإنساني... من هنا فالديمقراطية تغفر الانفعال من عالم اللاهوت الذائري المغلق الأحادي إلى عالم التمسك المفتوح المتغير المتعدد، وتعني غلبة السياسي والفلسوف على اللاهوتي والتكلم، وتتأسس على حقوق الإنسان لا على الحق الإلهي، وتشترط مواطناً حراً لا عبداً موطأ، وتتاق مع وحدانية للعقد لأنها تقوم على عرس الفرد لحقه في الاختلاف ولغيرته في التفكير وفي الانتباه.

إذن لا مجال للملصق بين عالمين مختلفين متباينين، أي بين الواقع الإسلامي القديم والواقع الحديث. فطالما علينا أن نؤول إلى إنتاج خطابات هجينة ملققة بنشوء حقيقة كل منها. وهذا ما يفعله كثير من الدعاة الإسلاميين: إما بإسقاط مفاهيم وصور الواقع الإسلامي على الواقع الغربي كما هو حال الذين يؤسلمون الديمقراطية ويمتريها صيغة حديثة للشورى الإسلامية؛ وإما، على العكس، بإسقاط مفاهيم ونظم غربية حديثة على الواقع الإسلامي القديم، كما هو حال الذين يفسقون الطابع الديمقراطي على الإسلام، مدافع من ذلك الجبل الذي يجعل العلوب يتأثر بالغالب ويتغير هيئته. وإذا كان الذين يؤسلمون الديمقراطية، ألبا يفعلون ذلك تبريراً لضرورة الافتتاح على الغرب والإفاحة من متجزئاته، فإن الذين يفسقون الديمقراطية على الإسلام ويسوسه باسم الغرب الحديث، إلبا يفعلون ذلك تبريراً لانتفاحتهم وانصرهم كما يسونه واستيراد الأفكار ونظم والغرب الغربية، بحجة أن كل شيء موجود عندنا ولا حاجة لنا

بتحامل مع الإسلام بوصفه فضاء روحياً أو مساحة حضارية، هو أقرب إلى التقليدين من يقبضهم إلى بعض. إذ هو ينهم حقيقتهم، في حين هم ينهم بعضهم بعضاً بصورة متداولة. ومن يقرأ كتاب الإسلام في السريرة يجد أن البهيم ينصّر في تصوره للإسلام عن نظرة أبادية ضيقة تقوم على العلي والإقصاء، كما إذا من عيه لاجل تاريخ الإسلام المقدادي والتشريعي والسياسي. فهو لا يتعرف بأن للتاريخ حقيقة وزنه، إلبا لا يتعرف بحق التاريخ إذا جاز التعبير.

•

هذا جانب من جوانب المسألة، أهمي مسألة السلطة. ثلثي إلى جانب آخر يتعلق بمفهوم التهم للديمقراطية وطريقة معالجته. لما تطرحه من تساؤلات وإنكالات والتهم يبدأ، منذ السطر الأول من كتابه، بتبرجه بقوله أن البهيم ينصّر في تصوره للإسلام عن نظرة ملققة مضطحة. والسبب في كونها كذلك يعود، في رأيه، إلى أنها ثقافة مترجمة غربية لا صلة لها بملتنا وتراثنا وقلتنا. هذا ما يقوله بخصوص مصطلحات كالصحافة والسنور والبرلمان والشعب والديمقراطية.

وبما يتعلق بالديمقراطية التي نحن بصليها، يرى البهيم أن هذه الملققة في مجتمع من دون عيال من دون تصحيح ومن دون إرسال أو سوف. هي كلام غير ضروري، بل مجرد وصفة سحرية. هكذا يعتبر ناقداً أن المفاهيم بقالت غير مفهومة وأن الكليات التي نستعملها لا معنى لها. أي: لا نعي ما نقول أو لا نخطب الواقع. ولهذا فهو يلتجئ على لعرب أن يرموا نفاظهم المعاصرة في دبريل الفناء (ص ١٨٨)، ويتكلم في الخلاصة التي ياربها البهيم في كتابه، «أهتدي بالمحقلة التي داعيتنا لا يكف من استخدام المفاهيم نفسها التي يدعو إلى ردّها ونفيها، كتمسكهم المواطن وحقوق الإنسان فضلاً عن مفهوم الديمقراطية، وهي في الواقع مصطلحات حديثة على لغتنا حقيقة عن الفكر الغربي الحديث. ولهذا فإن خطاب البهيم هو في الحقيقة نتاج ثقافته الغربية، ولكنه نتاج مخلو من الجلفة والابتكار. وهذا هو شأن أكثر الخطابات العربية التي يستند أصحابها الفكر الغربي أو يفسقون الاستفادة منه، فهم في خطاباتهم صنعة العقل الغربي ووسمته المشعقة.

نعم إن البهيم، إذ يستخدم مقولة الديمقراطية التي يتفقدنا، وإد يطالب العرب بتحقيق الديمقراطية في حياتهم السياسية، فإنه يلجأ إلى حيلة كثرية قوشها أن تشبب إلى الذات ما يبرزها عند الغير أي أن عشش عن بديل أو مثيل لما لجنده عند الغرب من الابتكارات. من هنا فإذ داعيتنا، إذ يستمد الديمقراطية من ثقافتها العربية المعاصرة، لكونها شأت في مجتمع غربي صناعي وإرسالي، فهو يتوع من أن الفكرة البرلمانية السحرية، التي هي آلية من آليات الدفاع عن الذات عند الغير، يعود إلى صدر الإسلام ليقول لنا بأن ديمقراطيتنا الحقيقية (وكان يتعصب القول: الديمقراطية الحقيقية)، قد تحققت، يومئذ، بصورة نموذجية على يد بعض الخلفاء الراشدين. وما علينا إذن، سوى استمالة ذلك النموذج المصانع أو الأصل للمكوث أو الكثر المدفون. وهذه هي الآلية ذابها التي لها إليها مفكر حصر النهضة الذين حافهم تقدم الغرب وتأثر المسلمين، ففسروا ما عند الأول من عقلانية وعصرية ومن مظاهر المدنية إلى ما أخذ من الإسلام. ولا يعني ذلك أن الحضارة العربية لم تتأثر بالحضارة الإسلامية كما يدعي أهل

خطاب
التيهيم في
الحقيقة نتاج
ثقافته
الغربية

والفكر من فضاء وفلاسة وصوفية، كما غلبت العاشائر والعصبيات القبلية أو الإيمية. وقد مارست هذه المؤسسات والعاليات دورها في التصح والتضويم والتوجيه، وكان لها تأثيراً تأثيراً في صوغ القرار السياسي أو في تعديل الحكم السلطاني. هكذا لكل مجتمع نمطه وآلياته الخاصة في ممارسة السلطة والحكمة. المهم أن ممارسة الحريات والحقوق تتناق مع الأنظمة الأحادية والتشكيلات الاجتماعية المعقدة، أغتكت ذات منطق ديني لم علاني، قوي لم طبعي. . . والواقع أن الديمقراطية لا تنكسر مرة وإلى الأبد، وإياها هي دوماً على المحك، بمعنى أنها تحتاج إلى أن تكتسب وتُمدد صيغها وتواجهها باستمرار. ذلك أن الرابطة الاجتماعية تقدر مع العصبة والقوة كما بين أس غطلون، أي هي صلبة عن «علاقة قوى» بحسب نمبر علن، الإجراع المعاصر. والقوة، يا هي منتجة لسلطة، تولد دوماً ما يضاد الحق ويضرب الحريات.

أنا لا أنكر أن التيهوم يتشخص أحياناً أدهام بصورة بارعة. يتحل ذلك بنوع خاص في بقية المتكلمين والشعبيين العرب من دهاة الإصلاح والتغيير، سواء منهم ذوق المرجعية الإسلامية القديمة من الأصريين والسلفيين، أو ذوق التوسيع الحديث من العلمانيين والديمقراطيين الليبراليين أو الماركسيين. إذ أن كلا الفريقين، برأيه، يحاولون تحقيق مشاريعهم وتطويعاتهم في تغير لواقع وتوجيهه بواسطة الكلام أو الحيل، أي بطريقة صورية مذبذوبة. ينزل التيهوم: «إن المشكلة بأسرها يتم حلها» صرخاً. يتعصر اللفع لكي تنوب عن الواقع، على غرار ما يفعل رواة الأساطير. هذا ما يقوله هي دهقة الحكمة والحكمة من فضاء، دهقة الإسلاميين. أما دهاة الديمقراطية فيقولون: «التوافق إن دهقة هذه الفكرة البديلة» يتكلمون بحل مشكلة الديمقراطية في الوطن العربي، بل يسفرون اللغة للتوضي عن غراب الحل، على غرار ما يفعل الفقهاء بالضيق (ص ٢٠٣). هذا تشخيص سليم للعبة، أهم أرواف العجز الذي يعانيه الفكر العربي بعد دهقة التنوير. ولأن أضع ما هم «التيهوم» على الاضطلاع فيها يسولوه. والواقع فلنا أرى، على ما أوضحنا ذلك في مقالات سابقة، أن التفتون والديمقراطيين العرب، يستدلون بقتلتهم وتجلياتهم وربيا استهانتهم على الواقع المرير تنزيهه، بسبب طوابيرهم وتطرفهم وتعتقمهم الحصري الاستبدادي. إنهم يسفون مقولاتهم للمسبة وأحكامهم المأهولة وشعاراتهم المستعجلة على الواقع بدلاً من أن يحاولوا فهمه وإعادة بثله عن طريق درسه وتحليله أو تفكيكه. ولهذا فهم يسهون في حبه ونفيه أكثر عما يسهون في معرفته وصنعه، وأن يسهوا ألا إذا تحرروا من سلطة الجلال المأهولة وهم إذ يتقون الواقع يتظلمون وليدولوجياتهم، إذ يتقون في النهاية أنفسهم، هم بالذات، عن الواقع الذي يتجاهلهم دوماً ويدهمهم حتى الدهور.

حسناً. إذا كان التيهوم يتشخص اللعبة كما هو العلاج الذي يترتبه لحل مشكلة الديمقراطية التي عجز عن تحفيكلها كل الدهقة التي يتقدم داهيتاً؟ ما البديل الذي يطرحه لإصلاح السياسات الفاسدة والراثتات السليدة. إن التيهوم يقول لنا بسطة وسلاية أن الحل موجود، أي جازم، من أربعة عشر قرناً، ولكننا نتجاهله أو نتصامى عنه. ما هو قوام هذا الحل: إنه استرداد الحكم المأهولة المأهولة باسمه كقائنا الشرع الجاهلي أو الإدارة السياسية تحت سلطة الله.

إلى استيراده. وهذا ما يفعله التيهوم: فهو يرفض الأخذ عن الغرب ويقت من ثقافته موقفاً دعائياً مطالباً برهيا في سلة المهملات، في حين هو يقرأ الإسلام قرائة غريبة، ولكن قرائة حبيبة، مستطاً مقامهم حديثه عن صرور وتاريخات قديمة. إنه يستغل الموقلات نفسها التي يعمل على نهائها، ويؤسس دعوته على للصادرات نفسها التي يدعو إلى عمارتها.

ولذا وجدنا أن الديمقراطية في خطاب التيهوم تُطرد من الباب لتعود من النيباك. أو قرابة. فالديمقراطية هي لغة العصر وسؤال الواقع. من هنا قمها وبكلامها في التنوير. إنها خيار مطرح علينا وديان نراهم عليه. وهي لم تنكسر بعد في موقلات وفي مجتمعاتها، ولم تكن كذلك في يوم من الأيام. هذه حكمة ينبغي الاعتراف بها. ولا حاجة إذن لرد على عثر الحقائق وتسمية الأشياء بغير اسمائها. فها هم الاسلاميون يملئون بالتم اللان رفضهم للديمقراطية. فلان معدتهم الفكرية لا تفيج للفترة من اسمائها، كما يسفون عن تعريجات الاسلاميين الجزائريين. وأنا أقول هذا هو موقف الاسلاميين لا الإسلام، لأنه لا وجود لإسلام في ذاته يمكن لأحدنا أن يلمه إدراكه واستحسانه لطلب باسمه على ما لفتب في قرائن الإسلام. والأمر أن أقول: هذا هو موقف المسلمين المعتاديين للتفتين على أحكامهم التصيين لدهامهم. وهذا الموقف ليس بجديد. إنه إعادة انتاح للموقف القديم إلهادياً على نحو أسوأ. وأني بذلك موقف من شُرا أهل السلف من العللة والحلدين، والذين أوتر تسميتهم أهل الانغلاق، وهم الذين وقفوا موقفاً دعائياً من التفكير الذي انطلموا في فلسفة اليونان وتكرروا بها واشتغلوا بها. وهكذا نكنا أن أهل السلف من المعتاديين قد حلوا قديماً على الفلتنة وتوسيعها بالكثر والإجادة، فإن الاسلاميين المعاصرين يسهون الديمقراطية الوصية نفسها، أي بالإجادة، كما أعلن بعض غطاء المساجد من رسالات الدعية الإسلامية للانغلاق في العاصمة الجزائرية^١. إذن نحن إزاء الموقف ذاته من فكر الغرب وفلسفته، لأن المنطق الذي يتحكم بالكتب هو هو. إنه منطق حصري يجمع على تسبيح اللات هتافاً بغي الأعر واستبداد المختلف. وإياها لسلاية أن يعتقد دهاة الديمقراطية والماسون إلى تلمسها عن الثقافة العربية والوحي العربي، أن الحركات الأمولية التي تسيطر على ساحة العمل الإسلامي الآن، يمكن أن تتحل دعوته أو تتفتح على طروحاتهم. وأن يكون صير هؤلاء الدهقة في اللجمية والأمولية إلى الدولة الأمولية، ولا أتزل الإسلامية، أفضل من صير الحسن بن صدر أو أحد من بلاء أي سيكون قصي أو الاستبداد

ولا يعني القول بأن الديمقراطية هي ابتكار غربي، أن اللجمية الإسلامي لا يعرف الحريات قديماً. فالديمقراطية ليست الآلية الوحيدة للإمرارة الحرة. ولا يُقبل لتشكيل اجتماعي، كالتشكيل الإسلامي، أن يسود ويسطر وأن يترده في الإنتاج المعلمي والفكري وأن يتصدروا واجهة العمل الحضاري على مدى قرون طويلة، لو لم يكن يتبع لأفراد ويصوغه ممارسة حرياتهم وحقوقهم بشكل من الأشكال وعلى مستوى من المستويات. ولا شك أن المسلمين متأخراً عنهم من خلال مؤسسات وأشكاله وفاليات كانت تترن ما يمكن تسميته تنكذ مصادر الشرعية في اللجمية. فلل جانب المؤسسة السياسية التي كان يقوم بها السلطان الفرد الحاكم بقر الله أو بامر، فهنا مؤسسات وقوى أخرى فاعلة كان لها مشروعيها تكتلت بأهل العلم

لم يكن الجامع مكاناً لإدارة شؤون السلطة على ما يتخيل النيهوم





انه لا يجتمع في الجامع سوى المؤمنين للمطيعين لله ورسوله ولأولي الأمر، أي العلماء والخطباء والدعاة. في حين ان الديمقراطية تنترض ذاتاً حرية قادرة على عمارة التفكير وصوغ الموقف من دون أية مسبقات إيديولوجية أو عقلانية، أي تنترض ذاتاً حرية الأول إنتاج معرفة بالواقع، لا العمل على تطبيق أصول مقررة أو أحكام جاهزة. هنا فإن اقتراح التيهوم لا يفعل سوى ان يثبت سلطة العلماء الذين ينتقدهم، أي هو حل يخدم في النهاية الذين يريد تحرير الاسلام منهم إنه حل يعيدنا إلى الوراء بدلاً من ان يدخلنا إلى الأمام. هذا إذا حلنا اقتراضه على محمل الجأزة، أما إذا لم نحمله، فستمر مجرد نكتة من نكات الاستاذ التيهوم.

ولكن هل الحل يكون في استرجاع الأصل المكيوت أو المسي؟ لا اعتقد لأنه لا يمكن ان نتخبط في صناعة الحياة الحديثة بعدة فكرة قديمة. لا يمكن ان نكتنه واقع الحال المعاصر ورؤى مغايب قديمة بالية باتت أعجز من ان تُعسر أو تملأ، ولا يمكن ان نسي اجتماعاً ونؤسس علاقاتنا، سواء بيننا أو فيما بيننا وبين بقية الدول والأمم، من خلال أنظمة الفقه ومظالمات القيم التي كانت سائدة في العصر العباسي. باختصار لا يمكن تبني معايير ومبادئ ومؤسسات وأليات تنتمي إلى نموذج حضاري استنفذ طاقته وفقد فعاليته. هذه حقيقة ينبغي الاعتراف بها. فكل عصر، ولأقل لكل فضاء حضاري لغته وحداته وبيئته التي تعيش في أجواء الحداثة الغربية بكل ديماسيكيتها الفكرية وثقافتها للحرية، وإبتكاراتها العلمية، ومع ذلك فإن بعضنا يصر على تجاهية المشكلات التي تطرحها علينا حيننا الرضاة بصلاح كبريهم، أي بالاعتنا على المورث السند من الاتساق الهرمية وأساسيات التنظيم الهرمي، والتهوم، إذ يفتح العقول إلى الجامع إنما يفتت الحل السهل، أي الحل، وموحيهم بذلك مثلاً ما في تونس الفكر الاسلامي، وتصوره، أي حيزه، من عمارة نشاطه وإبدائه في ابتكار الحلول والمشكلات.

إن الحل لا يعني رمي الثقافة المورثة في سلة المهملات، أي لا يعني رفض متجزات الحضارة الغربية، كما لا يعني تقليدها واستذاعها. لأن تقليدها لا يتيح سوى المسخ والنشوء، ولأن رفضها يعني الغفر فوق الحقائق، أي يعني عصى البصر والبرصية، فضلاً عن ان هذا الرفض هو موقف مستحيل، بل هو زيف تيهومي في وجدونه وحل حساب وجدونه، ذلك ان الحضارة الغربية، أي سليمان بالذات، إنما هي نقداً بأساليب الحياة الحديثة، من أدوات وأجهزة وسلع وخبراء. ولكن الحل لا يعني أبجساً تقليد المسافين في كل ما ذكروا فيه وصنعوه، كما لا يعني في الوقت نفسه نفي التراث. لأن نفي التراث مستحيل أصلاً، إذ التراث هو تراثنا وأرثنا التي لا نملك النفي ونؤثر في فكرنا وسلوكنا. ولأن التراث مع التراث الكليّة يُعدّ خروجا من العصر وتوقفاً عن الحركة وصحراً عن الحلق والابتكار، فضلاً عن كونه لا يتيح سوى حلول عقيمة تمتدّد المشكلات المعقدة بدلاً من حلها.

ولذا فالمتطلب ان تستجيب لتحدي الذي يهاجمنا به واقعنا: كيف صنع دولتنا؟ كيف تفكر بحرية ورياس وجدونا بقوة؟ هذا هو السؤال الاستراتيجي، كيف نتبع معرفة وعلمياً بالواقع؟ كيف نتعامل مع واقع الاسلام المعاصر بصورة فعالة مستجيبة؟ أي بطريقة تؤثر فيها بالأحداث كما تأثر بها؟ ولن يكون ذلك إلا بالخرج من حال القصور، أي بالتحرد

ومنا أيضاً يقدم لنا التيهوم مثلاً جديداً على ما يمارس في خطابه من الحجب والوهم، فضلاً عن الطريقة التي يتطوى عليها الحل الذي يفتقره.

أقول الحجب والوهم، لأن الجامع لم يشكل يوماً، على حد ما نعلم، مكاناً أو مؤسسة لممارسة الشورى بين جمهور المسلمين. فالشورى على ما مورست وحسن مورست، إنما مارسها، يوماً، أهل الحل والربط من الساسة والعلماء. فلا ينبغي إذن ان نسي أوعلماً حول إمكان ممارسة شوري مباشرة بشاركة بين كافة الناس بلصح للجامع وظاهراً وأولى هذه الوظائف انه يشكل مكاناً علمياً تآدية مرضية في ركي من أركان الدين؛ والثانية انه يشكل ويمكن ان يشكل مكاناً للتدريس وتحصيل العلم، وهو يشبه من هذه الجهة المدرسة أو الجامعة وسواهما من المؤسسات التربوية والعلمية الحديثة. ندم في الجامع جميع المسلمون، على جميع الطبقات، حيث يمكن إلقاء خطاب بلقيها أئمة وعقودون أو حكماء وسلاطين. ولكن حقيقة الجمعية تشكل عمارة شورية أو ديموقراطية، فعند حدوث السيفقة حتى اليوم والأمر نعم، في الغالب، خارج القاعة ومعبداً عنه، فضلاً عن ان انضم إلى يكن يتم بمنطق شرعي صرف، بل كان ثمرة لتوازن أو تجاذب بين العصية والقوة من جهة وبين الأسيد الشرعية من جهة أخرى، أي بين الفقيه والسلطان. ولذا فإن استمداد أن يكون الجامع شكل، فيما إلى جانب السلطان. وهذا هو استمداد أن يكون الجامع شكل، فيما مصر، مكاناً يتداول فيه المسلمون شؤون السلطة والأداة، على ما يتخلل الأمر الصادق التيهوم. وأما اليوم فالجامع هي أئمة بالجامع الحزبية لدى التنظيمات اليسارية الماركسية أو القومية أي هي الحركة تستعمل أو تستعمل لتجريب التكاثر الحزبي والشملة السبب لدى الحركات الاسلامية. ولا يمكن ان يدخلها إلا ماصح متحرب أو مؤمن متعصب، إذ هي تخصص لسيطرة السطراتف بل للتجمعات والأحزاب الأصولية التي تتحجر استخداماتها وتستهزمها في خدمة استراتيجياتها بعد ان قامت بتأميمها واحتلالها. وهكذا فكلل جامعة أو تجمع أو حزب مسجده الخاص الذي يمارس فيه فرائضه الدينية وشاغلته الايديولوجية أو السياسية. وما على التيهوم إلا ان يأتي إلى مدينة كبرىوت لكي يتحقق من الأمر بأمر عينه. ولذا نذهب بعيداً، فالاسلاميون الممارسون يرون هذه من الجوامع بالذات قائلين له: الديمقراطية وراء بالنسبة إلى عقل المسلم لا يمكن علاجه إلا بالصادات الاسلامية، التي هي دولة الخلافة أو ولاية الفقه.

إذا كان التيهوم يسأل: كيف يحقق المسلمون شعار الاسلام في الواقع والمثلية في ظل نظم استبدادية، فأتا أسأله بدوي، كيف يحقق المسلمون الشرع الجماعي، أي الديمقراطية، في الجامع، في ظل حركات اجبروتية تضع يدعا على الجوامع وتعتبر ان القول بالديموقراطية هي إلهاد، أو مؤامرة على الاسلام؟ وأسأله بشكل خاص: إذا كان الاسلام الصحيح يعني العدل، فبمطى طيلة هذا التاريخ للديك كان يزعم هو، فكيف السبيل إلى ان يطبق اليوم؟ أو هل يمكن ان يطبق اليوم وهو لم يطبق بالأمس؟ هذا سؤال لا يطرحه التيهوم. لأنه لا يطرح أسئلة الواقع والتاريخ. بل هو يقدم أجوبة مثالية ومغايبات مسعرة نفي المشكلة بدلاً من حلها. مثلاً بذلك الذين ينتقدونهم. والأهم من ذلك ان التيهوم يريد عمارة الديمقراطية في الجوامع. غير

الحل ليس
مدفوناً في
بطون التراث
بل ينبغي
صنعه ونتاجه



من المفاليد والأيديولوجيات التي تصدر العقل وتعطل الفكر. ان يكون إلا ابتداء نموذج جديد أو بناء صيغة منكورة، أي تأسيس مرجعية جديدة تمكن بواسطتها من قرأة التراث واستثماره بتحويل المعرفة بالنصوص القديمة من معرفة ميتة إلى معرفة حية، كما تمكن في الوقت نفسه من الإفادة من منجزات الحضارة الغربية بأقلتها مع اللغة العربية وبقيتها في الثقافة العربية. نعم إن الحل هو أشبه بالهجرة، ولكن الهجرة لا تنقل ولا تقلد، بل تخرج وتبتكر، وتقلدها هو عين الهجر. ولهذا فالحل الذي نبعث عنه ليس مدفوناً في بطون التراث بل هو حاضر لكي نقتله من الفكر، وإتينا بنيتي صمته واتجاهه.

وما دنا نتحدث من الديمقراطية، فإن الديمقراطية عبارة تقوم على الحق والحرية، كما تقوم على الانتاج والتبادل. ولهذا فلن نأمر ديموقراطية ولا حرية، إلا إذا نجحنا في إعادة صياغة الديمقراطية فيها نحن نضع علنا ونعيد صياغة الواقع السياسي، بحيث تقدم صيغة ديموقراطية، جليلة منكورة، تشكل نموذجاً له طامعه الإنساني، أي يمكن للفرد ان يتطلع اليه أو يفيد منه. ولكن يبدو ان التهموم لا يريد لنا ان نبتكر ونجدد، كما لا يريد لنا ان نعيد من الغير ونواصل، بل إنه ضد التبادل في عصر توصف بأنه عصر التبادل والتواصل، تبادل السلع والأدوات، وتبادل الأفكار والمعلومات، وتبادل الأشخاص والكائنات. وهذا يعني للحكم على الحل الذي يقترحه التهموم على العرب والمسلمين بالقتل والعظم، ذلك انه لا يمكن لأي تشكيل اجتماعي دينائكي قائل ان يتبنى نفسه بنصفه،

ولا يمكن لأي مشروع حضاري ان يتبنى ويحرم، بما لم يكن أصحابه وحلفاءه قد عين على إقامة التماسك وتوسيع التبادل إلى أقصى حد ممكن، سواء فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الآخرين. بالطبع ان التهموم لا يرفض تبادل السلع والأدوات. فهذه مطلب غير ممكن، لأنه يعني ان يعود أحدنا إلى حياة هي أقرب إلى حياة الوحش في البراري ما دام معظم السلع والأدوات التي نستهلكها نحن الآن هي من انتاج الغرب. فهو في الحقيقة ضد التبادل الثقافي، أي أنه يقبل الإفادة من الغرب بتبني ورفض الإفادة من فكره ومعرفه. إذن فمشأوه هو: نعم لتبادل السلع والأدوات، لا لتبادل الأفكار والنظريات. والأصح ان نصرح هذا الشعور بصياغة أخرى بجملة واحدة واستيراد كلمة كـ "تبادل": نعم لاستيراد السلع والأدوات، لا لاستيراد الأفكار. وهذا هو الشعار نفسه الذي يرفعه دعاة الانغلاق الذين يحثون التبادل الثقافي والفكري استيراداً عقائدياً، أي فكراً وإلهاداً. والتهموم يشت مره أخرى، لا أخيرة، انه يفتق في صف الذين ينتقدونه وعبراً من دواوينهم.

ولو كنا دعائنا بصحنا إلى الحقن والابتكار والانتاج بمعزل عن الغرب وسلطانه الفكري، فأن الأمر... إلا أنه يفضنا على تجاوز مثل هذه المهمة، لأن الحال، برأيي، موجود منذ أربعة عشر قرناً على ما اتضح وتقدم. هكذا فهو لا يريد لنا، نحن المعاصرين من العرب، ان نتبكر الحلول المستلازمة لا يعاينها به واقعنا من التحديثات والشكليات، بل على إدراجنا إلى القضم، إلى القوة الأمورية ذاتها، أي إلى سلطة السلف والنص والمغالطة الموروثة، في حين ان المطلوب هو ان نأمر حريتنا في التفكير والتفكير بمعزل بل ضد كل

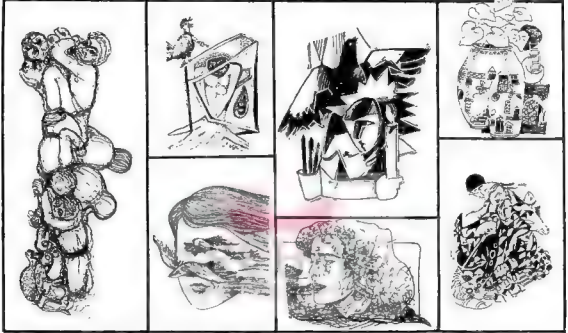
سلطة تجرّس على الفكر آلياتها في الكبت والنسج أو في الحجب والتهموم. أكانت سلطة التراث أم سلطة الحضارة، سلطة النص أم سلطة الحاكم.

ولهذا فإن التهموم يموم المشكلة في الأجرة التي يقدمها. فهو لا يسعى إلى تحريرنا وتحريرنا، بل يعمل على تثبيتنا وسيئنا في هذا الكتاب اللسي: الإسلام في الأسر. وبثله في كتابه مثل القائل: "النفس هي في الأصل حرة طليقة، ولكنها سُحبت في سجن البدن، فالطبيب فك قيوده وخرجهها. في حين ان الحسد هو في الحقيقة سجين النفس، أي سجين أفكار ومعتقدات، أو عزمات ينجي تفكيكها بنية التحرر من سلطانها وروبتها. وهذا هو شأن القائل بأن الإسلام هو في الأصل شرعية صحيحة عادلة، ولكن أهله بأسروها، فالطبيب تحريره وتطيقه بشكل سليم، إذا أردنا ان نجد علاجاً شافياً للشكليات. في حين ان المسلمين هم في الواقع أسرى إسلامهم، أي أسرى أنماط وتصورات وصور وكتابات أو استهتات بنيتي تحليلي وتفتيكية، إذا أردنا ان نأمر الواقع ومعالجة المشكلات التي يجابه شكوه من حين من كتائه الواقع ومعالجة المشكلات التي يجابه بها. وكما ان القائل بأن النفس هي سجنه البدن، يجب كون جسده هو سجين نفسه، كذلك فإن القائل بأن الإسلام هو في الأسر يجب كون المسلم هو أسير إسلامه. أقول وأؤكد مرة أخرى: أسير إسلامه.

وأيضاً الإسلام، إذ لكل واحد، فرداً كان أم جماعة، تصوره الخاص وقرائنه المختلفة للإسلام، كل واحد يأسر إسلامه الذي يستلذه من الإسلام المختلف أبداً عن ذاته باختلاف ممارسته والكلام عليه. ولا يعني هذا التصور للإسلام أنني أشكر وهو جود إسلامية، كما يعلن بعض الناس بقرار ولا يفقهون. وإنما المقصد ان الإسلام لا يمكن اختزاله إلى مجرد مذهب فلهي أو منظومة عقائدية أو نظام سياسي. ليس هو جسيمة فكرية تحوي كل جميع الحلول لجميع المشكلات كما يتصوره بعض الدعاة، بقدر ما هو بشكل، تنصيص ومؤسساته وقواعده، إمكاناً للتفكير، أي معطى ثقافي ينجي درس وتحليله، أو راسلاً وزيلاً بنيتي صمته واستثماره. وليس هو سفاً عاماً فكرياً متساكاً كما يتصوره بعض المفكرين، بل هو سفاً عاماً ثقافي يختلف أنظمته المعرفية وتمدد اتجاهاته الفكرية. وليس هو أمة واحدة أو دولة واحدة أو جماعة متراصة، وإتينا هو كلية اجتماعية متمثلة تقوم على التبادل والتلاحم والتواصل، كما تقوم على الاختلاف والتنافس والتفرض. نعم ان للإسلام هويته، ولكنها هوية مركبة متعددة، واسعة، متغيرة، مصنوعة، ينتمي إليها كل المسلمين الذين هم غفلة من تصوره للإسلام كقيمة عارسته أو التعامل معه. فهم من يغلب في الجانب العقائدي والمفكرسي أو الجانب الثقافي والمفكرسي أو الجانب السياسي والسلطاني، ومنهم من يغلب الجانب الأمي والاعلامي أو الجانب الثقافي والعرفاني أو الجانب المثقني والمثالي، ومنهم من يبرز بصورة أخائية صيغة مثقفة غير معترف إلا برأيها وذهبي، ومنهم من يبرز بصورة مره مسجدة مفتحة على ما يغفلونه في الملعب والمعتقد، بل على كل البشر، منهم من يتعامل معه كسج مثقلاي أو سجين فكري، ومنهم من يتعامل معه كالفكراني، على ما يتصوره ويدعو إليه المورخ السلفي وجيه كوزاني. □

- (٥) صدر الكتاب عن دار الريس للكتب والنشر، طبع بمسلة.
- (٦) كتاب التبادل، ١٩٩٠
- (٧) إقدام الصلح تصحى إلى كتاب التهموم.
- (٨) ردة الرد في كتاب التهموم، وهو بعنوان: نعم لكان الإسلام حسة
- (٩) على ما قرأنا لك في الصفح
- (١٠) راجع صيغة "الجهار، البربرية، العدد ١٩٩٢، السبت ١٩٩٢/١٩

٤٣ قصة من ١٣ بلدا عربياً قصص جديدة



أن أماكن عربية جديدة لم تكن معروفة في كتابة القصة القصيرة قد بدأت بانتاج نمط قصصي مميز، وله تلمحة خاصة.

والقصص التي اتسع لها اللقب لا تختلف نوعياً عن بعض القصص التي حُببت، والتي سجدت طريقها إلى النشر في أعداد أخرى، إلا أنها وبالنظر إلى الشروط المختلفة التي أسقطناها، تتنكب مسؤولية التمييز عن لفتاخ العام، بمختلف تنوعاته. مما يساعد في تظهير بعض الملامح للقصة العربية الراهنة.

ولا بد من ملاحظات أولية أساسية على هذه التيارات المنشورة، فقد نجد فيها بداية محرو من القائل الأدبولوجي، وتوقاً إلى معانقة الواقع بتجلياته الصارخة. كذلك بلوغ بعضها إلى التخلف من أسلوب التداخبات المطولة والثر المرسل اللذين تقدمنا لوقت طويل وبخطاظة جسد القصة القصيرة، الذي لا يتسع أساساً للضيق. مع بداية ميل إلى التمايز والمفردات المحلية الخفية، بعيداً عن الاستمالات الأدبية أو المكبرات اللغوية.

كذلك هناك عودة للمجرة والطرقة والمهارة التي عولمت في السابق معاملة الآين غير الشرعي، لضرورة الانضباط في المسيرة التحريضية والغضب البشري أيضاً ثمة لفتات للقصة نحو مكانها الخاص، بجنته وذاكرته، وهي الفتاة بدنية، بدوها لم تكن القصة - أية قصة - لقي التور، اللهم إلا أن أراحت أن تكون تقليداً مسخاً وخالياً لقصص أمكنة أخرى.

■ تنابع «النقاد» مرة أخرى فتح ملف القصة العربية، أياً ما فيها وكشف النص الأدبائي، والمكانة المرموقة التي تحتلها القصة العربية، واستكمالاً للفتات «النقاد» السابقة حول القصة، حين أوردت عدة ملفات عنها: المغرب (العدد ٨)، السعودية (العدد ١٤)، مصر (العدد ٢٧)، قصائد عربيات (العدد ١٠)، ثم العدد الخاص بالقصة العربية (العدد ٢٨).

وقد انتخبت «النقاد» هذا الملف القصصي العربي من نصوص وصلتها من غير تكليف، مفسحة في المجال حرية الإبداع القصصي من كافة الأنظار العربية.

وتفرد «النقاد» هذا الملف على عشرين (أيار/مايو وحزيران/يونيو ١٩٩٢) ليستنى للفرء والفتاد والقصصين قراءة هادئة وحررة لهذا النتاج الأدبائي لغاضين جدد ونحضرين.

ورأينا في هذا الملف أن تقدم «النقاد» إنتاجاً متعدد طقراً وتوابعاً اغترافاً من القصص التي تصلنا، وساعاتنا - قدر الامكان - تنوع الأصوات والأساليب، والمخاطب على مستوى مجهول في جودة القصص المنشورة، رغبة منا بتقديم بانوراما مصغرة عن اتجاهات وتيارات القصة العربية الجديدة.

ولقد اعتمدنا بشر الأسماء الجديدة، والتي نرى فيها وعداً، جنباً إلى جنب مع الأسماء المكرسة، كي نلقي ضوءاً أكبر، ونعطى فرصة أوسع للجديد الجديد، ولو أدى ذلك إلى إغفال بعض النصوص التي تحمل قيمة فنية لقصص معروف. كما أن التنوع القطري فرض علينا - أحياناً - تنازلاً في نوعية النصوص. وهنا لا بد من الإشارة إلى



ذات ظهيرة

خليل قنديل



■ الظهيرة كاملة الحضور، وعمود الضاري كعادته في كل ظهيرة يجول أن يتأقش مع الأمكنة في المدينة . . . يختصرها حتى تصبح بحجم القضة . . . لينة قابلة للعناق . . . للشم للعة . . . كعادته يجول برغم خطوات المرتعة أن يتجاوز همس فاطمة له هذا الصباح :

- ارحم نفسك من الحيرة والشرور . . . أنت هربت يا محمود الضاري . . . هربت . . . وطيلك أن تقضي بجانب أحد الجدران وتنتظر عروائيل

يتذكر أيضاً كيف يوفق وسرته حد الفول، وجولة غريبة خلقتها أزقة هذه المدينة وساحاتها وأنه بدأ يشك في أن فاطمة بدأت تعرف كيف توفق هذه الجولة بالتصغير والتخمين

يتذكر كيف اقتضى عليها هذا الصباح كشويه . . . وكعس اعصره احتضارها له بالشراسة دافيا التي تلتقي بها لأول مرة حين أحدها الزيف المجاور نحو عطف الباصات . . . تلتقي عذولة غنط حاليات من الجوار، بحالات من الزهر الذكري الكفاني في الأثنى وكيف ساقها نحو سقيفة وهي لينة متعشدة لسهرته . يتذكر كل هذا ويمهم

- يا فاطمة . . . أنا عمود الضاري سيد هذه المدينة وملكا المروج هذا الشارع المندد أمامي ملكي . . . هذه الحواشيت . . . هذا الفراغ الساخن كل شيء . . . كيف يمكن أن تنتهي هذا . . . مستظليل بتراب قال هذا وأحس بشغفه غامضة تجاهها

لكنها الظهيرة الجمادة والشمس تسطر على الأمكنة ويلقح المجر كل شيء والمدينة بدأت بالانسحاب الموقت من ضجة النهار تطلق الحواشيت ويسمع محمود الضاري صوت الرجاج الأبواب ويراقب الأبواب وهي تاندس شكلاً غريباً ساكتاً، يراقب أيضاً بجول الرصيف وهو يترغم في ظل غلف غير مكتمل بينا الفار يدوس سائداً في ملح ذات سبط غير سميك . . . وهناك عند نهاية الشارع تتكون صور شيطانية حالات غير متوقعة يشهها السراب .

يمس عمود الضاري وهو يودع بقايا الأثر الذي تركته (رومية) الكونيكا التي خلفها في أمهاته وعلى الرق.

- يا للروشة يا محمود . . . كبرت المدينة واحتضت نصعها الذي تحم أساء القمحة يعمسون فجأة بأنفهمم الرفيعة وشواريم الخفية يجمعون سوارت تم يعودون سيارات فائرة وشوارع وأبنية وتبقى على حافة المدينة أنت وماطمة يتذكر كيف وأتته المبركة ذات مرة أن ينف في وجه الحرافة التي

كانت تقف عليه كحيون حراي كي تهدم مطعم . . . أو وجدو لفلول - لكن الشرطه وأذره مسحوا من أمامه وهو يشم ويجول أن شرع هم علامة لمطعم أو وجدو الفول . . . بالنصاحات المطرة العاصات الضعب التي يحميه الخمص المسقوشة منه (أو وجدو) في تلك الصباحات بحرته تلك الظهيرة الكسولة التي كانت تسدل الـ المطعم .

أمكنة كثيرة حذفها أصحاب السحس التحيلة من المدينة . يعصر على أسناته : المنة

استدث دراعه نحو رومية . الكونيكا - لاس جيبه أحسها وهي تختضب من حركة ساقه المرتعشة . . . وهو يخاطره (بار آرزين) . . . (بار آرزين) بقي كما هو شاعراً يياظته الخشبية . . . وبالأقداح الخشبية البرزة في البلفطة . . . ويلاصق آرزين البقلة كل صباح . . . وتلك الفزاع التي كم نسي أن يترها وهي تحت بأصابعها التحيلة كي تقبض على الحمة والثلاثين قرشاً . هذا الصباح . . . أحس بالقمص . . . آرزين يقول غطياً أحد الرماث الذي هذه أن أهد من ثمن رومية الكونيكا بأن يخرج من واجهة البار الزجاجية .

- خلها يا ابن الزانية . . . كيدل لسة أشهر فقط . . . ويدهم المنة . . . هل علي محمود الضاري أرجل حرجي في البلد .

أصمك محمود الضاري بالرومية وهو يجول أن يتذكر في أي الامتاعات بار آرزين ولرح لأن الرومية ترقد بكل هذا الحنوتي جيبه .

هياكلت . . . ربه بمخاها . . . ثمة استعطافات بطيئة لأجساد يبدو أن المدينة لا تخلطها في هذا الوقت . . . إنها الظهيرة بقطة مترعبة والأماكن تفقد حورها تماماً والمدينة فدت ضجتها كأنها روحها سابت . فقد الأصابع المرتعشة الأصابع التي أكل أطرافها السوق . . . نحو الحبيب الرعجيجها . . . جيبه . . . يدلفها في أمهاته حادة لأدعة نلهم يبعث الفارعة ينطق لمر في دمه - فاطمة - يتقاف إليها هذه المحطة لكنها تلهو بجأة . عاصرة فراغ الظهيرة وتحدث هذه المرة صبر عن

- تصاق مؤقت . . . تنزل مؤقت توقف عن التدفق والانسمرار والفضجة وبعدها يعود كل شيء إلى حالته . . . لقد دعوا من أمل أن تنقدهم شمس العصر التي لا بد وأن تمنح للسما لتلك البلفطة التي يفرغها نوم الظهيرة في الوجوه . للبل الذي تنقذه الأيدي أمام الحواشيت

همس هذه المرة بقسوة من بين أسناته : ما الذي فعلته الحمة برأسي هذه الظهيرة - أي شيطان يلتقي كل هذا من أين تنبث كل هذه الأفكار .

عائد الحمس برغم الارتباك الواضح في خطواته وحالة الدهر التي تسرته إليه حمأة .

- نساء مختللت السوق يوفق المساء فتبات يحملن في صدورهن صجة الصبا وترق للمسات أصوات باعة . أدرك وانقطاعات خفيفة - ملاصقات . سكرتيرات وأقافون . صالحيك وعندها سوف تسقط هذه الظهيرة

لكنها الظهيرة الآن لا تخضع لأي مساومة إنما تحط على كل شيء وتلك الأمكنة - الشوارع شبه خالية بعض الحواشيت ما زالت أبوابها مشرعة يتحل أصحابها بالبعد . ريباً تخافوا لشجار متوقع ثم زوجة أو معاندة للظهيرة التمزوية الجارحة . وعمود الضاري وحيد يجول أن



تتورى مع الأمكة وأن يتفانق مع المبداء الذي يحتل منتصف اللحية ويغمر بأنته هذا الكبير الذي يدرك هواء الأمكة جميعاً ويدرك تماماً أين تكمن الروح التي يحس بها السوق ذاتاً خير أعفائه ورماً وهو يربط هذا الشوارع الذي يبدأ فيه أتيفاً يعرفه تماماً ويعرف أنه كلما اتجه شرقاً تخلف من اتساع المدينة وسر الروائع ودخل في المكان المريح، نحو تلك الوجوه الناعمة التي تجلس في الشرفات الأنيقة وتطل من التوافد كأنها حلفت للثر.

يضحك محمود الضاري للشارع النحيل المسفلت تحديلاً في بدايته ومن ثم يمتد عوارضاً بلا حافيات ملاصقة للجدران ذات البوائف الواطئة ويصاه للفصل والبواليع والأرباع الصغيرة الحافية.

يشي محمود الضاري في الوسط الدائري للميدان تحت الشمس الحارقة يندكر فاطمة تختلط مع الأمكة. يراها في زجاج واجهة أنيقة لحمل تجاري أو طويلة كفساء هذا البناء الشامخ الذي يواجه أو غردوشة تماماً مثل بعض الأربعة يعاند محمود الضاري الظهيرة بالغفاه يخرج صوته مشروفاً ينادي فاطمة ينادي الحواشي بمصاحبها. يذكر أسماء ألباعة كانوا متخبطين مرحولة مع. يذكر جنازات باغثت الأسواق وجمدت الحركة فيها ينادي أسماء لساء اخترن المدينة وعين فجأة يسادي على أربعين. تآكله الحسرة على صيله. . . وعلى صحة الأسواق، تنلش حركته الرافضة مع صوته وقاماً مثلاً يجلت كل يوم تقبل عليه سيارة النحلة ترتقب ويهبط منها الشرطي ذاته يصهم بالكلبات ذات.

يا ابن الفاسقة يا محمود الضاري أن تكب عن ترحالك. لكن هذه المرة وعندما اقرب منه هوى محمود الضاري بجناحه صامداً لا يهبط يديه وقمعه صامداً كأنها يحاول أن يعض الأنيقة بيده طرفة شائسة تطلع نحو الأرض يتحد غريب. ©

سهرة عائلية محتشمة

صادق عبدالحق



■ شلال من هواء أخضر اللبليل يشدق عبر النابضة القلبية فيفصل الجسم العاري من جنون الصيف المتصرم، (وأي صيف؟! تكري جنون جمراته لما تزل)، هواء يتدفق كمشرة أقيّة حواتية صممت حصيصاً لنسل النيام إنشاء تزوهم. كان الليل قد أرفف أعضاه، وناد بكله (ما أجل قول ذلك البدوي الشاهر الساهر). وافتة تصدحت وصاحتها، تنثدت عن دخول إحدى الاغيات قائمة العشر الأوائل (التوب ن)، تلك الأعيّة التي تمسها. لم يفته

أن سهاماً مرت في الانجهاير. أطلق سهاه هل أصادت؟ أطلقت سهاها. أصابته دون ريب. كان بيت مروحية أصبعية معلقة بحجم ماكينة الخياطة تُوجه إلى الرصه تنطعي هواء بارداً كهواء التكييف البرد. عباها الصاحتان معجبان بالآلة الصغيرة المعجبة. هو يضع حسمه كله تحت فتلة عبيها: عبي فتلة الأيكة محبلة، تنصاحت هل أستطيع؟ شكر في سره مبتكر الآلة تناولتها من فرج ظفولي. قرّبها من وجهها. طوّرت بها خصلة من شعرها المرسل تشمتها. ثم يلبث لبسها وصعت مدمها الباتة في معها، ولبسها بملابسها. هل مروتها لصاحتها؟ لا يذكر. أنها هي أعادتها إليه. أخذها منها. تأملها كأنه يكشفها لأول مرة. وشعها في فمه، وتأكد أنها تعمل عمل التكييف البرد. أحس بالتمش في فمه يسري إلى ريشه وإلى حواسه جميعاً. كانت متغلة بالاعجاب بالآلة الصغيرة، وملينة بالفرج، صاحبها لم تعلق. كانت فقط تسم. تلوقت إصبعها مقلدة وتقهقمت مرسله إليه الأصعب للبول ليتنقته، سألها في مسمع صاحبها: إذن كنتا تحسن معاً؟ أورات موافقة، تندق أصمها للبول ترتفع. سألها: ولكن ما اسمك؟ أجابت مقهقهة دون تردد «ولم بك». تعجب من الاسم ومن إضافة اللقب إليه. قيل لسمه أنفها تشتمه. اعتكر لسانه في زاوية فمها. دهنه فرحها فحلله المرح وإباحا في جوف السمته. ضوه خافت بعيد التي ظله فلوها حملها المرح إلى الأعل. طار. صاروا طيرين، التي بيا من عل. سقطا.

مبهور الأنفاس وجد بهه يطفو وحيداً: كان وحيداً طالما فوق حة من الماء والسمك. **حق الشبه**، **حق الشبه**، **حق الشبه**، رأى في رؤيته قاسم سمعت عنه معظم المعاء إلى ناحيتها تغطي وأخذك لقرائته الملقح الميتين.

لم تكن الخلسة في بيت مدام رنقة سهوة بللمى التقليدي، كانوا أربعة أو خمسة عدا الضيفه وروبوها، تظاهرت اللدام بالخزن رغم أن أياها المتري منذ أسبوعين كان قد تجاور الثباتي وأتمب بضجيج مرضه أولاده في الكسوت والماتيا (وراء وساد النهر)، لكن الأصول هي الأصول. زوجها البحار البولوني غير قادر على الاقتناع بأن قضي الجلسة بلا شراب. الطائر الذي كان في الجلسة كان طائراً غريباً كاه للكرة الأولى، أصغر سناً من المشوي العام للضيوف. كيف يمتزج لون الس الاشر بلون العسل مثلاً؟ أو لنقل بك لا تعرف هل هي فلم يعودا بفكنا. ويصرى عنها نائماً متحداً منحدراً وبتحداً مع تحة الصدر التي ما لبثت المصفاان المصفاان أن طوفا وسط يستريح طرفاه على صدرها المرتفع، ولم يستطع اللباس القائم المصفاان أن يحول دون إدراك كم هي فنة، وكم هي في الأصل من ترى يكامل عيالها في المايه القططين مثلاً: الجسم الفني والعمق الجميل والشعر المرسل. فإذا دخلت في التفاصيل أكثر فأنت عجم كذبك اللذين للتأليل الرومانية أو اليونانية المظفة. في لمعدع المواجه كانت دون ريب هي أبرز أحداث الجلسة. أجسدة ليست صباغة لكنها مشربة على نحو ما. ولكن أين تراهم يخضن من حين حين أراوك الساء الجيملات؟ فإذا ظهرن بعددك من عجماً من المتحابين لما الضيفه مدام رنقة فأي هودج حكايات؟ اخمسون سنة منذ

بابا والبطيخ

صالح القاسم



■ الشهر الرجل بين قومه بقدرته الحارقة للعادة على معرفة غيبا وأسرار البطيخ. مها كان الأمر تافها أو عظيما. فما من بطيخة سئل عنها إلا صال وجال في معرفة دفنها وأسرارها. حتى أن أجريت تدفنها في المرة السابع وترقبه في حيرة وإرباك وتساؤل: أتي هذا

الرجل كل هذه المعرفة والذكاء؟!
يضع البطيخة في حفته، يمسد عليها، ويخفيها بأنامله، يقلبها هذه فلبت، ويقلب يمسح حطبات. يدرجها على الأرض مسافة قصيرة جدا، ثم يحكي عبثا العجب العجيب: ما لوها من الداخل، وما مذهبها: العمل الشهد، أو السكر الصناعي دالة الحلاوة، أو قريبة من المرحبة... إلى غير ذلك من صفات مذاقات البطيخ المظلمة. وكلمة فيها، وما لون البطيخ: سوداء أم قريبة من الجوزاء، كجبة الحليم أم صغيرة، أم متوسطة. وكل كلمة سوداء وكبيرة، وكل كلمة سوداء، وتوسطها الحميم، وحتى كل كلمة ما زالت يضاء طريقة لا تتفصح بعد.

بعض السائلين يسأل أسئلة يحاول الإجابة بالرجل، فيسأل مثلا: من مكان زراعة البطيخة، وأين، وما وزنها؟ كان الرجل لا يجد وزن البطيخة بدقة متناهية تماماً مثل الميزان الإلكتروني وحسب. لكنه يستطيع أن يحدد نوع الثمرة التي نشأت فيها وترعرعت، وفي أي أرض توجد. وأن أراد زيادة معرفة بمدى له عمرها بالصبط.

غربة هذا الرجل كانت غريبة من نوعها وفريدة حثرت العلماء والدارسين. وكان الناس عادة يلجأون إليه لدى مشرهم غربة بطيخة أو أكثر. ولم يكن يأخذ منهم أي شيء، مقابل تعب السير أو الاستشارة. وإذا سأله أحدهم: لماذا لا تستغل معرفتك وعلمك في تحقيق شيء يمكن أن يكون طامنا من الذهب في زمن قصير؟ فيجيب: فإن مالك العروش وروب العربي والقرش. إنني أخاف الله وأخيه وأخى أن يعرف انعمالي ما أعرفه. إن ذهبي معهم إلى أكوار البطيخ ليس من باب استعراض الفضل والتفخيم، ولكن لأعلمهم ما أسبغت علم الطيخ سيتعلمون بالتحسرة والاحتكاك سيتعلمون وليس بعيد وقت ويعرفون: هذا غابة مرادي يا عبادي.

ما أن ينف على رأس كومة الطيخ مها عظم ارتعاشها وسعت قاعها، ويطلب أحدهم منه أن يثأر ليختر له من بابا بطيخة حسنة ترضي جيبه وتصرح مذاقه إلا ونجح. يقلب عدداً من البطيخات، يمسحها ويخفيها، يخبث عبقها خبعت ثم يقرر واحدة

كانت في اعدادية حطب يطاردها معاً ثلاثون مرافقاً شيطانياً، أو في دوسلورف تنفر منها ينات القهفي التركي قبالة المحطة الرئيسية، أو يجرق لها دم المليونير الخليجي وابنه المراهق، وتلك القنصل العام في أثينا، أو سائق زوجها ذو السبعة أقدام تستدعيه للهمام لذلك لها جسمها ساجين. ثلاث ساعات دون أن تنتمس (ولا مزاح). لم تكن مدام ردة نلبس السواد. كان لباسها عادياً، فية النسوة لسن قمصاناً سوداً. أما تلك المعتادة عرش الجلسة بخيلاء اميري فلم تكن تعان حراً على أحد. لم تكن تطلق سهماً. كانت الحرب تدور والسهام تنطلق وحدها فلنقل أن اتفاقاً (جيتالان) تم بينها على أن يكتسبها باصطدام النظرات دون تعدد، فلا المناسبة تحمل المزيد، وليس بوسع زوجها بعد عشرين عاماً من الزواج أن يلبس عنها بل هي أدركت منذ لحظة دخولها أن زوجها اللعين - وحتى في مناسبة تسمية عمدة كهله - لن يحال بته وبين السقوط في وأحباله، للفتد الجلود لحوض السمك الملون ذلك. تلك التي تراها لأول مرة في بيت مدام ردة.

تبرع زوج مدام ردة هائساً بالانجليزية أنه عطشان إلا أن زوجته قمت به بلا رحمة، واستأنفت حديثها الجاد عن زيارتها الأخيرة للشام. تنطق الكلمات القليلة التي شاركها بها (سجل المحطة الأتقن) في الحديث إما بعملها كسكرتيرة، أو بالسبب الذي حال دون تقديم زوجها معها، على أن الأهم من مصفون الكلمات هو شكلها: شكلها الصوت. كان صوتاً احتشدت فيه الأوتة وانتمت إلى نوع صوت غلام مرهق. ابن تراش يتغنى في أولئك النساء الجميلات دون الأصوات المدججة بالفتنة من حين لأخر؟ يتغنى بهوات ثم يظهر كأين كل هناك نادياً فيما بعد ذلك. كاتبة عدك وأمه وحيدة باب من وقائع شهرة الأحد جديرة بالتسجيل، تلك هي الليلة الذي تم على أسر يهوض الزوجين للتخافة. اللقاء بين راحتي اليدين للصفحتين: هل كانت راحة يده متحبة ريفياً نادياً نزلت بضيافه نعى الكف الأخرى كما يقول الشعراء؟ أم كانت طائري تحاطفا اللقاء الوداعي بمشوارها إنشاء الطيران؟ أم لنها كانتا قترحين كهرالين للضخ؟ أم كل ذلك معاً.

فرد راحته غير اتفاق واحتها، نزل الأصعب الأصغر على التحميم الخفية الشامة يبدأ كان الاضاحال الرشي يجري على الحساب الواقعة قبيل ملتقى الرسفين. بعد ذلك مباشرة وقع الاصطدام الأخير للنظرات، وطلعت مجموعة لا حصر لها من كرات الضوء، انطلقت عنقاقة في كل اتجاه.

«تراكمت؟»
«ضروري» □

صدر حديثاً

مذكرات حليم الرومي

حليم الرومي



RIAD EL HAYAT BOOKS
بازار الكتاب

يعدو حتى اعتاد، وصار يتجول متفقدًا ونهول في أرجاء الطبيعة وكما يشاء صاحبه.

عَدَّ الرجل بقدرات الطبيعة كانت صحيحة. عَدَّ البذرَات الصغيرة، وكانت صحيحة، وكذلك البذرَات الكبيرة، والمتوسطة الحجم. كل شيء كما حسه وتوقعه بالضبط دون نقصان أو زيادة. لحس بأصبعه الماء الحليبي كان مألوفًا أيضًا. تَمَرَّج الرجل وتجنب! ولو لم يكن يعرف أنه يكامل قدراته المعقدة لشك في نفسه، وعلمه، فهداه أول مرة يَحمَق في الحكم على طبيعة

مَدَّ أصبعه مرة أخرى يريد أن يلمس ماء الطبيعة تَشاكُد من حلاوتها نائية. لكن أصبعه لم يلمس شيئاً. استغرب لذلك ونظر يستطلع الأمر وسع حديق عيبه. وإذا به يرى أهله ما زالوا يتنظرون، يثابتون وهم يرتعدون فرحاً ويرتحنون: الحمد لله على السلامة بابا.

كانت السكين ما زالت بيده. ترجل عن الحصان وشرع بطعنه بعنف وينزون وهو يهتف ويصرخ:

«أبنا الناس! لم تعد له فائدة، لم تعد له مائدة»

تشتايرت الدماء على اللباس... وقطعت أرض الدار، وراحت لغرته تتجمع، وتعلو حتى ملأت البيت وأغرقت جميع من فيه. □

«أجل.. وكان أبي..»

علي أرشيد التل

■ كان أبي، رحمه الله، من تلك النادرة من الآباء الذين لا يتجههم إلا البيئة الأوسطية. جعل من حالته عذراً لحياته أمضى ساعات النهار في مكانه لا يفتأه إلا للضرورة الملحة، وإن صل أبقي مكانه أنا أو أخي. يدر أن طال بعده من المدة اللازمة لقضاء عرضه

«عدك صبر يا ولدي...» كان يسبح على شعري يراحت الحانية ويتسم أبشامته الواحدة والدكان مكسب عيشاً

في كل يوم بعد حلة المدرسة، أسبق أخي الأكبر نادر إلى الحانوت. نجد الوالد حائلاً باخلاقه يجلسون على مقاعدهم القصيرة الأرجل في ظل التنتة على الرصيف، ينصتون للأرجل حول طاولاة الزهر. علق في ذاكرتي منظر الأسكاملة الخضراء، حتى لاأكاد الآن لكسه في حين خيالي. دائماً عليها جرة السوسن في الصباح وأبريق المشاي في

المصرية، يلعبون المترد على ثمنها للمعنى المتقابل. لم يصنع المحرم ثروة من تجارته. ابتلات الزوف بالحواليج للزنتية وفاسس الوسع بالأوعية البلاستيكية إلى الشارع. كيفة تجار شارع



بعينها أو أكثر، حسب رغبة السائل المشتري. يشتر إليه، بأصبع نافذ، ويعيون متفقد بأن الطبيعة حسنة يمكن شرائها، ويذهب إلى حال سبيله عائداً إلى بيته. لا ينتظر شكراً أو هدفاً، أو أجراً، أو حتى صنع معروف: يماغته إلى البيت مثلاً، أو نحو ذلك. وإذا أُلحَّ أحدهم وطلب أن يشاركه الطبيعة على الأقل شكره بلباقة قتلاً: لا أحب الطبيعة. وقد زاد سلوكه هذا من شهرته حتى عاقت الأفان: خبير وعالم طبيعة لا يحب الطبيعة ١٩١١

في ستة جلد وقطع فرغت الأسواق إلا من البطح، وخن الرجل من الجوع والعناء ما لحق الناس والعبيد. فلم يجد من طريقة للتفتوت وسدَّ الرميح إلا اللجوء إلى البطح. فاضطر مكرهاً وصرخ على أحد الأوكام الكثيرة التي تناثرت هنا وهناك في كل أنحاء المدينة. وما أن تناول واحدة حتى حلق له صاحب الكومة بأغلظ الأيوان أنه لن يأخذ ثمنها إلا إذا حرمت عليه جميع النساء والحلواني. فانساع الرجل للأمر واستجاب لتسلمات التاجر وأبته.

حلها على خاصرته، وقصد بيته، وفي البيت فرح أهله لرؤيتهم الطبيعة وقصوا، وعبروا من ذلك بكثير من الحمد والغفر والتفيل، فهداه أول مرة يدخل دارهم البطح، منذ تسلم وجعهم ناصية الحكم وزعماء علم البطح

مهرعوا جميعاً إلى المطبخ يستنون من أجل سكينه وأسدحها عاتوا في أدوات المطبخ وأواني، وحولوا المكان إلى فوضى لم يمهدها من قبل ويعد أخذ ورد، وجدل ونقاش، وشدوا كلمتهم، واسمو على أنه سكينته يمكن أن تؤدي الغرض. المهم أن يأكلوا الصبح.

عمل أكبرهم السكين ووضعها فوق رأسه ورجح بسببها وشجرت، ويرى كل خاطرين يتقدم بها باتجاه والده، بعد هذا وسطه خواد فرساً، وحوله بقية أهل البيت على تشكيل دائرة متحركة. مدود ويرقصون كأنهم في رقة.

تناول الأب السكين. أحكم قبضتها، وغمد طرفها النقيز في بطن الطبيعة من أجل جهة التقط وجرَّ محدثاً فتحة دائرية يسكن من خلالها رؤية لون الطبيعة. نظر فلذا الطبيعة بيهاء كلون الحليب. استغرب الرجل وفعل. عاد وقطع جزءاً آخر أسفل الفتحة بقليل لكنه صفع بنفس النتيجة. انزعج لذلك وغضب. حاول أهله تهدئته. وأن الأمر عادي غير مهم، وكثيراً ما يتكرر في البطح. لكنه لم يهدأ ولم تسكن لورته. أقسم بالمعلي العظيم أنه لن يأكل منها إلا إذا هرف السبب. ترك أهله متحلقين حوله ينتظرون قراره بالسباح ثم يأكل الطبيعة، وشرد بفكر في طريقة فكحه من معرفة سبب إغفاله في هذه المرة

بعد لحظة، نهض من مكانه شامراً السكين، وأمر أن يحصروا له حصانه على وجه السرعة ودون تردد. تفقد حدوات الحصان، وأبنا ميتة في مكانها الصحيح، مسد على عرقه وسع. طبع قلة حانية على جبينه، ثم أمر بالسرج. أحكم وضعه على ظهر الحصان، وقفز وأكباً.

رجع بظهره إلى الوراء قليلاً شامخاً وهو يهتف: بعد قليل سأترككم بالخبر بنفس السبب، ولذلك هذه اللقمة بنت للفقمة لم تكن حرام. أخذ عظام الحصان بكتلتي يديه، ثم هرف في بطنه بغضب، تفصل الحصان وفناً شدة من الحطم يأمره القفز إلى جوف الطبيعة. في البداية، لم يستطع الحصان السباحة بسهولة ويسر. لكن كثرة الممر والوتر جعلته

أبدون، كان أعلىه زبائنه من قرى جبل عجلون وليس لولئك من المشرنين في تضيهم. اعتمد الولد سياسة أن لا يفتش بالسعر وكان على استعداد لتخفيفه بصفة قروش لداهن غروهم فيخرجون من عهله متطيلين لظنهم بالمفاسدة، بعد كل هذه السنين على وقته وقد أصبحت زوجاً وريب أسرة، لا زالت استصعب المروء من شارع أهدون وإن فعلت وقت الذمة في عبي. في الأماسي ولا زالت وبادر طفلي ههنا اللهب والطاعة، كما تجلس حوله في البقرة ونسمعه يعلم مع موالدة بمستقبليها

- والدكان نادر. « كانت الوالدة تقول وأشعر يعضي العمرة بيبا يفرود وجهه أعني الكركياء وهو الكبير. »
- إدا حلي، محل، لجاور. « غندس طفراته الحابية أحده لعل في وأنا. » تحزن أعني الصغرى فلم تسمع اسمها.
- شت. « يرفهها إلى ركبته يربوها ملاماً فتفتح لك صالون تحمّل

- وأسميه سعاد. « يلين وجهها الصغير وتضع يداها على شعره الناعم. »
كانت طفولتنا سعيدة. نومه في دعة من العيش بين أم وزموم وأب طوقاً بجمليته. الآن أغوص إلى أحياء ذاكري وأصعب لراءة الطفولة

هذا سرنا « كثيراً ما رددت الوالدة لتجعل لمة لملو بها) تحب أن لا تطلع عليه أحد. »
قلما تخبرها على قيمته الطهريه ود خص في عهده. وكبر ن س

المراهقة وإن ذلك بدائناً نساء والأجوبة لم تقمها. استبدلت سهراتنا الموهبة بالشجار المتواصل جيبس في أي تامل على أيقنا حتى كاد يفتننا ربما لأن مادر كان الأكد، وهم عهده وضع. قد يفسد عده، الذهاب إلى الحانوت، رفض يهبط المقام إليه إلا بشفقة الأبيهم بطله وكان ذلك مستحيلاً. وأني اليوم والتفتت أنا نفس المرفوف من أبي. سكين تلك الرجل، لم يكنه عذاب الريح خلف الأبواب المغلقة، فزودنا عليه الطاعة، لكن الوالدة لم يخلت ولا يها. انقصم بيتنا إلى حزين متحارين، والوالدان في صف وأبناؤهما في صف، أجل أنكلم بصعوبة الحفاقة فقد تحالفت أختي معاً. التهمها الحري والحجل من مظهر أيها في مسانيتها تروق المساحيق الكثيفة وجهه تخفي سواد دقه. انتهت ليدي أسهر أمام التلغار. تدخل الثلاثة إلى حجرتنا حال رحيله إلى البيت بعد صلاة العشاء تناول طعامه صامتاً قبل أن يعبر إلى فستان. نسمعته يتحدث مع زوجته ساعة زمان قبل أن يذهب إلى سريره مكرراً ليسبح لنا المجال لتفرج

- حرام عليكم. « ذهبت بما أبي معاتبة في شياخ وزوجها) إنه أليمكم

- كيف ندعو ذلك التلصحت أبي. « (افروقت مقلتنا نادر بدمع الحس)

- روحك حثاء. « زعفت أختي تميزها بنعمة خفية لم تحظر لي أو لنادر على باله)

- احسبي. « (صغمت خلدنا بكف يوزن قططير من الفصص)

لم أجزأ لم نقاش همة أختي حتى في عبي حرواً من أن أحلها لي النهاية الختمية. لكن نادر لم يستطع أن يطوي قول أخته. اشتد غيظه بشور بالحصيص لأنفه الأسباب. خاصم أباه ولم يكلم أمه إلا عند

الضرورة القصوى. ولما كنت أعرب لرأيه وتعلمت كتاب السر من صغره، لم أفتش. تنبيه عن المدرسة لوالديه وفشل ذلك العام فشلاً ذريعاً

- ما هذا؟. « (دفع أي باب حجرتنا غاصاً يلوح شهادة نادر) لئنا ثلاثاً بالسكوت لكن ناطقي فتقل لرويتي. إذا طلب إلى أن أختار صورة له على أثنائي في الاختيار، تلك هي الملقطة التي أود أن أذكره فيها. « وقف في وسط الغرفة يتنصص بغضب. شرايين وجهه برومت حتى صبغت عروقها الرقاة في جبهه وعقه. نظرت إلى أخي مكان مصغرة الليمونة يرتعد خوفاً، لم يحسر أن يسر بست شعة. لكن أختي لم تنفذ جراتي أمام جموده فصاحت بجرح كرامته قاصدة. « وما لك أمت تصيح ما كأك رجل.

لا أنظها كانت قد أبطيت فعها بعد عمل ما طلفت. قبل أن لطم وجهها كف أسقطها على المصطبة، ثمتة ركلة أمت أنها. لم يبرر مادر ليلتها وطالبي من عقابه نصيب لا زالت أتدق لذته. في الأسبوع التالية وكان قد عاد إلى البيت وتناول شامه، دعنا أبي للمشوق في حفرته. يدا وجهه أعني متورماً من علة البراحة، ويترق الزرقاق أجنابني ونادر. أطعنا الثلاثة تنظبت مشاعرنا بين الحروف والاحترام والحب، ولكن ذكرى سهرات سعيدة جعلتني أمل. « قبلوا يد أليمكم. « فاقنا في أمامه.

كانت الأسبوع وتبني نادر. ترددت أختي حتى لكتبتها أمها. استقدم طهره على مقدمه الحضي حالاً من الحشونة في هيته، لم تقف نظراته الثالثة وصحة الخرج في جيبته. نوقعه في فستان الأخضر، حب السر. حبس صمغ المعادن في بخلوته القديم وأخذنا السالي. فلاحظنا على الدوش مطرف صوبه، ترتف دخوله إلى حجرته ليحار إلى ألسنا آخر. لم نعمل تلك الليلة ولا الليل التي تبعها. عاد ديوان الصائفة إلى عابر عهده. كلما حاول أن يسترجع مساعدة تلك السهرات، ذهب مري سعاد واستوحشنا أسنتها. شاركنا سعيد ولكنه كان ذلك البائع ذا الدكان الصغير وليس عتله من الحديث سوى صغير القول وعله.

أحسن نادر في المدرسة واسترجع مكانه المتوقف بين الطلاب. هذات ثورة أختي اللطفة واختلف تصرفها. ابتعدت عن صحة أهرينا مطربة من رفقة أمها حتى رأيتها يوماً في فستان جميل وحمرة عذبة لوت شفتيها وعديها وسبعة مرود كحلث أهدائها السوداء وكان كل ذلك مستجداً عليها. رفضت في الماضي أن تقلد البنات في مثل سنها. وكانت في تلك الاثنا تدمر من السادسة عشرة. قليلاً ما رأيتها إلا في بطول الحير أو مربية المدرسة

- مثل رويك. « (كانت تصيح في أمها حاقفة) اتصبا ثلاثاً بما اعتقدنا الوضع الطبيعي لكل أسرة. ترددت ونادر كثيراً على الدكان، شارب سحال دوة. شاركنا في مجالس المعصرة حول متفصة الرد. أخذ نادر «التوجيه» بعمد جيد تمت الوالدة لويلتكن بأحدى جامعي أريد، البرموك. بقي أي صامتاً وذهب نادر إلى الأردنية في عيان

كلما أذكر صغيص تلك الليلة أرغب بشعريرها. انخضت سعاد كلياً من حياتنا أو هكذا اعتقدت. لم أفكر أبداً لا تخرج إلا في الظلام الدامس. كنت أراجع «التوجيه» في حجرتي عندما سمعت صياح



أخبري هربت الى البردة حائقة لمقاطعة فراستي. توقفتها أن تكون شجرة مع والدتها. ذهبت لوجود أبي يقف في بطلونه البالي وإجاء. رفعت عصمي أكشف الوقت، وأدركت انها غير ساعة عودته المنتظمة

- حيوة . (كانت تقول لاهة توبخ استنها التي بدت متفعله نرحب)

- ما حدث؟ . . (سأل لا أعرف من سترينج باروك)
لكن أخوتي لم يتعلم به. انتصبت واقفة أمام أبيها وقد دارتها أدب لاث وحياض قائلة.

- ويس سينتهي يا ست سعاد . سأأخذ له لأخلص من عارك .
- تأجلين من؟ . . كلمت غصبي لا أفهم الوضع واستعرت بعد هتية: أتأكي خطابي؟ . . والدرسة . عليك «توجيهي» العام المقبل (وترثرت تنفث عيالي بين الثلاثة).

- أنت وتنادي لا تعرفان بمخاض سعاد . (التفتت أني تقول بغل) صك أضراسها) انها حيازة في الصوان . . تخفي الليل على السطح تحف سابها ونظر فساتينها.

انهار الرجل منهزم الشكينة ولم أجد ما أقول. انطوت أمي على الصمت. لكن أخوتي لمعلمت حتى أرفعها الكلام قبل أن تعلم عطوريتها اختلعت بنادر ونرج من الاجتاع وأجهم الحيا مؤيداً لورقها تزوجت من أول غاطب تقدم لها في اعتقادي لم يكن أهلاً لها ميرته الوحيدة من وجهة نظرها. انه في اقارب لم يقصود دير المرور عن العرات. ذهبت مع زوجها ولم أرها في ست تائه

مظها انخصي نادر من للزلزل. كان يأتي بهام الخميم بعد . . نرحب ذهب الى العتبة ولم نعد نراه إلا في الماسبات المتدرة بعد زواجه عاب كالياً عن حياتنا عدا مشكلة هاتمية حربية . . والد . . من أح والآخر لتطمئن عليه . حالت علي أمي تناسر مبرهني حتى لتسحب بالبرموك وبيت معها في اربد

صدمتني تيمة أنثي ورفضت أن أصدقها (بالرغم من شكوكي) كادت مرات أن أخرج من حجرتي في التهمة لأخلص الحقيقة. لكن لم أرفض المعرفة. منذ ليلة الصغيع تلك تعودت أن أعلق باب غرفتي وأدمل رأسي تحت الحلاف. كان ذلك حتى أسية سمعت نيجومها في ساء صافية، وتوزر في أوج عبء هادئ برتاً. حل سكور الليل هيس أبي وأمي على السطح. . لم أملك الصبر لتسلت من سريري أخامر

شجاعتي. تسللت خفية الى السطح. شامتعت سعاد بكل زواياها في هستان أخضر وحقية سواه تثلثت عن كتبها تتجاول بهذه ذي كعب عال. . كانت وأمي تسمران بخفيا خفيفة وتهايسان في السحر. عدت الى سريري مقضى القصير. صدق ظي ودمعت في صدمي أساء أكره أن أكررها. . والدية غافلة، حلف سذل الظلام تأنى أبي في فساتينه الهيجة، يتخال برهاه العروس بكل الأوتة المحرمة عليه سمعت مرة يصف لأمي كيف يلبس ملابسه التنحية ولا أعلم الكبي أن أصبحت على مهلة المشد.

- اسحب كل شيء من الواء ومعلمه يذهب من حيث أتى وما تبقى يمكن هرسه بلطف
أدعيت عدم المعرفة فلم أجد التذرة على مواجهة سعاد لكنه طوى زنجل. حتى أودعه السقم القرائش. لم يعرف الطبيب عنه وقال انها حالة تؤثر فسلاني شديد

- حرام عليك يا جفد . (أخذتني جذني، أمه على جنب وقد تردى وضع أبي) الكيال لكه يا حبيبي . . سامحه . . اقبله كما هو . . انه أيرك

- تعلمين؟ . . كنت اعتقد أن السر لم يخرج عن دائرة بيتنا . . ومن رياه يا والدي؟ . . (فردت تغرق في يم أسود من الأحران) كان طفلاً لا يمتد الرامة عندما يكن ليس مثل أخته . . قلنا صغير لا يهجم . . مرت الأعوام وكبر الصغير . . انهمته أخته بسرقة ملابسها . . دخلت عليه يوماً وكان يشايز نفسه أمام المرأة . . ما هذا؟ . . صحت به مهددة . . نكي واعتزف . . غيبت لبارسانا وأخفيت سره عن أبيه وأخواته . . ذوى كعاله الآن . . تركت صواي مقنوس وخفية . . عندما عدت وجدت ملاسي بغير الحال التي تركتها . . لكه نأى بطل.

فبص التحل عن فساتينه، كان يقول كليا اقترحتا عليه الفكرة: . . اتركنا في تلك الأهرام فلها حياتي

لا نذكره ابداً يسرع لتجديد ملابسه الرجالية. ليس البيلة حتى بيت لوبيا وبيت فبر عالي. . بياقنتها، أما فستان جديد فلا يدخل عليه. إذا ارتوى وتغضب بمساحيقه وتطلب يعطوره كان علينا أن ندهوه سعاد. إذا غلظنا أو سينا، ودعا أحدنا أبي، يتحفر الدمع الى عينيه فقد تقصص في حالته تلك الأثنى الكاملة. ضعيف راعهم عندما أعجزه المرض وعاف جسمه الواسع الدهون واللس كان

صدر حديثاً

من نافذة السفارة

العرب في ضوء الوثائق البريطانية

نجدة فتحي صفوة



بصبر فساتينه على السرير ويستعرضها أمام المرآة.

لم يسترجع أبي عاقبة. وكان يذنه الغزير بين من حبس روحه. لم أعد أرى سعداً ومجاهدات السطوح. أخذ الاتزال والسرية حقهما من عصف فلم أكن أراه إلا شارد الأفكار وقد مات العالم من حوله. مهربه الوحيد حاسته وديوان أصحابه حول طاولة الزهر لا يتطرون في الحديث إلا عموميته. أدرك المرحوم أنذاك أن ولديه لن يتبعاه مهته في التجارة، ولكن لا أفكر، حتى أقعده المرعى ثم توارثته لثي، انه أغلق دكانه في يوم عمل.

كنت في علمي الأخير في الجامعة. تخرج نادر وبدأ العمل في العتبة. قلت مصاريفها واقتربت على أبي أن تشتري سيارة. وبالفعل تم ذلك واستلمت مفتاحها. استعجلت بسيماها على حياتنا رحلات الربيع إلى منزله واشتفاه. دعنا الثلاثة تقريباً كل جمعة. بعد انتهاء الصلاة أرجع وأبي من المسجد القريب من بيتنا ونجد أبي مستعده. أصعب الأعراس في صندوق السيارة ونزع الجبل، وقالت أبي مازحة تقصصني لتسعين رد فعلي، وكلم أكلت نفسها بالنعم بعد ذلك، وكانت حريصة على سره:

اليس فستأخذ بيد هذا النطرون المسخ... ردفني لحظة متردداً فاحتفظت بصمتي. دخل حجرته وخرج بعد ساعة فاستأن أخصر أنبي وأخضى ذنقه الأسود حلف تطاير من الخشب

لا... (ارتسمت عيناه على سرير الموت يعني زوجته من دهبها) شكراً من أقراني ذاتي التي كاحتبت لتخرج إلى النور... أنت وعلى لكنا صلاتي وديعاني الذي لن ينسب. شكراً لكنا تلك الساعة في حقول الشمس... كنت عارضة أزياء في برنامج بيبي... سلموني الأبيوسف نلت أميتي... ذلك اليوم كان أصعب أيام حياتي

كانت المرة الأولى والأخيرة... انصرفت بصر عجزته بصر أشجار القلوب والحروب ساحر الخيال بأحلام لا يتشاركها... كان صجير عرق وكنت وأمي نشغل الفصح لشوي الكلب. سمعنا صياحاً، ذهبتنا نركض موسم. أحباط بعد عدة دقائق في سن المراهقة. لم نغف حين جاستهين المتفتحة على البلوغ، أن خلف المساحيق رجل. هجموا عليه وضربوه ضرباً مبرحاً حتى لم يتحمل الوجع، من حرارة الروح استند بصرخ. لم ترجع بعد ذلك إلى واشتفاه.

لم يمتل جسد الزاهن هول الصدمة ولم الضرب. عاده الطبيب مرات ولكن أبي رغب عن الحياة. أغلق دكانه واعتكف أشهراً في حجرته، رافه الوحيد عذاب عزة النفس.

سألت أبي ولم أفكر من طرح السؤال في حياته:

هل كان أبي جاداً أن يكون امرأة؟

من أبي أتيت أنت واحسانك. (هرقت دمعة على خدنها وحجنتي بقطرة بله) لا أقهر في الطب يا أبي... ولا في الجينات التي لنه لا احتلال تصرفه... ليس لي غير أبي أجي. لم يندعني أرويتني يوماً منذ البداية فتح في قلبه وبكى على حظه للنسب من العيش... لا... كان حبيبي رحمه الله في وسع حياته. لا أذكره إلا عاكفاً والله التعم. لم أعرف في أحضانه غير كل ما تنمناه المرآة. أجل كانت هناك أوقات شك في البداية وصعب عليّ تقبل الحقيقة وفكرت بالطلاق... رعت لأمي... قالت يا ابنتي الزواج رقة والزوج لمح بها كانت عيوب نفسه كثر... أحبه بحبك وتستجدين حياتك سعيدة لا يشوها رما لحظت كآبة... □

متاهة

موسى حوامدي



■ تحسن جيوه، أخرج مفتاح البيت، رجته في ثقب الباب، فلم يدخل، نظر للمفتاح قلبه وأنه مفتاح البيت... نعم... نعم أدخله مرة ثانية فأبى، عاود النظر للمفتاح، (زنه هو... إني لا أملك مفتاحاً سواه...)، هذا أصعب قليلاً، أحضرت جسده، صار رأسه حد يد الباب وعبه عند الثقب فلما، مَدَّ لمفتاح فأبى للمرة الثالثة، حقق من ثقب الباب... شاهد جسداً... ينحرك.

التصق بالباب أكثر، صارت رموشه تضرب (السكوة)... نظرت وجهه اسفرد... اسرعة جالسة، تضع رجلاً على رجل، تلبس... لا ليس هتافاً... (إني عارية... ليست عارية... كل الأجزاء التي أراها عارية... ولكن من كبد المسألة؟ كيف دخلت بيتي، ومن أين لها بمفتاح... إني اجلس كآها في بيتها... ها هي تنهض... إني... يا إني... كيف خرجت على نفسك في بيتي؟... أع... إني عارية...!

زوجتي... ولكني غير متزوج... لا... إني ابني متزوج وما هي زوجتي، لماذا أصفقت طني وأكذب عني... إني هي! هي! ولماذا تنعري هكذا في غيبي...!!

نقر الباب بأصبعه الأوسط تارة... تارة... وتارة خفيفة، جاء صوحياً... لحظة. فتحت الباب، نظرت لها... نظرت له... سمحت وأغلقت الباب وما مك... لا شيء... لا شيء... نظرت مرة أخرى... لماذا لا تلتصق شيئاً، ردت، ما مك اليوم؟ حقق... أه فعلاً إني ليست عارية... لكبي وألتيها.

جلس... جاء ولد صغير ليس صغيراً، ليس كبيراً... (من هذا السوئد الذي يجلس بحباتي ويمسك يدي) من أنت يا ولد؟ أبا/يصحك/أنا انتك... ما مك يا أبي؟ رجعت طفلة... ليست طفلة... ليست صبية... ركضت نحوه وارتقت في حضنه (ومن هذه؟) صدحت... لا تريد أن تغدني؟

غضب... نهضت، نهضا، مشى، مشى، مشى، جلس إلى مائدة الطعام، جلست المرآة، جلست الطفلة، ظل الرائد واقفاً، سأل، لماذا لا تجلس يا ولد...

(أسي... صراخ/أسي هذا ليس أبي... هذا ليس أبي...)

٣٩ = العدد المسموع والأربعون. أيار وسائر ١٩٩٢ التاليد

ينقصنا التبغ

حسن بن عثمان



■ جماعتنا، جماعة غر وسمر. موطنها البيومي مساء في بار شعبي، هو بار (القروالة) وتسميته الرسمية: بار السوق. ولأنه يقدم لزبائنه الفول المطبوخ جمناً وبكميات محدودة مع الشرباب، فقد اشتهر باسم القروالة، وتجنّبنا إطلاق تسمية القروالة لاختصار الإشارة إلى مكاننا الألف، فهي توجي بالالطف يا لا يقران مع كلمة مثل وبارة التي تحبها نايبة وتغفيرة.

الحسن سبر مفت وصحن بحسن به وبما لا يحسن بربياً، ليس يوماً بدموم الأسو، فحين لا يحسن يوم الجمعة، دمجناه به عن الخيرات، وهو للتقوى، والبض متا بغير من هذه التقوى، والاعتنا عن الشرب، والبعض بالإشباع عن شربه فقط، والبعض بأن لا يشرب في المحلات الموصوفة أي المصممة، وبغيره في البستنة على قارعة الطريق أو في المحلات الخفية، غير المأهولة بـ «بنا» بـ «بنا» فكنا نستجيب للتقوى على طريقتنا وعلمنا أن يستجيب الله التقوى لجهلنا بطريق لكن متبرين وعلى غير ما يرام

ومن المعروف أن المداوية على الخواص لتماطي الحشر في مكان واحد لفترة طويلة، أمر بتقوى غير محاسن وسواى من غير الممكن تقاضيا. فوصية أن تصبح حريفاً متعلما خلق علاقات بالرغم منك مع كل الزبائن والرواد، علاقات لا تحكمها حدود، مكشوفة وضخمة، يكون فيها سترك مباحاً، وأطوار شريك وبازجك مشتركة، وفي هذه الأحوال فإن الشاغل يتجرأ ويصير سيداً وتكثر مزايده التي تبدأ بحجز طولة من أجلك، لا تنتهي بتوجيه شتائم وتهديدات لبلاية فيك أو لكلمة صدرت منك في غير موضعها، أو لقلق اعتراف من كثرة هؤلاء المتأخرين الذين يشربون بجملاً من الخمر ولا يترنون أبداً.

ونحن ندأوم، وبمعرفة المكان والشاغل والزبائن، هنا حول هذه الظاهرة المزوية أو سداها أو يقرها أو حذوها أو ها أو هاك أو هالكا بتعني في حدود الساعة السادسة مساء، ومنا قرائن الحمن المغلي واللوز الملح والزيتون. دوماً معنا الحصى واللوز والزيتون، ونشرب الفلال بحسب الفصول، هذه هي (قريش) المهدومة مع الشرب، وبغيره إذا توافر معنا الشال، وشحينة إذا قل... التي الثابت والمطمن هو الفول، نمول على علاقتنا بالخال الصديق ونأخذ منه كفايتنا جمناً، جمناً عند مفتاح الجلسة، ثم نغير الحال. ففي البداية يسبقنا بصحي قول مرشوشين كما نحب بالملح والكحون، يتصاعد منها البخار، وتفتح الفارورة الأولى وبأني على ما في الصحنين وهات

صحن آخر، وصحن آخر، وآخر... ويتضابق التادل وتظهر عليه الكشيرة وهلات الكبر، غفوم وشملة ومتدحرج وجوله وأصله ووقوفه الكريم معنا وقت الحاجة والشدّة: أنت أختونا، يا أختنا الذي ححب، غزينا لم نزل وجولك في الدنيا، أنت أنت الحلو والخارق للعامة هات لنا أطبال الله عمرك وسرك، وأفكاً حراً لأطبالك وأحك ولللاد، بحق رب البعاد لا تكن سافكاً وبدلاً به لسافك أبداً، لعن الله أياك الكلب الذي أصبك، وحزرت بينك ومنكبت، لولا نفي من حواء فينا لقام لك واحد من وصحتك، ادخل لا يحب أن يذهب أيتها بدمك الحفري، دم أبق والزيتون، انقب من صفك ولا تكن صغيراً، فأنت أكبر من كلاسنا، أنت أكبر ما، فاسحنا، ولا تحط من قدرك إلى مستوى هذا السحب، فأنت أعقلنا يا عقلا الشامخ يا كريم...

هات لنا يا معلم، هات لنا يا سيد المعلمين الشرب، ولا تنكر صفو مزاجنا، أفلا ترى أن أختنا رجع البيت، لقد عاد للشرب معنا بعد أن غاب شهراً كاملاً، ألا نلاحظ ذلك... فلا تكن قاصياً، ولا تفسد علينا جلوسنا، كن في هالك ذلك، وككن جيداً هذه الليلة، أما نتخلل رجوع صاحبنا بعدد حبيبنا، نرى نحن عن الشرباب وشمله الله بثوية من عند... لكنه عاد بعد شهر، أفلا ينج لنا أن نتخلل، هو عشرين مذ خمس سنين، لقد عززت عليه صحتنا، ولم يلق العراق لأكثر من شهر، فحربنا به ومرحيا.

هات لنا يا معلم، هرقنا شأناً أعزب في أواخر العشرين من عصر... وكنا يحدنا أنه يجلس معنا لشرب الخمر، مثلاً للفرغ من حبيب، نرق الذي يدايه به بداية انصرام النهار، مثلاً هو ولا يعرف كيف يتخلص من الفراق بطريقة أخرى تعطي حسداً، ولا نلاحظ الحشر سرباً الجلس والشرب معنا، ونكشنا أن حلاً يتزوج حبيبنا الحشر والخيرات والجلوسات، ونطرح لرويته، ويؤلف ويعوض الحشر بها... فحسب امرأته أنه حديث السكر المنع أصل الأحاديث سيرة، يستعمله على طوبىنا برفقنا الأكس استيق ولذا نذنه، وسنلحه على مزاجينا بالفول واللفظ والأعجاب، ونحن سمرنا وحكاياتنا وبذلكنا سكرنا به بالدغدغات والغمزات، سيلقى السعادة الأخرى، الحقيقية والربحية، عوض سعادة جلوسنا الزرة والشيكة، يستبدل سعادة الجلوس معنا سعادة الاستقاء، واللمع في قرأنا الروجة

كان يتوكل الانقطاع على الخمر إلى حين تعويضه بمار... وتزوج لكن لم يفر على الانقطاع... لم تنقص سوى الأيام الأولى من عرسه حتى عادوه الحشرين الشاء، وجاء بكسوة الحشر إلى جلوسنا، ناشداً مناعتنا من جلوسه، وقد أبعدنا من البيت الملل ورائحة الأطير ومطقة الأعضاء المتكررة... وقال أن تلك ليست كل السعادة، أما السعادة في الجميع بين الجلسة معكم والشرب والحديث، والتميز في قرائن امرأ... واستمر، واستمر زويته ترى في جمعه بينا وبينها قسمة ظلة واعتماد على حقيقتها، مع أننا نحن لم نكن نرى أي حرج أو عدوان في ذلك... ولم تفك المرأة توجبه له، حد كل كربة ليمية، التوبيخات واللوم، ويتألق في غرناها بغية المراء، وتلتهم معاً، تجره إلى القرائن، وكانت تعديها هناك... بصورة لا ترحم ارتعادها ولا ترحمه... كل ليلة والرجل بعدما أخذ كفايته من السكر، وقابل وجعل، تنقص عليه المرأة تشبه وتحفه غصاً... إنها لا تترك له فرصة

حلج ملاسه، ماثرة وهو يتبع الساب بوجه له معها وأخذ محاقه
ذلك طرفيه للانغام مع لعدء فقلاعه عى السهر حرج البيت وشرب
الخمر والأحلال بوجهه فى الأساق على البيت .

«خمعة، يوم على خيرات، ويوم يمتنع هو عن الشرب، كانت
هى قطع عليه ولا تقرب منه ولا توجه اليه الكلام، كانت تبدو في
حالة حوء وغير مكترحة، ملاعها لا تس، يالرح ولا ماحون، حياضه
وحالها . . . طرفيتها الانشائية أصبحت مع مرور الأيام لا تعلق،
وقدأت الخسالة تدبب سحر مزيد المنصور، نصبا وماليا، ووصل
الناقص إلى حد، لم يعد معه الرجل يحتمل فاما الخمرة أو
الروبة؟»^{١٩٩}

وهجرا لمدة شهر، واعتقد أن انقسامه جسم لصالح الاستقرار في
بيته والسكن إلى زوجته، ووقع احساسا بالخسارة، فأتا لم يكن
مستائلا لما أصاب من فقدان، واتصفا على أن الله وجه نبوة من
عده، ولأن يلد الله أن يستملنا نحن أيضاً برحمة جنوب علينا من
الشرب . وإن كنا في قرارة أنفسنا غير متحمسين للتوبة، لأنها
ستعرقنا، ونحسب انها ستؤذي بنا إلى أسلوب في الحياة لا يبدو لنا
منجعا ولا يبدو ذا قيمة

ورحى عهد دخول صاحبنا بعد عينه التي اعتقدنا انها هائلة
استدشنا وصبرنا عن استمرائنا، متشاكلي في البداية، بينما ومن
أنفسنا، هل أن الله لا يعم على الرجل نبوة حقيقية وحيدة . . .
حصل بالوسط، ثم تساملا عن حكايتنا^{٢٠٠}

وحكايتنا هي التي لم تدخل في عقولنا كما ينبغي، أي لم نفهمها، ثم
ستتوسع أطوارها، وهذا ليس بسبب أننا نشك في صدقها، وإنما
نظفنا الانحراف عن واقعها.

يقول أن زوجته هي التي هدته بالأسباب إلى أن تستلم حاله
لنا ومعارفته الخمر وما في هذا البار كالمادة، بعد أن كانت تظفر له
الحصان لأنه يقوم بذلك^{٢٠١}. وقالت أن زوجها تغير خلال هذا الشهر
الذي أمضاه بعيداً عن مجلس، أضحي تالها وماردة ولا راحة له، لم
يعد هو الرجل الذي تزوجته واعتادت عليه، وإنما فقدت فيه امرين
هما سر ارتباطهما به بعد الزواج . . . فحيت منه والرائحة، والرائحة
ملاصه، وشعره وجسمه، المفعمة بالتبع المحروق، الناتج عن المكوث
في مكان شبه مغلق، مثل البازار، ويصحب فيه الدخان بدون انقطاع
ويتكثف متزايد حتى تدفع العيائن، وتستحيل رائحة الإنسان إلى
مزيج كره . . . قالت أن زوجها، منذ انقطاعه عن ارتداء البازار
است رائحته تشبه رائحة جدران البيت، ولم تعد تلقى في تلك
الرائحة التي عادة ما تنفصها بين الأتارة وتنفصها إلى الانفعال وتحرك
غرائزها . . . والأمر الثاني، قالت له: «لأنك أصبحت مفرقاً وسريع
التيبول . . . وفتر صاحبنا هذا القول، إن زوجته أصبحت فاقدة
الرغبة في مضاجعته، لأنه في نظرها غداً أنانياً، ولا تسكنها من فرصة
الاستثناء . . . فيجدر أن يعتليها يحدث له الإزالة، وتبقى هي تنقب
على الجمر، معذبة في منتصف الطريق، تتولى وتلهث بدون نتيجة،
وقال صاحبنا أن هذا الأمر خارج عن إرادته، فهو يسعى أن يرافق
معها إلى النهاية، لكن قهرها غلوق، وأحاسيسها بغيث، فإذا عمل
فا وهو الرجل ذو الأعصاب الساخنة ولا يتألك نفسه.

الحكاية معتقة وهي من النوع الملتصق، لكن بما أن حلها هو في
روحك البيا، فلا بأس في ذلك، ولا ينبغي أن سحلت فيها كثيراً،

فإن البيوت أكرار، وأنت تعرف أن للناس فيها يشغون مذاهب، فإذا
كانت روحك تحت رائحتك المذوبة بالدخان وعطرية البار، وتحك
وأنت متدهوراً مرقي الأعصاب حتى تستمتع معك فلا ضير في ذلك
وليس في الأمر مشكلة

وعند هذا الحد من الحديث، بدأتنا لا نعيد الاستماع إلى بعضنا
المعصر، بسبب الاكتظاظ الذي حصل كالمعدة في البار، وما يصاحبه
من ضجيج عظيم . فأناس هنا يتكاثرون في وقت واحد وكان هناك
موجوداً بربطهم، ويكثرون شديد الرغبة والطلب للحصول على
درجة كاملة من السكر دفعة واحدة فهم يحكمون بالتوقيت الحكومي
ليبع الخمر للعموم في البازار الشعبية، والذي يتحدد شأنه في
الساعة الواحدة بعد الظهر إلى الثامنة ليلاً، وصيفاً من الساعة الثالثة
بعد الظهر إلى العاشرة ليلاً، وهو توقيت يخلق عدم الأمان واللبنة
على السكر، كما يجعل طريقة الشرب مشرعة وتحدث في الناس رعباً
شديداً، بأن دوراً لا يتألك معه البعض من الاندفاع للمرك أو التي
المركى للعدالت الفارقة أو الخسالة . وهذا التوقيت هو بطبيعة الحال
نتيجة لتقس عتلة الدولة التوسية الحديثة التي تمنع معاودة الخمر يوم
الحفلة، التزاماً عاماً، وعلى طرفيتها، بالاعتالم الإسلامية .

إننا بدأتنا لا نعيد الاستماع إلى بعضنا البعض وذلك ليس بسبب
الاكتظاظ والضجيج فحسب، وإنما أيضاً بسبب أن الخمر بدأ يملح
علينا حرته الوردية ويستدعيها جميعاً إلى ملكوته حيث ينبغي في كل
واحد من هذه «الطرفة»، وتظهر ملامح شخصيتها في كثير من
السلوك، بحسب بعد، بحسب ما كثر فيه من لغوه، وأخت بعد
حدا كثر من . . . ومنه صورة لا حية فيها، يتزعم مع دفع
مستعد في الجرمية التي لا تمكث على حال، وإنما تعتبر مؤز.
معتمة من الجرمية والسكر والعصب والحجاب والكراهية في هدوء وتوره

كانت حاشتها صفة في الدوق، فهي لا تستطيع شرب البيرة.
وإنما يلذ لها دوماً طلب نيذ (سجيرة) البهوتي الصنع، وهو نوع
وخص وطيب يحتوي على قدر مرتفع نسبياً من الكحول . وهو من
الصف البهوتي ولا يغطي شعبية كبيرة . وكما في معاديه سببر
هادئ وقبورين مسجعي الصوت تشاك الحديث بكياسة وتجميل
لعبس البعض حيلة بداية الجلسة، ثم لا يتألك إحسان أن سكر
ويحضر فيها الجور والبهجة يبعفول السكر، فتعلو الأصوات ويسود
الضاح على الحديث . وهكذا بدأ لا نحسن الاستماع إلى بعضنا
البعض، إذ لو كنا نحسن الاستماع لفسحتا المجال لكي يعبر كل واحد
منا عن رأيه بما يتفق له من وجهة نظر في خصوص حكاية لروحة
العربية وهي لغرائها، فإن أحاديث الأخرى العشوائية التي حرت
بينا عواء ومنه حيلة لا تمنعنا من الغدو إليها هذه الحكاية التي يدور
أنا شعرتنا كل طريقتنا أننا متزولون فيها، والتي يبدو أننا جميعاً لم
نستطع طرعا من أنهائنا ولا من مجلسنا، لذلك فهي ما لشت أن
عازبت التوزع على التستا بحيث قلنا:

- المرفا فاسده
- فاسده وتشجع وأجلها على الشرب هذا الفاد بكله .
- بالحرام هذا هو الفاد .
- سبحان الله



- والله عندك زهر لكن ما يلزمشي المرأ تشجع راجلها على الشرب.

- المرأ يلزمها تقبل وتسكّر فيها
- خلويها فاسده وما تسكّرشي موش هذا غير صا.
- السا بتكلهم من أسطط ما خلقن ربي.
- سوّدت حياة الراجل على خاطر يُشرب وكبي تالب عليه ربي رجعاتو

بالسيف

- مدودة حتى هو دلّ بلدي بلاشي شراب
- ما مري بجي أكثر وأسكران.
- ما نمت على المصروب أكهوي
- ما مدمّ منها لو كان تدخل في أموري
- ما كيمك لو كان تقفل بقتلها ولو كان تقفل اشرب بقتلها
- أما ماي وليت متموّل على كلامها الزّيلة وهي معودت على الحرا
اللي تشرب فيه.

- نا المرأ إمتاعي توبّي ساطله كي يباع برشه أكهوي.
- مراني ميش فاسده كيا كتسم تقولوا على خاطر هي متينة وتصل.
- مدينة وتصل وترجعك للشرب هذي صلا جديده.
- بلكشي إستانست تسكو وتكتّيب بالواسطه
- إبت تسكو وتولي ويحك كي الجيفة وتعدّلها الناس.
- معناه المرأ ولات الكوليك كيمك
- هو زعم الكوليك؟
- حتى سجن الكوليك. ٢٥

لقد صدّقنا أنّ زوجة صاحبنا متينة وتصل، وهذا أمر كنا نعرفه من زمان، ولقد كنا نعلمها الحق في البداية، عندما كانت لفافسة دلي أجمل السكر وتهدد بالطلاق، لم يمنع هذا من أن تكون المرأة مصلبة وطاهرة وتساكر رجلا سكيرا، كهذا وضع نجعل الحيلة شاذة، لكن الشدود يضيح ساعلا فيه ويرمك في العافية، عندما تستمر المرأة في صلاتها، وعندما يستجيب الرجل لما ويتطلع على الشراب، فتمتنع هي عليه وتكشد حياته وترفعه على المودة وقد توسلنا بالفلسي إلى أنّ المرأة أصبحت مدمنة بالواسطة، وإن سكر

زوجها الليالي نجي منه للذة والاشتاء. وبدأت أصبحت لا تضيّر الرجل في حالة صحو، لكن حكاية المرأة المدمنة سرعان ما دبت - غير مقنعة، لأنها جعلتنا نطرح سؤال الايمان على انفسنا، فرفعنا أننا نشرب بيوبيّا فقد كنا نعتبر انفسنا غير مدمنين، هصح لا نشرب بيوه الجمعة وكذلك لا نشرب طيلة شهر رمضان، قد يحدث أن يشرب احدنا بيوه الجمعة، لكن في شهر رمضان فهذا مستحيل إطلاقا، رغم نقل هذا الشهر وما يسبه لنا من صك ومكابدة حيث يمش على اسس الصوم والانتفاع عن الشرع معاً... لكن رغم نقل هذا الشهر وما يسبه من اتعاب وانحراف في المزاج والاحتفاظ في الأعصاب، فلنا كنا نقرّره ونعتبره كريباً فهو يوفّر لنا فترة راحة قسرية نتقدنا من الامعان وهكذا فإن كل المسلمين في نظرتنا لا يمكن أن يقدوا في مرض الادمان إن كان لهم قدر من الورع يجنبهم انتهاك حرمة الأياه التي لها هبة في الإسلام

ولله في خلقه شؤون، قلنا ذلك ولم نتبع الحديث في حكاية راحة صاحبنا، ليس بسبب أننا استوفينا كل ما عدا قولنا في الحكاية. ربي لأن المكان لم يعد يسمح بأي نوع من الحديث الترسيل، فقد بدأ الناس يسكرون، وبدأت حالة السكر تنصيب المكاد كله، والدخان تكلف بصورة جعلتنا كأننا في وسط غيمة قائمة مطقة بمرر بيوه التنفس، وقد أصبحت الطاولات تنحرك من موضعها، تلتحم وتشرق عن بعض بعض، ومن العبة والأجري يتكسر شيء ما، كأن يكون كأساً، وصب أو كريب أو طولة أو وسها من الوجوه، وقد نطفر على طابع لئلا أو أربعة أشخاص من معارفنا، كان الثنا متقد، كرسون للحدس وثان بشرين وهما واقفان، وكزوس الجميع تتجاوز عن طاولات الضيفة طبعتهما، وكنا نخذل حذرنا حتى لا نختلط الكزوس. فيشرب الحداد في كأس الآخر، وهما تبلغ شدة حفيضا إلا أن واقفون لا يحالة في الغرض، بعدم المحافظة على كزوستا، وخاصة معوضي في دفع الحساب للبادل للمعون الذي لم يستحي كيا هوشانه دوماً وسيمعش.

وكنا منذ حين، بدأنا نتوسل للسجائر، وفي هذه المرة لم نعتبر.

السلسلة القصصية

صدر حديثاً



56 KNIGHTSBRIDGE
London SW1X 7NL
Tel: 01-245 1905
Fax: 01 235 9305



التابع
عبد الله العبد الله



مختارات
يوسف الشاروني



حرب شوارع
شارل شهوان

الشعبي سقط، نعم سقط مئات الميول الداعلة وتناثرت شعبيته المفقطة الحادثة وحلقت على ارتفاع بسيط فلتزجت بغير الاحتفال ويقطع الأرواح التي طهرها الصبية المأهولة في فضاء الحوش الواسع . سقط الشارب وانسحق وبه بوزيد تماماً، اعنت ملاحه ولم يعد أحد قادر على تمييزه . ولا غرابة في ذلك فقد كان الوجه، بل الرأس، بل بوزيد كله، وكأنه قد وجد من أجل الشارب وبس أجله فقط قطعة اللحم التي كانت قبل الحادثة الغريبة أنفاً شامخاً كالشفاة فوق السواد اللهب عادت كالتصرة القديمة المجلجلة . والألق الذي كان يعكس في العين الصغرى عنوان عنوان الرولة ومطالبا تراجع وغاص في غور بعيد غير ذي قرار . وبرزت على العارضين المتصنين فوق الرقبة السوداء المثبتة ثوبات وخدوش جعلت هامة والرجل المسكين (كما سيسمى من لفظها) أقرب إلى رأس التيس منه إلى الرأس والوجه اللذين كانا يوحيان لكبار فريتنا بقوتهم الهائل، ويذكر الشبان والأطفال وبعض النسوة بأبي عتر صديق غوار الطوشة الذي كان معبود جامعي التفرقة إبان حصول الواقعة الغريبة .

.. وثلاثة غريبة حقاً . . . قالت بوزيد بنت الساكت وهي قد جازتها وزوجة ابن عمال زوجها مسجوعة بنت الماروب كلسي الشاي الأحمر بعد أن وصفت فيه عوداً بأبى من الشبح الجلي الفاتح الذي يعتقد أباءه «الشارب» أنه ذو أثر عظيم في تقوية الذاكرة . . . سابقة غطرية لم يحدث لها بعد من أن تصب عبي هاتين اللطيف ولا حتى سحما من كبار مثيله ها في ترويح بني بوزيد .

يقال أن بوزيد قد احتجب من يومها . . . ثلاثة أيام مطولاً ولم يره أحد . حتى سمع من الري تكفل به جاره عمك حيداً!! لقد حدثني . . . علي الأسمر قصص يقول وأبى . لولا ثقتي في صاحب بيتي . لا لكاد أن أصدقك لأذني . ومنذ أسبوعين كنت أعزق الناحية السفلية من الدابة لأزرعها سناً معاً تحت عظامها من الرسم حين سمعت شهيداً وبياً ومهمهم حامة مكتومة رشحت أن مصفرها عبة بوزيد المشاحة لها . وضمت في البداية أن أثار حارسه كانت تلد لكنني صرنا ما عدلت من تخميني فالصوت كان بشرقاً . وميت المسحاة تحت جذع النخلة وهرعت مستطعماً . لكنه انقطع عن الحديث وأغرق في ضحكة طويلة ثم أعلن فجأة قراره بالتوقف عن الحكاية بعد أن استمع واستعاد بالله من الشيطان الرحيم مزارت عدة ولم يصنع لرعيته في استكمال الحديث إلا بعدما أزعجت يده الرافضة بين فحنتي . . . وبديتي أمام مشهد عجيب : كان زيد مشطياً في مؤخرة أنان أبيه البيضاء المائلة ضاحكاً يكتفا بديه على ظهرها ومولياً في . . . في قضاها شيشة . كانت تصدر عنه همهمات وأهات انتشاء منورة متتابعة .

انطرفت المراتل في ضحكة طويلة مستمرة ثم جعلنا نتناوون على إطلالتها . مسحتاً أيديها بالدماغه وسألت مسعودة .

.. هيه وهذا جرى بعد ذلك؟

.. وما الذي تريدني أن أعري ؟! التفتي . . . (موتى بوزيد) بعد صلاة الجمعة بوزيد في مقهى دولد الدافئة وأخبره بالأمر ناعماً إنه يتزوج في البلد في أقرب الأوقات .

●

حسب ما تداولته الألسن قبل زيجة زيد وبعدها عاد بوزيد يومها إلى حوشه ومتوراً وأرسل زيداً في مهمة خاصة ثم أقدر بامرته وبأمرها

بسيحارة واحدة للجماعة كلها، وقرنا أن ندخها مشتركين، لكن هناك من تنازل منا عن نصيبه في الاشتراك، ورغم رغبته العظيمة في التدجين . كان كل من في البار أعين عن انتهاء عطبه من السجائر، أو أنه ليس مستعداً عن التنازل عن السيحارة الوحيدة التي بقي يحفظ بها لنفسه . إذ فقدنا التدجين ونحن على تلك الحالة يعملنا في وضع مرير يقابله ذلك النادل اللثيم بالشاشة ويسوء الأخلاق البدواني، فهو لا يتورع عن مطالبتنا بالمقدرة في لمة لا نحلوس عطلة وسوية . لا تصمدنا معنا فقط، بل يصرف باع كل الزبائن، خصوصاً والحق إلى جانب، فالتفت الرسمي لعلق الحوازل بدأ يرف، والتألد مهتاجاً على بصوت مستعجب أنه لم يعد في الحلال كله أي قارورة من الشراب . علينا أن نرجع إلى بيتنا مكرهين، فاستعدنا للشراب لم يفر، لكن علينا أن نأخذ للحل والأفان الأمور مسؤول إلى ما لا يحد عيشه، فدائماً تلك حالتنا، لا نترقب ولا نصعل إلى كمالنا من التدجين، وما يجر في نفوسنا حقاً، أننا نتخذ كل احتمالاتنا من التبغ، أما بشري كميات نفوق حاجتنا، لكن رغم ذلك نتكلم ما عشنا ومعاني النفس، وهذه ليست حال جماعتنا بل هي حال جميع الذين يسكرون ويدخنون، فالشراب يفتح الشهية بلا حدود لدى المدخنين لاستهلاك التبغ، لكن مستحاط أكثر للأمر في اليوم القادم، معناه، جماعة خر وسمر، وموعدها اليوم مساء في بار شعبي، هو بار (العولة) □

سقوط «الشارب»

كمال الزغباني

■ تفسيران لا ثالث لهما لما حدثت أواخر تلك الليلة الصعبة المصرة في حوش بوزيد الشعبي السلي كان غاضباً بالأهالي من إسناء «الشارب» : إننا أن هؤلاء كلهم قد قنعوا الرشد تحملاً في لحظة اتحدت كأملي الليلة الغريبة . أو إن ما جزموا جميعاً بمشاهدته

وأقسموا على حدوثه بأعطل الأيوان في القرية (سحق سيدي أبي العروش أعظم الأولياء الصالحين في «الشارب» وما جازوها من قرى) قد حدث فعلاً، بل كان حقيقة زرقاء لا يرى الشك إلا أنه تفاسيلها . ولكن حول ما وقع يعمل كلاً من التفسيرين مقبول بل واردة جداً وربما صحيح التصديق معاً!

الشارب الشهير . الشارب العظيم الأسود اللامع . . . الشارب البديع حق لصاحبه شهرة لا يعلم بسلطانها عمدة القرية ولا حتى رئيس لشعبة العربي في الصالح قبل الاستقلال وبعده . شارب بوزيد



جائزة

«يوسف الخال»

للسنة ١٩٩٢

النتائج في نهاية السنة

بموجب شروط جائزة يوسف الخال للشعر للعام ١٩٩٢، أُنقل في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ باب قبول المساهمات. وقد بلغ عدد المساهمات المستوفية لشروط الجائزة التي وصلت حتى ذلك التاريخ ١٩٦ مجموعة شعرية موزعة على الأنظار العربية حسب التالي: ٧٥ سورية، ٢٧ المغرب، ٢٥ لبنان، ١٢ تونس، ١٠ مصر، ٨ فلسطين، ٧ السعودية، ٧ الأردن، ٦ العراق، ٥ ليبيا، ٤ الإمارات العربية، ٢ سلطنة عُمان، ٢ السودان، ١ البحرين، ١ اليمن.

ونظراً لكثرة عدد المشاركين في الجائزة، وتسهيلاً لعمل اللجنة التحكيمية، فقد شكلت لجنة فرعية مهمتها القيام بالتصفية الأولى للمجموعات الشعرية المتبارية. كذلك شكلت لجنة للتحكيم مؤلفة من خمسة شعراء وفنّاء، سيعملون على إسباغهم عند إعلان نتائج المسابقة في نهاية ١٩٩٢. وتذكر اللجنة التحكيمية كما يذكر الناشر بأنها لا يدخلان بأية مراسلات بشأن المسابقة أو الجائزة.

جائزة «الناقد»

للسنة ١٩٩٢

النتائج في نهاية السنة

بموجب شروط جائزة «الناقد» للرواية للعام ١٩٩٢، أُنقل في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ باب قبول المساهمات. وقد بلغ عدد الروايات المستوفية لشروط الجائزة التي وصلت حتى ذلك التاريخ ٤٢ رواية موزعة على ٨ أنظار عربية حسب التالي: ١٥ سورية، ٦ الأردن، ٥ تونس، ٥ مصر، ٥ المغرب، ١ لبنان، ١ الإمارات العربية، ١ فلسطين.

ونظراً لكثرة عدد المشاركين في الجائزة، وتسهيلاً لعمل اللجنة التحكيمية، فقد شكلت لجنة للتحكيم مؤلفة من خمسة رواة وناثين وفنّاء، سيعملون على إسباغهم عند إعلان نتائج المسابقة في نهاية ١٩٩٢. وتذكر اللجنة التحكيمية كما يذكر الناشر بأنها لا يدخلان بأية مراسلات بشأن المسابقة أو الجائزة.

الموضوع غير تارك لها الوقت حتى لإعداد كانون الثاني. قال غا أن يا بهت التنس، عني نأ من تربتها صالحة لأن تكون للولد رويماً ولها كنة وخاتمة مطبوعة. ولم تردّد عاشقة بنت الصافي كثيراً قبل أن تنطق بإسم فاطمة معلنة أن الأمر عندها محسوس من زمن طويل وجعلت تذكر بوزيد بتسبكه الطفلي على بعضها منذ ميلاد فاطمة ابنة أختها بل أبا ذكرت له تلك الطفولة التي بحثا فيها طويلاً عن الولد وهو لما يتحاور السابعة من عمره وهما عليه بعد ساعة يسبح مع فاطمة عابرين في ساقية الخشبية. كم ضحكنا بعدها. قالت للمرة مذكرة زوجها. كما يرتعدان خوفاً وأنت تحرق لهما مهزداً بأشبع الطاب إن عاد إلى تلك والقهاصة وينار جهنم... لا أتذكر كل ذلك؟

تذكر بوزيد ذلك كله... صاحب شاربه الكَثَّ يحنو ظهر ثم انطلاق الإعداد للعمل الكبير. طوّل أسبوعين لم يجد الرجل خاطراً ولم ينعم بالراحة إلا لأملاً، فبع الخرافات وقطعها ببراعة الحزاز المحترق، أقام لفتحة الخشبية التي انتصبت عليها في الليلة الثانية من العرس فرقة المزود، حر الأفعالي التزيين وفروقه، وزع الشاي الأحمر والأخضر على من تطوّع وألحده. ورخص... نعم رخص بوزيد وشاهد الضربون شاربه الهيب يبتز طرباً ونشوة كما نابوا حركات عصاة الحزانية تطيح بالقلل السبع المرسعة فوق رأس «بوصبيح» الزمار الواسدة تلو الأخرى ولدي سقوط كل واحدة ترتفع الزغاريد وتنق روائح الجوز تحت أباريق الشاي المرطبة... ترتفع الزغاريد في باحة الحوش وتزداد التسوية... تنفد الفرصة في القوس على وعاءة وسيطرة تزيح روائح الحياه الغروي، ينجم الجميع في الرقص وفي بعضهم البعض... تلاصقت ليلتها الأرحل وتلاصقت الأظفار... بنت هسات حارة وطارت بعض القبل إلى وجهات متفاسدة... كانت ليلة بلا مثال... ليلة برز فيها الشارب البوزيدي في أوج حالاته حتى ترسّعت لدى الجميع القفاعة بأن هذا الكائن الذي يخسر كيان بوزيد كله، لم يكن له بعد شارب بوزيد الحلائي العظيم مثل كل من يكون له في المستقبل نظير أبداً... وقد الجميع.

أورك العرس ليلته الأخيرة، ارتدى بوزيد جنيته الحريرية الصفراء للطرزة بالأشكال البدئية... وضع على رأسه الشاشية الحمراء وابطأ حوقاً للفتحة البيضاء الناعمة التي استعملها له بوبكر شقيقه لدى عودته من الحج. اكسى الوجه جاذبية مضاعفة أعطت للشرب اللذيق لمئات ألبان في استنارة الصبابة الحلائي بالزوجة المنصرفة، حتى كانت وجعته تنطق بالدم المتوردة فيها. كان يمسك بالبنديفة بسطوة واعتدال، موشة فوقها نحو السقاء وغير بعيد من زناهاه لبث أصابعه المنعقة الموائمة في انتظار الدقائق الحيقية على باب الحمرة الزوجية للمحل بليل صوت كبير وريانة حمره باسمة. لكن انتظاره وانتظار حتى الأهالي طال قليلاً... ثم طال كثيراً... ووصل انفعال الرجل إلى ذروته حينما اقتربت منه زوجته ووشوشته له بصديقه الزهية. وقد قال الطاهر الأحمر لزوجته وريانة بنت السكات - حسباً رونه هذه جاريتها خلال جلسة الشاي - أن الشارب قد سقط خلفتها بالذات وأن العطفة التي استقرت في الحجرة بعد أن أحدثت ثقباً في الباب - تماماً تحت ديل الحوت - جاءت بعد السقوط تماماً. لكن زوره أعزى قالوا إن سقوط الشارب لم يتم إلا بعدما دوت في داخل البيت اللعين المحترف صرخات العريس اللذين لم يتعامل ليلتها إلا كحويين. □

الذنب المعقوف والقصيدة

صباح علي الشاهر



■ هذه تمنحني وجهه... ما هذا؟!!

كانت لي بشرية طرية، تبعث في نفسي الرغشا، خصوصاً بعد الخلقة، مما الذي جعل وجهي بهذه البهجة والقسوة... ما هذا؟!!

أعدان شاربان، أم عجمان؟!!

كالي متفرج... كان ليس أنا الذي حل به ما حل... ما هذا الهدوء؟ إن كان كابوساً، فلكابوس ورهه... مرة حلمت بأن أنهي مجموع... استيقظت ورفقي ناشف... كنت أكي... وكانت الوردية مفرقة... عندما ذهبت إلى المدرسة، لم أستطع عدم التدريس... عذلب طيلة البهار لا أقوى على إخراج كلمة، كان الكلام يصب، أو يصبوب.

جف... وما إنذا كان خروفي مسجنت، في هذا الهدوء والتمهل؟ أكون على هذه الهيئة من زمن طويل، وربما... لم أكن أدري أني فوفقت نفسي؟! كيف لم أجد، في كل بيت وفي... تتوهم الضياع؟!... أنا لم أكن على هيئة أمة قط... قبل فترات كنت أتناقش مع زوجتي، ترى حور أي شيء؟ ما تذكر

كانت تقرأ كتاباً صغيراً... كيف أقول صغيراً؟!... إنها لا تذكر نقرأ، عن الأصم أن لا وقت لها لنقرأ ما نقرأ... ماذا كانت تقرأ زوجتي؟ من المؤكد أنني سخرت مما كانت تقرأ!

كانت لي صيالة، أو هذا على الأقل ما ينبغي أن يكون للأدبي عيان كميكان... واحدة نظريتي، والأخرى يسفراً... هذا يعني صيالة، وعقل واحد يربط فوق الحواس، هذه المائدة العجيبة المحصنة بقبتها الترميزية في قمة الهرم... تجرد... تفرغ... الإنسان قد يكون أحياناً مجلجلاً... بأربعة عيون... يجلب هذا عندما يُقَلَب العيون الطيبة فوق الأنف... عندما يكون الإنسان بأربعة عيون، فهذا دليل على ضعف نظره... من المؤكد إذن أن تمدد العيون عند بعض الكائنات دليل قاطع على ضعف نظرها، وليس العكس مُعجَب أنا... كنت، وما زال، أن تعدد العيون يشتت الرؤية، تجزئ الأشياء، ولا يربطها... الرضا فوق كفتي يشتغل... إذن ما زالت أنا... أنا... وهم ما تنسبهم بأنهم...

أريد أن أقول عن سمة من أعمى، ولكني أحب أن أنظر الأمور من زوايا، كل رادية عالم بكماله، بكل صفة... (يقولون: إن للعين أكثر من معنى... فالعين ينبوع الماء... والعين سيد القوم... والعين هو الجاسوس... والجاسوس... وما أذكرك ما الجاسوس!)

الجاسوس مُكلف بأن يسمع ويرى شيئاً ما... شيئاً عدداً يريد الأعداء... إنه يُرحل طوله للعين، فيمنع عن رؤية الوردية التي تتفتح، والكلمة للوحية بأكثر من معنى... يتحول شيء ما إلى قاتل للشعر، عَطَل للأصابع، مُبْشِر للشيء... لا يأخذ إلا ما يرضي القلب، إنه تقبيل منطاطسي جامد، يربط من حديقة الأورد، لكنه يدس أنفه في الحفرة، كما تملق قردة ميمية، مربية هكذا في قطيع. (من يجب الجاسوس؟!... لا أحد... من قبل أن يتنرس في دماغه شرطي؟!... لا أحد...).

قال أحدهم يوماً ما مُفسراً كلمة شرطة على تحوسنار: (الشرطة، كلمة مكتوبة من كلمتين (شر) و(شرطة)... غاليان، يا عني! الاساتين!... غاليان أكتبا على السار، ما على العين... أحتاج لكلبك، بكما أبصر الشيء، وتقبضه...).

شيء غير معقول... شيء لا يصلح... بيلة برودة أعصاب أهدت؟! أنا الذي حل به ما حل؟!... في أكثر من عيني... علة من العيون، ثم لا أتحر؟! مرة قلت لي جدي: إذا أردت أن أكون الحلم من الحقيقة، فحاول وأنت في الحلم أن تذكر اسم وما قبله، عندئذ يزول الكابوس إن كان كابوساً، أما إذا ظل كل شيء على ما هو عليه، فاعلم يا بني أنك في الحقيقة ولست تحلم... روح الله عليك يا حنق! إذن جدي ميتة... ميتة بالتأكيد، لقد ماتت قبل والذي بسببه لشد ما كنت أحبه! لقد لفتني شيء كثيرة كانت تصور... إذا وما أن يكون رجلاً حقيقياً، فهناك أن تكذب، ويك أن تحس من فور خضعة

أذكر... ذات ليلة شتائية، وكنت ما أزل طفلاً، انتابني خوف شديد، كنت محسوراً، لكنني أحسب الأذهاب إلى التوابيت، وأحسب النوم... انشغرت لأن أبول في القدر... في صباح اليوم التالي، رآه و... انطلق به... صرحت به... لا يا بني انه

جدي

قال ما حور؟

كان والدي يستمع لحديثنا

قلت: لقد بلغت فيه البارية

عندنا هذا والدي، ولقيني درساً... لم يكلف بالعرب باليد، فليكن يصفاً ويا لوال علي صراً... في المساء قلت لجدي: تقري، ليك والكذب، ولا تجرب عن قول الحقيقة... وما هي النتيجة

انتمت، وربت على جدي يا بني لولم نقل الحقيقة لاستعملت والدك الغدور، وطبعت لكم فيه، ستأكلون الزاد نجساً، وربما تمرضون أو تشرى بكم، فليكن بصرناك منعت هذا... رفعت شداشي وأرنيته آثار الغرب

قلت: آثار العاص ستزول... لكلك لو جيت عن قول الحقيقة، وأصايلكم مكره، فإليك سوف أن تسي هذا، وسوف لن تحترم نفسك، وإن تكون رجلاً حقيقياً.

في المساء صالحي... قال لي: لقد كنت نبلاً... وأنا فخور بك... ولكن من العيب أن يفعل ولداً ما فعلت... ولكني يركد لي أنه صالحي، والله راض عني، أعلني إلى السبابة، وثقها أحسست بأن آثار العاص أهدت تماماً.

تمت يدني؟!... يدني؟!... يد... أهله يدني؟!... في يدان ورجلان... هكذا على الأقل ما ينبغي أن يكون الإنسان، أحياناً،

فعل طرف خاصة، يكون للانسان يد واحدة، او رجل واحدة، وقد تكون له خمسة اطراف عندما يبلغ من العمر عتياً، ولكن قطعاً لا يمكن ان يكون له هذا العدد من الاطراف النافذة، التي لا تستطيع ان تميز أي منها الاصل. وأي منها الايدي. . لو أردت أن اكتب، فلي غير قادر على مسك القلم. لا أستطيع اعداد عاصرة، ولا تحطيط جدول للمالية. . هذه الاطراف لا أستطيع إلا أن أدب على الأرض أسير ويسمي كلة مؤخرها. لا أستطيع رسم شيء، كما أتى غير قادر على صنع طائرة من الورق لاتي، ولا مشتمك من أكل (الدودرنج) بالمطعة، وأنا في هذه الحالة، لا أستطيع الحلويس على كرسي، وأست قادراً على رفع قاضي، والنظر إلى السماء المرمعة بالنجوم. . سأسير مرفياً مطافاً الراس. . استظل رأسي بالتدريج. يتخبث الصندوق الذي يحملي أحس. . ابكي وأضحك. . أحزن وأتأمل. . أضحك وأكره، وألهم وأتأمل. . أرى أن أتأمل. ولما لا أرى أعالي الشجرة، ولا تطرب أصعالي لفضوات النجوم، فهذه الاطراف متدب بي، تأخذني حيث العفن، حيث الاندساس بين عندما أريد تقيل حبي، فاني سأسد (موزي) لوزها، كما يمد الحروف بوره لانضمام سبيل الشجرة. . لن يكون بإمكاننا أن نلتحم وبسبب وإضافه، وليس بمقدوري أن أفق أنني بين الرقية والكشف، وأطوقها بذراري، وأشك محدي على محبتي، والأمر سري سرته، ثم ألام هادئاً عن دقائق مصها. . سأحذر. بي أي الأخر فأسرودي الحذاء، وفي أي الفقا؟ . أين سأذهب ساعي، ولين أحس طرق حيويني؟ إذ يصفي متروياً، أقول. . كما يقول كل الأزواج. خلاصاً لرباط الزوجية، علي أن أكون حراً على لس عائل الزواج.

وبصفي رجلاً عصبياً، فلي أشد حياً، يده الراس. كيف ارتديا في هذه الحالة؟ أنها تستطيع على الأرض، ولما استطعت علي ما تحفظني، أو تحملي مشدوداً بشيء، لا أستطيع المكثفة حتى أفسر!! أحياناً، عندما يستثيرني ناله خلد اللثة، أود أن أصق في عينيه، كيف لي أن أظفي، لواري يصفه بكافة في حين ناله!! وهذا السلب المظروف، المتني بآسرة، ما حاجتي اليه؟ . ماذا أفعل بالظنور؟ هل أتفه لأمره من فني؟ . لا أكون عورتي في هذه الحالة ظاهراً؟ أليس الذنب عورة؟ . هو عورة، سواء كان مغفواً، أم غير مغفوف، متنيها بآسرة لم غير سعة!! لا. . لا. . أريد عيني. . يئني. . وجلي. . لا أريد أن يكون لي ذنب. . لا. . لا. . لا. . لا. . لا. . لا. .

أنت! . لست أنا التام هنا. . أنا لست أنا. . أنت أنت. . أنا، هناك. . أنا كنت قبل أن أتم. . أنت أنت الذي أخلصت معه. . أنت مقروص، وطليق أن تقرص. . لن يكون بإمكانك أن تقرص إلا إذا كنت على هذه الميتة

من هذا؟ . قميص نصف كم!! انه أحر قال. . حجياً أصغر قاتع. . يا. . ما هذا؟ قميص أحمر سلسلي يتسم. . هل يتسم؟ هل هكذا تكون الانامسة؟ . قميص يتسم. . عزة. . من؟ . من أنت؟

أنا أنا. . وأنا أنت أو لردت. . لا أنهم! . تلك هي مشكلتك يا صاحبي أقروص وستحد نفسك، ستعرف من أنا. . حرك رأسه الثقيلة (قوس حرج) . أنت لا لود لك. . أنا الألوأ كلها. . وأنا أي لود تريد أن تراه . كيف حدثت بي؟ . وهل لك بيت؟ . ضحك . أعز يصحك فعلاً؟ . من وضع هذا الذنب في مؤخرتي؟ . أنا إن شئت. . ولكن لا تنسى. . أنا أنت. . ما حاجتي به؟ . عداً. . انه ذنب مغفوف منه بآسرة! . أنا لا أحسن استماله. . تعود. . جرب ولمرة واحدة. . جرب. . واستعود. . اقرب منه. . حقق بعينه. . تذكر، عندما كنت طفلاً، حملت بأنك في جيب المطارب. أحييت الحيلة. كيف تنقش اسم المطارب؟ وقته تقيت أن يكون لك ذنب مغفوف من بآسرة. . كنت طفلًا. . وما زلت. . كلا. . لقد كبرت. . كبرت وصغرت. . كلا. . كبرت. . نخلص كم القميص. . نخلص. . أصبح أكهأ. . رسم المطارب الذي ييشك؟ . هذا سبب المعن. . أعنف. . هز رأسه. . (أهو ييز رأسه!!) . ولكن المعن موجود. . المطارب موجود في إذن. تحمل (ع). . نظر لي لا شيء على التمين قال يمس وكابه يشد أعية أثيرة . صاحب بيدي طائرة من ورق لاسي. صرخ القميص. . أيا المهور!! . اتسمت ابتسامة (ع)، أحس بشوة دامتة فاجدة. . أرفع قاضي لأنظر السماء المرمعة بالنجوم. . ستمت. . عذب (ع) يجلو: أتيب أكثر إذا لم أفعل على دقائق نبض حبيتي اقرب القميص منه أكثر. . أصبح عرقه كما الفية الليرة . أسمع ستشوه وتلداس. . وأنت الجاني على نفسك. . أشتوه؟ . استطرده (ع): ديا. . ولكن لن أناس، يا زال في فني يعاقب يكمي لأعراق عيون الصاعدة. . السم الذي حقت به سيفتاك . قال بغداد صبر: دعني. . دعني. . في هذه اللحظة أريد أن أتأمل. .

المفاجأة

خليل فاضل
الدوحة

■ حاولت حبس دموعها فاهزرت عيناها ورفضت مدّ يدها لتسحب متديلاً ورنياً من علة كرسوية وردية اللون قُذمت لها على استعجال. لم تكن ناهد تدرك كل موطن القرة التي لديها غير أنها كانت تعرف أنها تحمل الكثير من موطن الضعف فعزّت عليها نفسها وكادت أن يبارك صوت واهمه، عذلت من شعرها المنصروف على شكل عزة مقبوضة يهتف من الإمام . ومن الخلف . كان الشعر معقوصاً وشبهت كرسوية بركبة رقيقة عليها قصص صغيرة تلعب وسط شعرها الكسبائي كالبحر الجيد في الليالي الصحراوية الحارة الممتدة، لا يفسد رونقها الإلهي إلا صوت السيارات الضخمة ذات الأنوار الكبيرة . بلغت عيناها دموعها وانسحب الحزن إلى داخلها وقامت واقفة شاحنة تزيع الوشاح برأسها وترمي بماءها السوداء على الكرسي اللحيّ للسند والفرش الأصفر اللين القاتم كان خالد جالساً في مقعده الوثير يحاول إخماد ارتباكها وكان يترقبها منتظراً اللحظة الفاتمة وما تحمله من مفاجآت . جلست إلى جوارها في المقعد المجاور له وأسندت ذراعها على مسندته ونظرت في عينيه وقالت - أعرف أنك تخونني

ابسم خالد إشعاعاً مأكراً بخفي بها بعض الحرج ويبدو في استقلاله إلى الخلف غير مهتم على الإطلاق، استمرت ناهد وقالت:

- وأعرف أنك تخونني بالتحديد مع الاجنبيات البيهارات والشقراوات .

فتح خالد فمه هذه المرة متصيحاً، يبرأ رأسه قائلاً:

- الله يهلكك، لماذا سوء الظن.

كانت عيناها متوجهتين إلى عينيه اللتين كانتا يبرقان منها غير أنها استطاعت لمح الارتباك الخفيف وورشة الساق المرموعة على الساق تحت الثوب الأبيض الناصع.

•

مفت ناهد إلى غرة نومها تامل جسدها وتذكر الغزل الذي قيل



- تامل والغارب في ثابا قميصك؟

- كليا تاملت بطل مقعول السم وتلاشي.. في التامل اجد راحتي.

- حاتم أنت؟

- لا تخف.. لن أحسار أين اتضح فردق حذائي، فما بين قدم الانسان ورأسه قامت كلها .

- تصحكني

- أما؟!

- نعم أنت.. ماذا يتبع هذا، إذا كانت صغار العقارب قادرة على غرس سمها عبر بصير القدم..

-

- أراك صمت..

- لن أسير حالياً ولا عابراً..

- هذا لا يتبع.. لا بد من سلاح.

- هل أنا في معركة؟

- واية معركة؟ معركة تحتاج لدن معقوف متته بابة سامة

- وأنت بنظروني!

- كلا.. ما هذا التدبير السافج، لفه وأطوه، ثم ادفته في مؤخرتك، عله بالظنون، وعندما تحتاجه حركه..

- كيف ادعيت ابنتي، كيف أضعها في حضني؟

- وما علاقة هذا بذلك؟

- ألا يقرصني ذني المعقوف في مؤخرتي؟

- عندما يكون لك ذنب معقوف، فتكون مخصصاً

- أي أكون ساماً وساماً..

- وما الضير في هذا؟!

- يا هذا! أكاد احتج.

- من السم الذي فيك؟

- كلا..

- لماذا إذن؟

- أريد أن أنام على جنبي.

- سم على ظنك.. تعود على هذا..

- لا أستطيع.

- تستطيع أن أدرك.

- كلا لا أستطيع

- أساعدك

- دعي قلت لك دعي

- أكاد احتج أريد أن أسك القدم.. أسك القدم وأكتب.

اتامل وأكتب بيده الهبته لي أكتب قط لي أقبل شيئاً

- ماذا تفعل أيها الجنون؟

- سأفرق هذا الجسم الحرفشي المتصلب.. أريد أن أتفس..

- أيها المحزون حادر . درعك وسلاحك . حادر .

- احرس . انه قربي وليس درعي . آه . ها أبدا أتفس..

وراسي يترقب فوق قلبي

- إلى أين؟

- فف مازال لي حديث ممل!

- حد حشرتك وامض لقد أصبح ناسكالي الآن كتابة قصيدة .

قصيدة □

براءة لا يحتملها العالم

عالية محمد شبيب
الكويت



في نفس الزاوية لا زالت
في نفس الزاوية لا زالت هي
في نفس الزاوية لا زالت هي جالسة
تضم ركبتيها الى صدرها وتشد رأسها في
مواجهة الجدار ترى وجهها كاملاً في الجدار.
تكتسب فجأة كل الرايا في العالم. تبهر مدعته
تقتل من شظاياها فراشات صفراء... تلتقي وتضيء... كل حرائق
العالم خلف ظهرها تستسلم لحريق يحرق يحرق يتألمه الحمرام
الزرقاء الصفراء أعصاهما

٧

تصعب

لها

حلمه

صباحه يلهي... شبح رائحة جلدنا... زغب ناعم يتابع بفصول تشق
رأسه لروح وسبع ناس الجدار لها... حلم... صار العالم دغنا أسود
لا زلت أحلم... غريش مسافة من الحمرين الأبيض لكل الذين لم
يسجوا... وتعلم... كم تحب البخار يتصاعد منها... فطرات لدى خديعة
وفجأة تسرب خلسة تظهر بعلمها من كل ما كان... لكل ما سيكون وما
أن يكون... قالت المحاصرة للمخاصرة بيت شعر: امهر المطر في
الخارج.

تابع العالم حريقه.

قال لها الجدار: وداعاً، ليتذكر حوارنا السري اللازم

قالت: وداعاً!

قال: «أتركه يجوب بحريقه، هو حوار الوحيد».

فتح لها فتحة... حقق

رأت نفسها تنقل في بصرية صافية... رأت نفسها تتأمل أمياتها
صغيرة تأكل من فضلاتها وتقدمها أسفل الماء... فرحت... دخلت

فيها وص المرائع الذي كتب فيها الشعر ونشط اسمها على كل مقفله
المدرسية، عن الخفاف عليها من الجرح بمفردها خشية الفتنة
والضحية اللتين يجمعها جافاً، ابستت في المرة لكل الأشياء الحلو
وفكت شعرها من الخلف واستلقت بظهرها تالسا الأرض فضعها،
وصوت تسبها يخلط بصوت المكيف كانت دمومها أن تدور
فرضت أن تحتد يدها إلى متدليها القطني الصغير للطرز من الخافي
فبالت دمومها ورفها، نهبت من راحتها وطالعت أطولاً ورسمه
حاجبيها وورقان يوزي عينها واسترسل رموشها الكحيلة... تمشت من
الغرفة إلى الممر الخافت الصو، لاؤذي إلى الصالة فالتقت حالداً وهو
يبحث الحظ في وجل وحيرة، استوقفتها فقلقت

... أبعد عني.

صاح:

... أنا زوبك وأبو عياك

صرخت: ... أبعد عني..

تعمل وداعها ونهاها وصرخ فيها وحرق من شأنها وصفه
منا وداس على كراستها ثم دعها إلى الفراش فصاحت:
... أبعد عني

ولما لم يتعد خالد وكان في صفقه وتكره وعنده يجاور إلى الشللات
البالية من رجولته في مواجهتها غير أنها لم تهمل ودفعته جانباً وشقت
طريقها إلى الصالة، فتحت بابها وضمت... لحقها والظلمة إلى أها
كانت قد ركبت مع صاحبها غير أنه انزعج شدة لأنها كانت سافرة
بدون عباءة أو غطاء للرأس

عادت لتبعد في هدأة الليل تدق الأرض بشرة وترفع رأسها في
شمس... كان خالد جالساً يضحك عالية، هو سطر في الجانب، ما واف
غير من لمحة وطلعتها فوجدته متوردة حزين يصعد الدم... إلى وجهه
وكأنها بللت جهوداً فحسباً فوضع ساعة الحائط معتدلاً رده صاحت
بكل ما أوتي من قوة سالماً لهد وهو يشد ساعدها ولوي قراعتها:
... وين رحبت... وإلى سوتي

ضحككت ناهد وسبحت يدها من يده بشرة لم يمهدها فيها
واستزنت على المقعد الرئي، كانت عيهاا لثمان وكان شعرها من
الأمم غرة مقسومة نصفين ومن الخلف مفرواً معلولاً منبطاً على
كتفها، تبدلت في راحة وتفتت في صم، ابستت في هدوء رائج
وهي تطلّع العلية الكرونية الوردية الطالع منها التتبل الورقي، كانت
متأكدة غداً أنه ليس هناك ثمة دموع في العيون تحس وتلج وأن حالداً
قد صار قطعاً منها الأثاث ولها تمشك يديها زمام شيء يعلت
جلس حالداً على الأرض عند قدميها وتامل عينيها وبكى في حرقه ثم
استسلم على بصمت عذب لا يقطعه سوى صوت جهاز
التكيف □



56 KNIGHTSBRIDGE
London SW1X 7NJ
Tel: 01-245 1905
Fax: 01-235 9305

أعلام الكرد

مير بصري



صدر حديثاً

اشتعلت الزاوية على الفور، صارت دخاناً أسود صارت رماداً يلوأ

الجنة تطلق الرصاص

محمد عبد الملك
البحرين



كنت وأخاً أنه رجل بالفعل، وأنه جنة بالفعل، أرجعت ذلك الى خيالنا وأوهامي التي زادت حدة هذه الأيام، وكنت أريد ان أتأكد من هواجسي بالقطر. بالسط ما هو؟.. ماذا يفعل.. ماذا أفعل أنا؟.. هل أحيله جنة لم أنه كذلك بالفعل؟ ولم أكن في حاله مستقرة تسمح لي بمعرفة ما يدور من حولي.. وما يدور في عقلي.. كان كل شيء ينشق من الداخل كأمر غوي كشعر لخب، والكرهه، والرغبة والبسود، وكان هذا الشيء يسأل ليصاً من خارجي من اسفل شمس كان رجلاً حقيقياً له شارب مطفوع بساطم وهم مدور واسع، وكنت يردد عترة نطيفة يهواه، مسترسة خلف ظهره، وعقلاً أسود غارقاً في السواد. وكان يشتم ويشرك من أحاسي.. وفي بعض المرات، كبير واسع، لا أذكر ان كان مطعماً، أو محلاً في.. وكنت معه امرأة متوسطة الجاهل، وهادئة، ولضع لبناء، وحرارة دافئة.. وكان له داخل همه حرة غامرة كأنني تحدث عند أحبارس المحللين، والفوضى بالشرويات الروحية. قلت انها أوهامي التي تنفصم.. هي ألام الأخيرة بدأت انصهر تصورت خرافات، أحياناً أرى نفسي طائراً جارحاً، وأحياناً أتناقص شخصيات غريبة، وكنت أتصرف مع الآخرين من هذه الهواجس والأوهام السوداء التي أحاطني الى انسان.

أرى نفسي في أوضاع غريبة، في أشكال غريبة، أرى الآخرين في حالة من الحري، أو الدهشة، ثم أجد في نفسي رغبة جارفة للعل شيء يغضب منه الآخرين الذين تصورهم في أوضاع لا يعجبنا، ولكننا يمكنه ونعمدت في أيام الأمكنة العلة. كانت هذه الحالات العربية تزوي بكثرة هذه الأيام، قلت ان ما تصوره عن هذا الرجل هو نوع من الهواجس والكوابيس.. كانت كوابيس غريبة، لأنني كنت أتصورها يمكنه الحديث.. انها حقيقة لا أكثر، ولا أقل.. كان لا بد إذن من ترك الموضوع يأخذ مدهد كالعادة

كنت أراهم نفسي على أنه رجل بالفعل، وكانت نفسي تراهن نفسي على أنه جنة بالفعل، وكنت أيتسم بعد ذلك وأخاف، وأغضب وأتردد في الاقتراب منه. كانت المرأة تنقف قريباً منه، وبعيدة عنه، كانت تلاصقه ملاصقة الجسد، وكانت تنظاظر تنجاهله وكأنها بمضغمان اللبان معاً.. وأخيراً.. اقتربت منها لكي أتيقن.. كان قم الرجل مفتوحاً ب تكرار بحكم مضغ اللبان، وكان قم المرأة الأحمر الصاعق غارقاً في الصمت. وكان كل شيء معلقاً الآن، الصمت

لم يعد يشيرها الرجال.. أراهم أن تخرس الجنس مع حقل! صبحت للتفكير. قُررت: غسست ثدييها في حليب تهديه الساء للال.. تخرج من مرفها وتطرح باسمياً أزرق.. تأوه البحر طويلاً، ولم يسأله أحد، ما به! العاصف يثرب من الحليب ويتفر خيراً يتكوّن حول الحيلة وينتفخ.

قُررت: كان فجر له رالحة الصنوبر البري الذي يبرول خلف عزلة نخي، عنه بكارتها وتركهش. تشتتق للمح بنفخه الحر في فمها فتشامل موجبات في أجدود ما بين التدين

هبات ها الساء مهرباناً يرتفالات تشق بعها، تنهمر منها مرانيا صعية. ملائك بلون قوس فرح يحملون صعاثر رباح نشر زعفران ويندور هباد شمس: تهيج تربة الحقل. ماذا يحدث؟ يسقط عرباً إذ تسير نحوه. صار الجبار يصاحد من البحر الجيد. لا زال الناس يستحمون فيه، لا أحد يسأله ما به. غسزت للملائك للرياح، فجعلت ما بجويها ورمت بضع حفنات بأناملها الناهمة، تساقطت قطرات ماء ورد صاباً على التربة. ارتوت البلور. انشقت. تفتحت في كل بلدة حدة ضخمة. دخلت. في الخطوة الأولى. شفق الحقل. زجاج بارد صارت كل عين جاحظة. ارتمش زغب يفرش جلدها، ويفجر حاكك قطرات الندى على أصابع العشب قصصاً كانت تمككها هي في أحلامها لشجرات من ورق، سمع فيها، مروي وثمر استرحت. عاد الدم في عرونها يبعثر وسيل تصاعده أبحيرة فليلها الحقل لغناً ودياً. وصلت إلى عطفه في التصف

استدارت حوصاً. الاحداثق تحول إلى ملك يعني بقها الملك العجل ويصمت نوحها جندائه الليلة بالهشوة غمرها الراتقة تسقطت مدت الأصحاب أعينها الطرية. التحصية بها مزيج الجبار وعطر باسمين بدائي أربعة يعرك زواياها، تنفطر من صمها الصرحات خافت أراوت أن تراحم، أن تهرب أرتجعت، مثل سلك كهربائي مكشوف أمام طعنات المطر الشرس، قفزت من حلمتها تفاحات. من أناملها جرت جداول مسك. تلهث. يلهث معها الحقل، يرنج

خرج الناس من البحر إذ صارت تملأ أوجابه وتلفد الزبد. تُعش حتى البحر من نفسه.

ومادا فعلوا بحوري؟ ماذا فعلت هي بنفسها؟ فراشات تتأمل المهرجانات. لا تقاوم. تنفخ على العسل الذي يطفو على بطها الحار. تحمّصت. صارت تنقر. صرخت تنصب. هذا البحر هساك. تتاول أطرافه ثوبه الغمريزي وتكوّر في زاوية ويكي. لقت ذراعها حول رأسها بصمت. بكت.

■

ملوكة هي لحب يشتمل في باطن الأرض ونفخ من أجلها. روافات تلف حول أمتانها محيرات من زيق.. خافت. مبهكة. كانت. متهك كان الحقل، وحزين.. حزين كان البحر. أسدلت الساء ستارة من ضباب. تم الشهد. صفق الفلاحون بفيه. ذابت هي تماماً. ثرب الحقل مزيج العسل والورد وله الأتوتة. حين سطعت الشمس، كان الحقل دخاناً أسود. □

الذي كان في الشارع للسائي خارج القاعة. الضوء الساطع في جانب
والميت في جانب. استراحة وجه الرجل الذي كان لا يصحك كثيراً ولا
يتسم كثيراً. أحس أن أحاطه لأمسح صوته. كانت عينه
مسترحية. قلت أنه سعيد ويستريح في الأسير القاتم،
ولا شك أنه لا يعرف أنني أراقبه كل هذه الرقابة، وأدعي معرفته منذ
قرون. ثم تساءلت هل يعرفني كما عرفته؟ هل الصلة بيني وبينه
حقيقية؟ هل يستطيع التعرف إلى في كل الأشياء التي أربح فيها؟
لا بد أن ثمة لقاء قد تم بيننا. لكنه صغير السن. اعتقدت أن
الرجل عاشر ربيع، غاش ومات، ورائي مرة أخرى. قلت: كم
مرة ولد هذا الرجل؟ .. وكنتي كنت قد رأيت زوجته قبل ذلك في
زمان ما في مكان ما، وكانت عارية تماماً، وتذكرت سمره جسدها
الداكن. ولحظت خيرة الرجل عليها. قلت لا شك أنه سعيد. وقد
يتم بقلي لو سألته عن هويته في تلك اللحظة. وأنا أنظر إلى الرجل
من زاوية ما، انتهيت إلى صوت من خلفي. لا. من جاني.
كان صوتاً منتظماً من الداخل، من الأشياء المحيطة بي. صوت نائم،
منظر دالم. قال لي:

أنا فحمت ما يدور في خيلك هذه اللحظة!

وظل يتسم. قال لي:

هذه نبؤات قد تحدث. انه جثة بالفعل!!

عجبت من مطابقة أفكاره للأفكار. وقال لي الرجل بعد ذلك
انه قد تحرك بفعل دوافع، وحواجز، وغايات
وأصاف:

هو يزعم، يرث، وينام، ويموت، ويميش، ويتأمل منذ
قرون.

قلت له.

كيف تتناسل الجثث؟

قال الرجل:

هذه مسألة بالغة الصعوبة. ولا شك أنك تتصورها. في
عقلك. أنت تحسد. تتسنى أن تكون جثة ولا تستطيع

وهذا الرجل يمسي. قال لي:

هل تتصورني جثة متحركة أيضاً؟

كان يتسم. وحدثت ابتسامة بالإنسامة وقلت ما عاجله قماً:

أفعل أي جثة متحركة أيضاً. أشعر بالروح والمرض، كأني
أشفي حتى نصفي داخل الطين حتى تنتهي هذه اللعنة؟

قال.

لا شك أنك تصدب نفسك. هذه اللعنة لم تدخلها
بارفلك. حاول أن تنسى ما هو غير واقعي.!

كان الرجل الجثة يرتدي كلاً أيضاً، ويمرقة كدودة تخرج من
شرقة، كلباية تخرج من دودة، وكليل يدخل في جدار. بنفسي
لسبب ما، ويخرج ممسكاً كثيراً أسود، ويطلق رصاصات في فمه ولا
يموت. يندفع الدم الأحمر في فمه، على صدره، وثوبه، كفته
الأبيض، بنطليته ممداً، ولا يموت. يصدر قهقهات وأواصر
ويأبش. ويضع فمه الذي كلين، أسمر، متكوراً. ولا يموت.
ينظر إلى الجميع بين هلعته، صامتة. كان قد أدى مجموعة كبيرة من
القتل عدداً كان صامتاً، وكان قد أدى مجموعة أخرى من القتل
عدداً صعب. قلت للرجل الذي اقترب مني كثيراً، وكاد يدخلني

لم أتصور انه بهذه القوة. كنت أقيله سادجاً!

ضحك الرجل بخوف، وحذر. كان مطمئناً لأن الرجل كان يقف

في زاوية لا يربطنا من خلالها نحن الاثنين. قال لي

لا تستغرب كل هذا، فهو الأقوى. ان ما تتصوره محض
أوهام. هو رجل يعيش كما يجب. وبعداً من قوته.

كنت أخاصف لثوته. ولم أتصور كيف مسك بيده الرحوة الطبية
المسدس وأطلق يده. رأيت المرأة التي تقف بجانبه يتسم. نظر إليها
نظرة أعملة بالعاليات الجنسية، وفرك شبه. كان له شب أكل مائتي
والذكورية. والوقية. بدأ لي الآن شخصاً أسمر، ليس كان شاهدته في
اليدلية. كنت أريد الاقتراب منه، لكنني عدلت عن الفكرة. قلت
للرجل:

لماذا يورط نفسه وهو في شهر العمل؟

فقال لي:

هذا الرجل لا يموت. وربما لا يفكر في الموت. وهو يأني
الأشياء، ببساطة متناهية. لن تخضع الشرطة. ولن يندب الآخرون
الموتى. عجبت كثيراً لأن للمخل غلي كان. لا أحد الزميج لموت
أربعة رجال في الثلاثين وثلاثة الخلال السادسة، وفترتين في
عشرة، كانت جثتهم موجودة بالفعل. في نفس المكان. وقد هنا
حضور الجثث للرجل على قدرته في التصويب، ثم سمعت
موسيقى. كنا في حفل. وكانت الجثث الساقطة بدائلها صامتة.
وكانت الجثة الكبيرة تحرك بصمت يجعلها الأحباب من كل جانب.

قلت: ماذا حدث بالصدف؟

قال الرجل

لم للأفريقي إسكس. غازل أحدهم زوجته!

كنت أذكر. كيف قوت مجموعة من البشر لأن أحدهم غازل
زوجه. قلت: يجب أن أنتبه الرجل. وبالفعل اقتربت منه. كان
فمه يسبح دماً، وطيفاً، وأيضاً، وكانت عينه ناعمة، رأيت جثة تكبر وأن
أقرب، وثوبه يزداد بياضاً وأوسعاً. ورأيت المسدس يتحرك في يده
وهو ساكن. قلت إنها الأوهام التي تطاردني هذه الأيام. لا شيء ي
أتصوره قد حدث. لا أحد يموت. لا دماء سالت، ثم أن الرجل
هائى، مسام، طيب، يجب أن أقرب منه لأعرف نفسي. لأتوحد
على ما حدث. عجبت عندما نظر إلى يدي وسداجته، ونظرت إلى
المرأة بعيداً، كان قصيراً الآن، لا. متوسط الطول. أبدأ، ورب
كما هو. لا طويل، ولا قصير، ولم يكن يملأ فراغاً كثيراً، وبدا لي
صحيحاً، ومرحجاً. عجبت، وذهبت، مت من الدهشة، ومت من
الحيرة. هلكت من الفرح، وتوترت على مشاعر كثيرة. قلت: زال
الخطر. لن أموت. لن يفني الرجل بعد لحظته. ثم أنني
أقوى منه كثيراً. أكبر قامة. أجد ذكاء. ثم أن الحربة كمت من
صلب جاني. ان الحربة جلية لولا أني مرس. أوهامي هي أنني
تقتلني في كل لحظة. لم يكن البني في يده مسدساً، كان طائر من
قنار، صنع في الهند. وعرفت أنه هدية حملها صديق. عشت
بالأطمئنان، ولعلت الأوهام الكبيرة. كانت المرأة التي تقف بجانبه
يتسم في وأرخت فنتها قليلاً دلالة الاستراحة قلت له:

هل تعرفني؟

نظر إلى الرجل في استعجاب، وأراد أن يتقدم الموقف فقال:

- نعم . أعرفك جيداً!

عجبت من ذلك . . قد يكون صادفاً . التقينا قبل ذلك . كان الرجل قد عاش ومات كثيراً . وتناسل كثيراً وكنت أراه في صور كثيرة . وفي حينها كثيرة . الوصه هو الذي كان يثيرني أكثر من أي شيء آخر كنت أرى دماً في وصفه . ثم يدخل في وجهه حملاً صغيراً . ثم تغلب الزلزال . ثم أراه يشبهني ثم يشبه القول . قلت له :

- ألم تحدث جريمة قبل قليل ؟

قال لي

- لم أرى شيئاً

دهشت . . وقلت له

- ألم تطلق الرصاص وتقتل ؟

قال لي :

- هل عزا ؟

قلت له :

- انني رأيت كل شيء . . .

وأشرت الى القتل الذين سقطوا على الأرض . ولم أشاهد شيئاً بالمره . كانت أرض القاعة نظيفة . وعليها بعض الزهور . وكان بعض الأطفال يلعبون بالعالم . لم أر دماً على الأرض . . دهشت . . ماذا حدث بالضبط ؟ والرجل الذي كان يؤكد لي أشياء كثيرة أيضاً احتفى . قلت له :

- كانت لك قصة كبيرة . كنت أخاف الاقتراب منك . . هل أنت رجل بالفعل ؟

دهش الرجل لاستاتي المتترة . وطني . عموماً . لم يجس في الجبال

كنت أراه صليلاً . قال لي

- ماذا تريد بالضبط ؟

قلت له وأنا في غاية الارتباك :

- كنت أريد التأكد مما رأيت . . . !

- من أي شيء ؟

قال لي ذلك بمهنة

- من أشياء كثيرة . . !

وحاولت أن أديب دهشته . قلت

- أشياء حدثت بالفعل قبل لحظة . . ! قال لي :

- صفها . ما هي هذه الأشياء . . ؟

كنت أريد لسه . وجدت في ذلك غاطرة صعبة . وانه قد يبدأ في الغضب . لقد تحول من جثة إلى أنمي . ويبدو انني قد استرسلت في أوهامي . قررت الابتعاد . لكنه في اللحظة الأخيرة قال لي :

- أرجو ألا تخبر أحداً بما رأيت !!

هاتني السحشة دفعة واحدة . ونظرت لي المرأة نظرة تزيج وأصجاب . قالت للمرأة .

- لا يستطيع ملاحظة ذلك إلا رجال خارقون مثلك . !

قلت له بسرود :

- كنت متيقناً من ذلك . وأرجو ألا تكرر ذلك مرة أخرى . لأنه كان

دهيلاً

قال لي :

- كيف لاحظت كل شيء ؟ لم أكن أتوقع منك ذلك . ظننتك

متلهي . وربما لم علمت بوجودك لتحدث كثيراً



56 KNIGHTSBRIDGE
London SW1X 7NJ
Tel: 01-245 1905
Fax: 01-235 9306

صبحي العمري

أوراق الثورة العربية الكبرى



٣ - ميسلون

نهاية عهد



٢ - لورنس

الحقيقة والأكذوبة



١ - المعارك الأولى

الطريق إلى دمشق



كل الوقت للمنفي

ناصر الظفيري
الكوب



■ قالت رأيتك بعبر الشارع ناحية المكتبة المركزية. هناك كان يحاول دائماً أن يجادل نفسه ويهدأ أحياناً. يقف عند باب المعبر على ناحية الشارع حيث تند أسواق الذهب ولعان الجواهر لكنه يظل جهة الغرب رغم أن الشمس قد أثلت منذ زمن. يثبث دهر صميراً يديه. . . ويرزح إسمائمه الذكية من عتير بلوريتين لا يثبث

الثبات له حزن لا يتغي فيها أبداً. . . ودلت لحمة أكثر من مرة لكنتي في كل مرة كنت لأخطف في أصغاريه ورؤيا هو الرصيف ذو اللامع الصفراء والبيضاء لا يسمح لي بالوقوف ورؤيا أخاف عيني. أدخلت المكتبة فأجلده يجلس في ركن صمير لشخصين . يتعمق فتره فقط فوق الطاولة ويسجل. وما أن أسمع الكنتي التي لم تلطف يكون قد نهض. نعم لقد حاولت لست أتبعه وكنت الملك ما يميل إليك مع غيره. لكنني فشلت. إن عيني تتجاذران. ولكنه يميل خارج إطار الحدود. . . انني حتى لم أفكر أن أماله. . . همّ نتحت!

قالوا إسم أبصره في مطعم فقير جم على قطعة لحم تحيط بعظم يرق وسط أية ملأه بلأه الأصفر ويولي وجهه جهة الحائط يتخاطب على ملاحه أن تدرك. لكننا سمعنا يندند أخية بينه وبين الفرع الذي يفصلها من رحلتها الميافة يندند رسم على الصحن ولا يأكل ولا وقت للمشي وكان يتسم للصدى الخرافي حين تأتي بظلالها البرتقالية المصطفة. تجدد في وجهه ذلك الوقت للمشي وهدأ. يثبث الأنية أماله ويسجل دم الصحن على الأصفر في ملازمه يخرج مشدوماً ملوئاً ويصرى. . . يسمح الآخرون بفض قلبه واتقاص ريشته لكن لا يلتصقون إليه. . . سيقف حين يتعلم الحراء بدخله.

في للحل الصغير يقول. يأتي هذا الرجل الذي تبحث عنه يقف في الباب. حين فرمي من هنا تسأل عن عيني من يلو لكاش تجمع ملاحه النمر والعراة. اعتقدت دائماً لها على موقع وأنها تستغني لكنها تتأجج مثل بيبي. . . تتعب. . . ويفصلها زمن بعيد ريباً قرون أو ما شابه ذلك. . . ليس يديه في معطف عسكري من الحروب الأولى ويحرك رأسه بضع ليلك خصام شعره الكحل ويتسم كلاك صغير أو إله إذا شئت يزداد التوجع اللبذ من حوله وتأتي بجسده المنصهر على بقايا جدار. لم أمير ما سوى عديسين يرتقناذين وقفة معطف تدس فيها ركبتيه. رها كانت تكفي. وهو يقف مدنو صغيراً في يديه. يعمده إلى حب الحطب ويمضي ما يلتأياً أبداً.

قلت له: . .
- أين أخفيت المنس؟
قلت لي:
- المنس في جيبي. . . والقتل. . .
قال:
- انهم موجودون في مكان قريب.
- لماذا اعتبرت هذا الاحتفال الكبير؟
- في المرح والمزح يمر كل شيء بسلام. الناس مشغولون بالفرح. . .
وهذه أنسب اللحظات. . .
قلت له:
- إنذ سأبلغ السلطات على هذه الجريمة؟
- إنهم الرجل، وقال:
- لا أحد يلاحظ ذلك. . . انها الزمان. . . ولا شيء سيحدث. . . كل شيء سيكون طبيعياً.
قلت له:
- أنت مجرم كبير!
قال:

اعتبرت لك فقط من باب التنكيل بك. لن تصل إلى بيتك هذه الليلة، ستكون جثة في كل الأحوال. . . كنت أرسلك عندما دخلت القاعة. . . هل تريد أن أفرج؟ . . . المسألة في غاية الساطة. والمنس في جيبي. والحظيل يبدأ فقط. هل لاحظ أحد الحضور حادثة الموت؟ . . . إنهم يرتصون بدم.
نظرت إلى الرجل برهة، ووليت ثوبه الأبيض يصبح، ثم رأيت عيني سارحتين، وكان طوله يأخذ في التكد. وكان إسم في في سخرية.

لماذا عدلت ذلك؟
- من أجل الجمهور. . . وما جريمة القتل؟
قال:
- لا توجد جريمة. . . وأنا لا أعرف الأحياء لغة المشي إلا إذا عرعرها الموت.

قلت له: . . لن أتترك تلعب!
في أكن أصدق أن الرجل الذي كان في غاية الهدوء يصلحك هذه الصلحة المستيرية، ثم يقاتل زوجة عاقلاً فاضحاً، ويثلبها ثم يثلب الرجل للفرص، وطلب مشروياً بإشارة به. كان دائماً أن شيئاً ما لن يحدث وإن الجمهور ماض في الرقص.
كنت أتأمله وأفكر. ثم بدأت جثته تكبر. وشفته السفلى تنوب كالصيف وتزداد قرطية، ويتصل شيئاً آخر كالطير، وعندما حاولت لمسه قبل أن ابتعد، أطلق عيار نار من لحظتي، وقال لي وجلي يرتدي برزاً صكرية.

الجنائين لا يتصرفون بحكمة في الحفلات العامة!
ثم جري من كتي. انصت إلى الرجل انظر إليه للمرة الأخيرة، كان يتسم إسمائمه غيبية متصرة، وكانت شفته متوردة وعليها دم جاف أحمر. ثم حياه العسكري عية عسكرية وضفي بي خارجاً من القاعة. كنت أبعد، وأسمع أصداً الموسيقى. . . وكنت متأكد أنه الفرع والعسكري يجانبي كالجدار الساطق على كتي انني لا أتهم. □



دقته وسجل لم يتمكن أحد من معرفة ما يكتب
يجلس الآن في أسبسة الموسيقى العالمية . في الزكن الأيسر للصف
الثاني . ملقياً وجهه الدائري على كتفه النحيل وستندأ كونه على ذراع
الكروي . وأخا تخرج من أيدي العارفة التي دعته للأسبسة . تتكلم
بحضورها الأحاد وعينها اللوريتين . قد بقده اليه وبهذه معاً .
لترقص الفانس الأخير . حاول أن يقتنمها بأن المقطوعة ليست فانس .
لكن لم يفلح . دار معها دورتين . توقفت هنا العارفة وهي تصعب
يديها حول وجهها وترقعه خلسة من فروح أصابعها السحلية . لم يحرك
الفانس ساكناً تركها يدور كأنها شاة وانتهت بحيط بللكان
بانحناءة قوس قزح . حين دفع رأسه عن يده . انتهى للتصفيق الحاد
ورماته تنحى إحداة صميرة للحضور وتدعه بمبها . أدرك أنه لم
يسمع شيئاً . نظر في الورقة الصغيرة لاسم زميلته وأمامها لحن
كانتروف . غنى أن يسمعه . حتى بين الغفقات وعاد إلى حيث يجب
أن يكون .

في أول الشارع الطويل والعمالي يمسرون أشجار الزينة على جانبيه
لاحظ الأطفال يرسمون على جدار بيته . لم يهربوا حين راوه . مسج
على وروهم واتزروى هنا . حيث يتنهي . طاوله عريضة قطع من
عملات تقليدية عفاصات صفحت بحلات كتب عبرة لروحة
لا يطمح لمن . لشرطة . وكري في طرف الحلة تحت ضوء صغير يسقط
صورة على مقدمة الخالس الذي يعطي ظهيرة للباب . تقدمت
والنحتا . يهرعها تماماً لم يجر جلسته . ولم يفتح لها . لقد مر عليه
زمن ليس حين وهو على جلسته تلك حتى أخذ يرى عاة هائل في
الافتتاح . لم يجد التحرك اللامام والحلف . صوتها هادى حين باغتته
بسنواك . لا لا يهين ؟ أتريد أن الموت ؟ صوتها أجعل حين
كملت ؟

ن غنى حين دورك السحبة كل يوم . تعرف على كل الأكمة
وتنظف كل لأكمة
لم لا تبيض

تسربت رائحة غريبة إلى أنفه وهل تكون ؟ أعاد السؤال له نفسه
ألف مرة في ثوان قبل أن يلتفت إلى امرأة بلون النحاس لها حيان
زرقاوان من بلور صافيتا . كقلب يامة

هل الفضا ؟ هل دار بينا هذا الحوار من قبل . رأيك . لا . لم
يكن حلياً . كنت هناك أمدت على كليكك تلك قد لا تبيض . أتريد
أن الموت ؟ وكنت حقاً موت . هناك حيث الفضا أكملت قال معي يا
له من عالم غريب لكته . يا الهي كيف كان . لا أتذكر . لقد تبعتك
كانت لك عيشان من بلور قلت أنيا تشبهان عيني تماماً في عداها
الصغير ويربها منذ اللحظة وأنا أبحث . في كل الأكمة التي
اعتقدت أنها جميلة وكنته . كان للسجل بأوجهي وعزمتي حتى
أزوت هنا . وأما أملك غمك ستعودين . نعم ستعودين .
تعال لسرح ونغي . . . كل الوقت للسفر

حين خرج . لنى الشارع الطويل يحجره الجميع . يتكلمون
أشجار الزينة والأطفال قد مسحوا عن بيته ما كتبوا . تسوقهم السرة
تلتحق بالرجال . حاول أن يجمع قراء ويجري . علت بلدا أعدها
سيل الشارع . صرخت تعال . ستغني . كل .
عاد بسرعة وأقبل الباب . لا . لا . لا . وقت . . . فتح دقته
الصغير ليجعل كان محترداً دفين خالراً تماماً من الأوراق . □

أمر صديق أنه دخل عليهم في جلسة مأكرة وهو يقهقه عالياً
أدنى الكأس من شنته . وتسرّب خط أمر من الدم الباهت على
عينين من بلور تشعب الخط نجاة . شعيرات صغيرة وحسن صنع همه
وأغمض عينيه قال أنه يرى كل شيء . تدخل أحداهم وضعها على
ركبته . يلاسهما منفض المبتين وحسن يفتن منها بآفته بعضها
بسرعة . ويقف . يكمل الصديق . سألته كيف أنكراها ؟ ربا تحتها
عيناى وتضعني ملمسها لكن وانتهى لا تفلوغي منذ هربت أول مرة
من بدي . خرج منخطب في الشوارع . حاول أن أدركه تحت أضواء
الفتايل والخصى في زقاق مظلم وهو يردد . هي هناك . هناك .
هناك . توارى كشعة ربح أو صدق معروفة على وتر أعادت إلى عقل
وهربت يروحي . ولم أرو منذ ذلك الحين في جلسة من جلساتنا
بعد ذلك أخذت الأخبار تتوارد عنه تروار أنيغار الحن لم يترك مكاناً
لم يدخله ولم يلبث أبداً بمكان . راوه في جلسة سرية وهو يسمع ولا
يجيب ووصفاً عيبه بما يشبه البحر فيها قاربان جيلان من سواد كان
رفاهه يجاورون إبداع طريق خلاصهم ويحاول أن يصل إليها . وبين
الأحداث نتجه له الأبطال وهو يندفن ذات الأغنية . يهوا ويقي
وحده يدخن بكثرة ويحدثهم بصفة . ولا يجيبون . قطعاً . فيضطر أن
يجيب بأي شيء . يناقش به أسئلته التي لا تنتهي . يخرج دقراً صغيراً
ويقلب صفحاته ثم يسجل شيئاً ويهض . دون وجهة سير . يستند
إلى عمود دور ويصر الشارع حين تقترب السيارات يقف تحت مظلة
الحافلة . يتحاشى النظر والحرف ورائحة الأرض قر أعادلات ولا
تنسبه جمع وجهاتها ثم يمدد في أعصابه المكس يداعب الروح
فيقضيها براحة ثم يعزوها بين أصابعه . يسر ويصر بحسن الفراغ
يمشي إلى الحلف في نفس الاتجاه المأكس الكبريى خلفه وأخرى يمتح

صدر حديثاً

قبل أن تبته الألوان

صحافة ثلث قرن

رياض نجيب الرئيس



66 KNIGHTSBRIDGE
London SW1X 7NJ
Tel: 01-245 1905
Fax: 01-235 9305



الثوب

سعد النوسري



■ كانت تقول لطقوني المشكرة:
يا وادي، لا يخرج. سيهلك الله طولاً
وعرضاً يُضيقك من هذا الطين في رأسك.
ستمشك الحريم والنات وسيهد عليك
الرجال والفتيان. وستعني المعازل، وهن
يؤثرن ليهجهن وقد صارت مثل الطوافات
فارفة، يأسك أنت الذي أغرت الحبيب كله حين كنت وضيعاً.
وسيجي الشيوخ في كل مجالسهم انظروا الشهادة في أفنك حين
سقطت من رحى. سيهلك الله يا وادي طولاً تباري به بيوت مدبنة
التي سولت تباري النساء، فلا يخرج

وحداً، اجلس في الطين الفارغ. انتظر هذه الطرقات السريعة
التي أفتح بعدها، فلا أجد أحداً، والتي إذا جالب الباب باباً ياباً
لو عدماً باتاً.

الطعام لا يحسن مذاقاً في غمي، بعد أن ازداد الطير في رأسي.
فصرت أحسن أن نملاً حلاًلاً يركض داخل جميعتي
في الفجر، بيننا أخرج من النوم، أشعر أن رأسي مثل رؤوس كل
خلق الله: صغير وصغير. لكنني حين أقف أمام الله وأطالع وجهي
في تلك المرة التي لم يت سم سوى قطعة مجسم الكعب، يجتاحني
الطير. هذا الوجه يحمل أنفاً مغططاً بكاد يخرج من جانبي خدتي،
ومعبر صمغتين لأكاد أراهما، وفيما يشغني غريبتين جافتين، لم تنم
فوقها شجرة واحدة، مع أي داخل - كما يقول الناس - في الثلاثين
أسلاً كثر الضخمين بالله وأبلى بيها وجهي وأعود أبحت في
الثياب عن ثوب يتناسب قلبي المقزعة، فلا أجد، وأبحث في الطعام
عن طعام، فلا أجد.

وحداً، لا جالس سوى هذا العامل الساكن أمامي. يرجع كل ظهيرة
من عمله، حاملاً كيساً مديفاً بالدهن، وحزمة كرات. يخلو يابه،
ويستهل الليل معاً مروع.
لا ينقطع عن الفناء حتى وهو يأكل. وسحين يجمل في البيت كل
شيء: الضوء والحركة والصوت، أعرف أنه تام.

يوم واحد لا يخرج فيه. يظل داخل البيت طوال الوقت. وعند
اقتراب العصر، ينتعش نافذة البيت، فتظهر على جدران الغرفة صور
مقطوعة من مجلات موزنة، لنساء سمراوات وشقراوات، طوليات

وقصيرات، نحيلات ومثلثات

أذكر المرة الأولى التي شاهدها بها، ينتعش غشب النافذة، فرائت
هذا الحشد من النساء داخل الغرفة.

خسبهن لأول وهلة جنبتن يخرجن من الجدار، ويرقصن له حتى
خيرط الفجر، ثم يكرهن أن يتفرغن، وأن يجتمعن على فراشه.

سمعت يتفرغن عن الفناء ويبدأ في بكاء قصير، يصمت بعده، ثم
يصلني شهيقه ويردده.

ارتفع الشيق والرهير شيئاً شيئاً، حتى بدا كأنه زفير جريح.

خمت أن يكون الرجل مجتئ.

همت بالمخرج لمساعدته، لكنه زفر ثلاث أو أربع زفرات ثم خد
قلت لنفسي، لعله مات. وخشيت أن أتورط به.

في اليوم التالي، ولدت يخرج لمعله كمناعة كل صباح باكراً، فحرفت
أن ليس في الأمر شيء. ثم اعتدت أن أنتظر اليوم الذي لا يخرج فيه،
لأراه وهو ينتعش النافذة وأسمعوه وهو يرسل نحيباً وشهيقه. وعلى
الجدران أن تزل النساء

هذه الظهيرة، يمزقي جوع بارد، فلم يفرغ الباب أحد، وفيما
الطعام تتكاثر حولها النمل والصراصير، بعد أن أجهرت العزبان على
حاته.

لا أجد أمامي سوى أن أخرج، وأن أطرق باب العامل

بفتح الباب

تصل

أردت ذلك

قلت عجل

أحي قاضي على أعين الناس إلى الداخل

أمكن في الغرفة، وينعني هو في بقية البيت. أطالع حولي، فأرى
قراشه في الركن، أكثر سكناً من فراشي، تنطوي علامة مفرقة، وإلى
جانب الصواني صدوق خشبي غمرته الأتربة، في داخله ملاسل
متكونة على بعضها، وفوقه دورق ماء تحرك أطرافه إلى هلال من
السواد

على الأرض حصرية اقترشتها لقوب متناثرة، ويقع بنية

يدل حمالاً صحناً من الأرز. يضعه وينعني مرة أخرى.

أنتعل رجلي لنظر البغار وهو يتصاعد من الأرز المتقوى بالصلصة،
والفروس في وسطه يصل أبهى.

بعد مسكاً في كل يد أعواداً من الكرات، يضع التي في يده اليمنى
أمامي، وينسج لي.

سيكفينا أبا وأنت؟

بربابة

بسم الله

يفرس أصابعه في الأرز، ويملا كفه بضغفها فيسبل الدهن
الأحمر على ظهره، ويغري اللقمة في فمه ثم ينفضها. ينفضها عوداً
من الكرات، ويمر أصابعه فوقه ليصبح التراب عنه، ثم يطوئه وهو
في الطريق إلى فمه. تنهني، فيعمل الصحن الفارغ، بعد أن يجمع
ما تناثر من ألباننا وأفراغنا، ويخرج به.

يرجع بكاسين من الشاي الأسود الداكن. أتأول منه كأساً، فألع
فخسه السفلى مخشوة. أراه يصنع بيتي اللون، ثم يشرط شابه.

اكتشفت سر القبع السية التي تملا الحصىرة.

أسأله

- ما هذا؟

- هذا للكهف. هل تريد أن تتكيف؟

- لا أنا متكيف لأن

- إذن اشرب هذا الشاي

أصمت وأنا أأشاهد براقبي. وأتشغل بمعالجة الصور المعلقة على الجدران. وقد بدت أكثر جمالاً وعمومة وإغراء

- لماذا ثوبك قصير هكذا؟

كل الثياب لا تحي، على مقاسي

ولاً لا تفصل لك ثوباً؟

- لا أملك بقوة

- وعمل

لا أحد يُشغلي. يقولون أنني طويل وخفيف، وإن الأطفال أبنيا أذهب يركضون خلفي، وهم يصيحون على قناني، وعلى ثيابي القفصية.

يسكن على الأرض، ثم ينفض إلى الضناجور. يرفع بعض الملابس، ويخرج حافظة جلدية مربوطة بحطاط سميك. يفتحها ويسحب ورقة نقدية

- حلاً

- ما هذا؟

- أذهب إلى الحياط، وأطلب منه أن يحيط ثوباً على تراسك.

- وكيف أريها لك؟

- أبداً أعرف كيف أستردها منك. غداً

ويقترب مني. يقترب مني بشدة، وهو يزداد الاستمتاع

- حلاً

■

(سويقة) عتشة بظلمات النساء، ومن يصبر من عمل إلى آخر عبات تلتفت على الأجساد الطويلة والقصيرة، التحلة والمثقلة، السمراء والبيضاء.

نساء ذاكنتن يكتشفن عن وجوههن الدعيمة، يجلسن إلى الأرض وقد وصفن حلوى الأطفال على قياش، وسرطبات داخل أوانين بلاستيكية مبيدة بالثلج الذي أذاب الصيف معظمه.

عجائز في ألبانين سلع رخيصة، يتنادين بأصواتهن المنخفضة، لكن لا أحد يستجيب لهن، فواصلن المشي وأشاده

محلات تلتصق ببعضها، داخلها بالعمون يفرطون في الألفة والانتسابات ورائحة العطر

شيوخ صغروا لحافهم بلثامه، فصارت من يضاء إلى حراره، يحملون خيزراتهم، ويطردون كل من يغزو لأمراه

أنا في (سويقة) لأول مرة. أطالع ثوبي غير مصدق أن اكتمه تصل إلى رسغي. وأن طرفه يلامس الجوزتين. أمتشي بين النساء دون أن

أنظر إليهن، لكن أحسهن يحسحن الطريق لي، فأبالغ في عدم النظر ناحيتهن. تصطاد عياني أحد الشيوخ، وهو يغفره لمنطري، ثم يمز

رأسه قائلاً

- الحمد لله. اللهم لا تزل أحداً ما

وأسمع إحدى العجائز تهاشم جلستها بحشرتها

- هذا ليس إنساً. إنه امتحان من الله لأمه. المسكية، كيف كانت ترضعه؟ يا رب احتفظا

لكني أستمرو. هناك قياش يتغامزون، تقرر كل واحدة منهن كتب الأخرى. ويشرب أن

أدخل من تحتها من فيها شيخ واحد. ألقب أمام عمل في داخله فتنازلت لتسلم عبء من سافنتين، وعلى وجهها غطاءً أن يظهران

ملاحمها العديدة، وشعرها الباعم الممزق من الصف السالك يطر إلى إحدىهما مرة ثم يطر إلى الأخرى، وعلى شفتيه

كلام دسار وراقب. متقناً في صناعته من الحل دفع لي من. فصددهم رأسي بالباب تصحك الفتاتان،

ويحزن وجهه من في عصمت فارغ.

- هذا. نحن نبحث عنك

أرد عليه

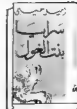
- أنا لا أريد إلا النساء

صبر حبيباً

السلسلة الروائية



البلدة الأخرى
إبراهيم عبد المجيد



سرايا بنت الغول
أميل حبيبي



آخر المملاكة
فاصل الغزاوي



56 KNIGHTS BRIDGE
London SW1X 7NJ
Tel: 01-245 1905
Fax: 01-235 9305



تجذب الفنانان، وتتراجعان إلى الحلف
أترحه للفتاة الأكثر إعجاباً:

« لا تخافي، إنه ينفذ عني»

ترفع الفتاة حجبها، وتضربني بها على صدري، وتبضح الأخرى
في وجهي. يتقدم السائح نحو، لكنني أحمّ بالغرب. يسبح في إصناك
نوبي، فأرعد يده وأتطلق خارج المحل
أركض، وقد أهرق كل نوري
يصبح السائح بالأس
أسكوه

يحاول كلّ النش الإصناك بي: الشيوخ والعجائز والباعة الشباب،
لكي عطلوني الطويلة تغر من شجاعتهم الخائفة
بعيداً عن السوق. لا أحد ورالي. تتطلق المدينة بيوتها أمامي.
وبيوتها طويلة حتى السماء
في واحد من هذه البيوت، الكود أسفل الدرج ألقده. حولي
حشرات كثيرة. وفي قلبي، تركض أمي، ويتبعها الصالح الذي
أعطاني الورقة النقدية، وهو يقترّب مني بشدة، قائلاً:
« أن أهرق كيف أسرت مت حد.
وهو يهرق كالأسد الجائع. □

رائحة شبق ..

فهد العتيق



■ تشاهدكم هناك دائماً على ظهر صخرة
واسعة. تظل يكرّيه على الحي المكظ.
المحلول عندما يخرجون من المسجد
يسبحون بنسج الشمس الشتاء الملبدة حولهم
الأطفال يشيرون التراب وهم على الصخرة
حلف جامع الحي في الأوقات ما بين الظهرية
والعصر كل بحث متابع من صدره أو يندلذ وهو يستمع إلى مناعب
الأخرين يتحدثون عن سقافة الشباب وعن مغرول النساء الصغيرة
وصناد الأرملة والأطفال وسقور القتيات الجميلات. وعن قلة الحيلة.
عن كل شيء على أرض صخرة عجوز تلمع تحت الشمس.

٢٤

الشيخ عبدالكريم ينهض من جلسته بين الجاعة. ينهض يوقار

وهذو متصنع. في يده اليمنى سبعة وفي يده اليسرى كومة من حصص
صغيرة. يذهب إلى طرف الصخرة في مشية احتمالية متبخرة، وهو
ينظر إلى السماء ثم يائض يده إلى الجاعة ويوم. للشيوخ مبارك الذي
يأتي إليه على عجل. يقول له الشيخ عبدالكريم مغطاً وطيفة مزدن
المسجد لك من الآن. ينسج الشيخ مبارك بفرح يركض أصابعه
يتوتر. يقول للشيوخ عبدالكريم جزاك الله خيراً ثم يمسح عينيه
الطويلة، ويريت الشيخ عبدالكريم على كتفه ويطلق صوتاً غشناً من
صدره كأنه فحة مفتعلة ويوم. له بالانصراف يظهر أصابع كتفه
اليمنى

٢٥

جفت غالية. ابنة الشيخ مبارك من فراشها في العصر مذهورة
كعارة ذهبت إلى دورة المياه فاضلت عادت إلى غرفتها وقتت أمام
المرآة تأملت وجهها العظمي وجسدها البالي. ولحت في المرآة أيضاً
طبعاً حيلاً لشاب يكتب في راحته اليسرى حروفين صغيرين باللون
الوردي. تذكرت فيلماً عربياً رآته منذ زمن. وقتت مشدودة تامل
مشهداً عاطفياً سائناً على رصيف مكظط بالمحابة. فحشكت ثم عادت
إلى فراشها.

٢٦

في الضحك نسلل خالد ابن الشيخ عبدالكريم، اقترب من شمس
الصغيرة ابنة الشيخ مبارك. وضع كتفه في كتفها ووضع يده الأخرى
من صدره وشمس عشرة ريلات مشية خلف الدار دخل بها إلى بيت
معهن في بلا صيف نصيب جلده السماء نوراً قوياً من شمسها

٢٧

في الظهر سمعت غالية صوت هرة تنفخ أمام الباب. أطلت من
الثانلة. كانت العرة عملة باكاس الحيز والسكر والشاي. انقضت
صدرها الصغير وأحست بالدم كاللابة يمشي في عروفاها.

٢٨

بعد صلاة الظهر قال الشيخ عبدالكريم للشيخ مبارك موزن
المسجد الجدي منذ الآن أنت موزننا. وصحك أنت ديكا الكبير
وعليك أن تتنقل فوراً إلى الدار الجديدة. ثم أنه رتب على كتفه وسلمه
رمزة من الأوراق المالية. وقال له: سوف أشرب قهوتك هذا المساء
في دارك. غمز له غمزتين ضحكها الشيخ مبارك بنصف أسنائه
السوداء. فأرغعت في فضاءات الحارة مع الفيار. رائحة غريبة
شمها بالندعاش ولغو جميع سكان الحارة

٢٩

في البيت قالت غالية ابنة الشيخ مبارك لأمها: رأيت في المنام
أن شيطاناً على حمار أبيض. جاء يتقدم إلى أبي من أجلي. تنشت الأم
في صدر ابتهاج، وفراحت آتين قصيرتين. في هذه اللحظة. الأب
والشيخ يدخلان البيت. وكان لصوت أقدامهم وقع الحوافر. وكان
للحارة رائحة تشبه رائحة التيس الشبية. □

كلب آل عبد الفضيل

جمال عبدالملك



■ كنت أجد دوراً واسعة حول دكان محبوب الرازي لتأدي مقابله، ورغم أن الرجل كان يندب هائلاً باشاً في سمعته عنه كان يدفعني لتجنب أي علاقة به. وكان حامد الغشاي باطر المدرسة التي عملت بها فترة من الزمن وصديق أبي يقول إن الرازي ينتمي لطائفة إباحية تحرم الحلال وتحلل الحرام وأنه متافق يظهره بالتقوى، وكان أبي قبل وفاته يجلد من محبوب، وواصل حامد الغشاي ترديد شكوك أهل الحي حول وفاة زوجية محبوب الرازي. . . قال الغشاي وهو يستعيد بالله من التهمة فقد أصبح متصوفاً. . . ومحبوب تروح امرأة بديهة وصعبة ولكنها كانت ثرية وتكره سناً، ولما أرهقها بطلب القود وانتهى بها على السلطات تشاجرت معه وطلت الطلاق، ولما رفض هذوت بإحراق نفسها وصبت البرزخ على ملابسها تحديداً بمحبوب أن تشعل النار وأحضر الكبريت. ولما تلبثت للحيلة أشعل عرق تتألم وألقاه مشتعلاً على ملابسها وأغلق الأبواب وفر هارباً، وعندما اتحم الحبران البيت كانت قد تقطعت، أما محبوب الرازي فقد وقف مثل العزاء دون أن يطفئ ولم يجرع من يطهر جرماً أو عماً، واعتبرت الشرطة الحفاضة انتحاراً. . . واعتضى الرجل سنوات وقيل إنه ذهب ليلاد النقط، ثم ظهر مرة أخرى في الحي فأعاد ترميم البيت والدكان اللذين وزيهها عن زوجته وعمل لاعة في الدكان تقول (الوكالة العقارية للشجيرة والخصومات) وحصل مسامراً بيع الأراضي والبيوت والسيارات، وتقدم بوجه جديد لأهالي الحي، وكان جيل جديد قد ظهر في الحي لا يكثر حكايات المجازر ولا يتم إلا بالألم وسرعان ما أصبح دكان الرازي مركز تجمع لأصحاب السيارات الفاخرة وبين يملكون بالثراء السريع. . . ولكن فرقة المجازر لم تنقطع. . . أمراني عائشة سمعت أن الرازي، ولد محبوب، كان يتعامل مع العالم السفلي، وفي العيد كان يملأ بطنه بلحم الأضراسي وأوجع بطنه وأنه ألقاه على شاطئ البحر يخرج من معدته ويشعلها في الماء ثم يعيدها إلى مكانها. . . أما الألفية لاسي التطورات فالتكون في الرازي عميل لجهة ما عيين من عيون السلطة ولقد احتفظوا التحقيق في احتراق زوجته ولكن، شادت الظروف أن اضطر للتعامل مع محبوب الرازي، فقد نقل مفر من عمل لكان معدي في أطراف المدينة وصالت من أزمة المواصلات وضيق الوقت في انتظار البصر وبعد نشل مرمي في الزحام قالت زوجتي عائشة: لا بد لك من سيارة مستعملة ترعك من المذاب. . . لذا لا تلعب لمحبوب الرازي؟

ولكي تردت. . . وعادت عائشة تلح علي. . .
وقأت مساء فوجئت بمحبوب الرازي يندق بابنا. . . قال إنه علم من عائشة أنني في حاجة لسيارة ولديه سيارة مستعملة ولكنها كان حديدية وصعها متلب، ويصنعي أن أسد الثمن على أقساط مرمجة لنحن أبناء حي واحد في كالأهل ولن مختلف. . . اغبطت عائشة وما رست ضغناً شديداً كي أوافق، وعندما رأيت السيارة جلوة كالعروس واقفت وزال تردتي. . . وقام الرازي بإجراءات تحويل الملكية واستخراج الرخصة وأبدى اهتماماً بتعليم عائشة قيادة السيارة لتعفي حوالجها دون أن تزجني، وقالت عائشة أن الرجل ليس على تلك الدرجة من السوء التي يصفها بها بعض الناس من يمسدون الأثرية، وما كنا سائلين لقسمه أو ياغني نعمة.
أصعفت أن استوي على رأس الحديد وهو مدع في الأرض وتحمل تحي. . . نعمة ظفرت بها في غفلة من شبك القيق، حدثت لمحبوب الرازي صنيعه معي وصرت أخرج مع عائشة لزيارة الأهل وشراء حاجياتنا. . . وكانت عائشة تجنب الزيارات ولكنها صارت تخرج قضاء أوقات طيبة في التنايات والأعياد، وإن كانت تصاب بكآبة مفاجئة عندما تطرح بعض السوء سواء في الأرواد والانتجاب فقد كانت عائشة عاقراً والكمد يستولي عليها إذا تطرق الحديث إلى الحمل وأساب العقم.
بيع اقتناء السيارة برزت مشكلة أخرى، علم يكن ما مكان داخل البيت فكنت أتركها في الطريق أمام باب البيت وأهبط في البيل للفتيش عليها، ومع ذلك تمكن النصوص من سرقة الأمان والاحتياطي ثم البطارية وساروا بعد ذلك غلب الزجاج الألماني وفكر العجلات. . . كنت أسيطر موات لحظرة النصوص وأنام كاشعالب نسيب يندب. . . وأصبحت ذهبت لمحبوب الرازي وشرعت له معانتي وحسب به أن يندب مشرباً للسيارة. ولكن الرازي قال لي: تربت هناك حل. وعندما عدت من عمل بعد الظهر سمعت صوتاً عريباً في البيت، وجاءت عائشة مبسمة وقالت إن محبوب الرازي أحضر جرراً أسود من سلالة كلاب البوليس الأصيلة وطلب أن نذهب جيداً ليكر بسرعة ويغرس السيارة ويبره النصوص.
لم أتمكن اليوم في تلك الليلة سب عواء الكلب وصيته المزعج وهو يبعث عن أمه، فقد كان صوره أسايح قليلة، وأصدق أن ذلك الحبران البائس سوف يبعد ذات روار الليل، ولكن الجرو اللث جو البيت وصار يجري في أديال عائشة ويلعب قدميها. فقلت أهرق مدى حرصها على التزيين والطلم في البيت وضيقها في الفراش، ولكني وجدتها قليلة الشكوى من الجبرو وتحملت أعباء عيشه بالمحاور والملايس وإزالة فضلاته. وصار الكلب موضوع حديثاً عندما أعود من عمل. . . عبد الفضيل. . . هل تعلم ما جرى اليوم؟ الحرو نه وأفرغ حافر يالغ اللث. . . هذا الجرو يا عبد الفضيل غريب. . . أهذا يشرب الماء الدافئ من مسبورة الفناء ويريد ماء مثلاً؟ هذا حيوان ذكي يا عبد الفضيل. . . عندما جاع أحد حصن الأوميم بين أسنانه وأخذ يندق به على الأرض. . . هل تقارن كيف بنام؟ أنه يضع قدميه الأماميتين حول رأسه كأنه طفل صغير. . . قلت لنفسي راسياً: لا بأس. . . أن يصرفها تعلقها بالخروج من التفكير في عقمها وزيارة الدجالي. . . فقد كان صماً عليها أن تنقل تشخيص الأطباء باستحالة الانتجاب وتفتش الطلاق، وكانت قريبي، نصرت على الحمران



ورافقتي لوعة . والصبر عذبت التآني .

قلت لعائشة: هذا الخافض لا بد أن يكون له اسم . وودت أن يحسب قال أنه من سلالة أجنبية . وهم يسمون الكلاب بأسماء

تدليل مثل بوي ولوسي وصامبو وجامبو .

قلت لها: نسميه اسماً غريباً . عتري مثلاً .

قلت: عتري رأيت في فم عربي كلباً بوليسياً يطارد اللصوص

اسمه عتري .

قلت لها: بل فقدت عتري بين شداد الفارس الأسود القاتل:

بميسون لوني بالسوداد جهالة

ولسولا سودا السليل ما طلع السنجسر

لم تشاهدي عيلم عتري وعيلة؟ وهل سبت كيف كانت السينا عتري

بالصفيق كلباً صاح والد عيلة: خيتي الأسود يا عيلة 19

قلت عائشة في استياء: أنت دائماً تملأيني ببجھلي .

قلت لها: إني أتذكر تلك الأشياء لأنني عملت مقدراً فملتق بدهي

بعض ما كنت ألقنه للتلاميذ

قال حامد النيشاوي غامساً: ويبت فيه كلب لا تدخله الملائكة

قلت ضاحكاً: ويبت فيه كلب لا يدخله اللصوص .

قال: أيرك رجة الله كان يقول: ميم الكلب في يؤس أهله . من

أناك به؟

قلت: محسبوا الرازي . ولم يطلب قرشاً . وهو كلب دكي

ينمو بسرعة .

قال النيشاوي: محسبوا لا يمدح أحد أروحه الله

قلت له: لا تعظم الرجل، لقد كان كلباً عيبياً .

قال النيشاوي: أنا لا أشعده له . من عقلت عتري وجعلت

وجنتها فهو جسور ومن اتسبط جبينه بلا عضون وكانت عتري

سريعة الحركة لهذا دليل الفرس وس كان عظيم الأذنين أنطس فهو

شيق . تلك صفات المحسوب . وسلام على دنياك إذا استوى على

عرشها ذئب ألفي .

قلت له: تحاكم الرجل بلا معرفة .

قال: اغفر وتصحرو بصبري . جروك تسكه روح الرازي، وعاك

الله

قلت: ها أنت تردد خرافات المجازي .

قال: الشجر يحور المرفان وضروس الأكوان . هل تعرف كم

يسمر الكلب؟ بين خمس عشرة سنة وربع قرن . السنة في عصره

تسوي خمس سنين من أعيننا . لا تنس تعليمه بالمصل الوائي من

داه السر . تلك مسألة حياة أو موت .

قلت لعائشة: حان الوقت لأعطيك الكلب المصل الوائي من السر

وسوف أعمله معي لكاتب الطبيب البيطري غداً .

ودت عائشة على الفور: ولكن محسوب الرازي سوف يرسل أحد

البيطرة لتعليمه في البيت .

شيء ما في ردها جروك وسلاسي . هل جاء محسوب في ضيائي؟ أم

يقول حامد النيشاوي أن الرازي كاذب يطعم للزواج من عائشة يوماً

وأخر سراً لم تنته به؟ دخلت تعجرتي لأستريح فوجدت الكلب

يفرض عظمة فوق جلده، انتهرته وعلت العظمة وقذفت بها من

السفالة فخرج الكلب يكر على أنيابه . بعد قليل جاءت عائشة

تآتني: ماذا حدث؟ عتري غاضب منك . فزج ملاسك من القليل

وجرها ليمرغها في طون الحوش . كانت عائشة تضحك وكنت أثير

غضباً

نحنت من عصا لتأديب الكلب، ولكن عائشة لحنت بي قائلة ان

العيب بالغبيل علة مالوفة لدى الكلاب الصغيرة، وعلى أن أجعل

عتري فهو يتبع طول الليل بجوار السياره عرسها . وضربه بجملته قبل

متحاذلاً، وهكذا انجر عصبي، ولاحظت بعد ذلك كيف يتعامل

الكلب معي بطريقة مثيرة لأسلوب تعامله مع عائشة، احسباً أنيابه

فيتجاهلني تماماً أو يحضر منتاقلاً بعد فترة، وذات يوم احسنت الغناش

بيني وبين عائشة حول مصروفات البيت أول الشهر، وانفعلت

فلوحت بأصبعي في وجهها وإذا بالكلب يزوم ويكشر عن أنيابه وقد

حال بيني وبينها . قلت مستغرباً: هيتاً لك الحارس الوي والحامي

الأمين الذي لا يطيق أي تكدير لك

قلت متسمة: عتري مرتبط بي . فانا أطعمه وأنظفه . واعتني

به

قلت لها: أنت تبالغن في الاهتمام به .

قلت: لا تسكر أن اللصوص اختصوا من الجوار بفضل عتري .

نظرت خلعي فوجدت عتري مستريحاً ينظر محروباً بعين تنظار

بالروح . وتكررت أنه يتسم

الجزاى عتري في أحد الأركان يوماً كاملاً لا يقرب الطعام وكان رجل

في معظم أبصر قد حضر لي الصباح وجعل الكلب باللصل المصاد

للحرة، عاززوي الكلب في أحد الأركان ورفض الطعام يوماً، ولكنه

عازر لطيفته في المصدا واستدعته . وعندما ذهبت لزيارة

شقيقها التفتني عتري إلى البيت ولم يعد إلا بعد عودة عائشة في المساء،

وقد كانت عائشة كثيرة عندما اكتشفت أنني أكلت الطعام الذي

أعده للكلب، شديدة غم ولم تكسر عتري بالمعظم، أما طعمي فكان

ملاح ويكة بلا لحم

قلت عائشة ونحن نتأهب للوم: لماذا ترفض عتري . أنه يعرف

أنتك تكبره .

قلت: إنه عيب . ودياً لأنه لم يخطئ بيبي يعتقد أنه صار

من بني آدم .

قلت: لم تحافه . لا تظهر له أنك تهابه فالكلااب تشم حرق

الحرف!!

قلت لعائشة: أنه ينمو سرعة ويباحه ييز جنزان البيت ومع ذلك

لا أخافه أبداً . أنه يكر ولا غربة فانت تحسب بأعقاب الطعم

قلت وهي تستثير لللاحظ: انني ألعنه بوجبة واحدة فقط .

نادت عائشة عتري فجاء مسرعاً ييز ذيله، وضمت حول عنقه

الطوق الفولاذي الجديد، وقالت لي: سر معة عند شاطئ النهر ولا

تدعه يفلت من يدك لف السلسلة جيداً حول ذراعك . أنه في حاجة

لتفريجو البيت .

ولم تكذ عائشة فتتح الياب حتى انطلق عتري القنفية وهو يجري

خلفه فقد كان عاتياً، ولما بلغنا الشاطئ، هذا وتقدم نحو شجرة غليظة

فتحت أنه يريد التبول كمادة الكلاب ثم قفز لأعلى وجذب السلسلة

فتخلص من السطوق والسطوق يمسدوني في السلسلة، دخلت وسيداً

والسلسلة الفارغة في يدي . وأدركت حجة أنني لست آسف

للعلماء . سترفع عائشة اني فقدت الكلب، وقد تحزن أليماً وقد

نفس رجلاً فهو يحب مجلس النساء وتسمع فيه، ورد عجوب بان
الفرقة والبشر يبارسون التماسل في أي وقت أما الكلاب وانقطعت
والحيوانات الأخرى فلها مواسم للشفاة. دخلت الحمام وضعت
رأسها تحت الماء الباردة، وفرت أمراً .
ذهبت للصيدية القريبة وظللت كمية من صيغة الشعر، نظر
البلع إلى الشعر الأسود في رأسه ثم قال مسترياً: ليس عندنا صيغة
شعر! قلت له: متى ستكون عديم؟ قال: الحكومة معها
لأنها سم زعاف، وقال شيخ مصاب مواسياً: إذا كانت روحتك
تتحرك... جرب سم الفئران!! واتلخج ضاحكاً ففادت الصيدلية
ذهبت إلى حامد الشبازي فأعطاني كيساً ملياً بسم الفئران وحذرن من
عظونه... الشريت كيلو سحق وحشوته بالسم، عتري بحب السجق
وسوف يلتهمه التهاماً، وإذا عصره وجع الموت هل يزوم أم يتأوه؟
تسللت إلى البيت الذي غمرته تلك الرائحة الكلبية. وقفت
انتصت في الظلمة، أين زهرة عتري ونباحها؟ سمعت أصواتاً متداخلة
ناتي من عرفة عائشة جميع أنفاس متهدجة وخلطت من الأسير
والبرجرة. صرحت عائشة
- سيدني ومولاي لا تتركها!

في لمح البصر وجدت العيسر السورورين تشعان مفتاً ومحفلفان
في الأناباب الضخامة المصاحبة للكلاب. كذفت كيس
السجق... اتلخج عتري فوقفه بفسحه، أشعلت عائشة للصباح
وصرخت: ابعد يا عتري! تناولت العكاز الضخم وهوت به على
حجمية عتري ولكن الكلب قفز في اللحظة الخامسة ووقف
متحوصداً قرب الباب... كانت عائشة تقف في الضوء على صدرها
ويدها مازلت معلقين عتري فصرها مشوش وقلدها ينضح بالعرق تفرج
سه تلك الرائحة الكلبية! ملأت البيت... صرحت عائشة:
انكسر هنا والأمر لك عتري. رعدت منك طعناك المسموم!
قلت مضمخاً: ماذا يجري هنا...؟

قالت بصوت أحش: لا تتدخل فيما لا يعنك! ادعهم من هنا!!
قال نظر عتري؟ أم أنني فقدت عتري...!!
كانت عائشة تهمس - قالت تذكر ذناب المرأة البابية والاسد يطل
عليها تصورتهم أنه سيعتريها. لقد أنجحت سه ملكاً فورياً لم يرم
في معركة قط. عتري يسهي بأنا يعتصم انما!
خرجت إلى الشارع أصرح - وعائشة تقمصها شيء شيرير
ويشيطاني! الكلب عتري عتري!!

اجتمع حولي الماطلون والمتنظرون في صف الرغبة والسائقون في
صف التزين... والرضى والطلاب... كسألوا: ماذا جرى؟ كلب
يتكلم!! والنسوة تهمس بكلام فاضح بعيداً عن أذان العذارى
كلب يمشي امرأة! أجمهم بكلام بديقة وأخر أخرج سكيناً ورمطه في
طرف فتاة كالمروية... والأولاد أحضروا زجاجات فارغة ولكلهم لم
يعود نقطة تبرؤ... حلفي الجميع للصاحب إلى حوش بيتي المظلم.
رائحة الشوم وزخرفة اللحم التي والعلفونة جعلت البعض يتفأ.
صاحب البديقة أطلق عبارات نحو العينين المشتمتين شق الظلام ودوت
صرخة مكتومة... سقطت عائشة تنحط في دماغها أما متر فعد هرب
إلى البرية... وقال العيشاري: لا تبق بمفردك، تعال معنا فقد يعود
الوحش طاماً ورائحة بالية... فالوحش تحدد منطقة عودها
سوما!! □

تعود لسكة الدجالين طلباً للجن، ولكن هذا أهون علي من الحياة مع
الكلاب اللعين... وقد يزورني المصوص ولكن سرقاهم أنف وطعم من
تكلفة إطعام عتري الذي يأكل كميات متعلة من اللحم... عتري
أسير متمهلاً إلى البيت... حتى يبد سعادتي المارة ناع عتري يتردد
عائلاً كلب القترت من بيتي... لقد عاد قبلي... ولا حاولت الدخول
اعترض سبيلي كمكثراً من أتياه حتى جاءت عائشة وانتهرت فأنصح
في الطريق.

قالت عائشة - إني من يدك العصا واسمعي، لو تركتني في الطريق
فسوف يعود حتماً إلى البيت ملياً بالجرثوم والوباء... دهه... سوف
أتول تروصه مهر يطيبي...

قلت ساخطة: إنه مجرد كلب تطعمه لإبعاد المصوص، وأنت
تدليني أكثر ما ينبغي...

قالت متطلعة: أنه حيوان قليل الحياة... أم تغار منه لأنه يبيح؟
قلت مقطاً: أنه حيوان مأك... لقد وضع نظارتي على المقعد في
الركن المتتم في أجلس فوقها وكأسيها...
قالت عائشة بلهجة من يتحدث إلى طفل واسع الخيال: أنظن أن
عتري يفكر ويدير؟

قلت لها مغيط: إن فيه شيئاً شيطانياً، أنه بكر سريعاً حتى صار
في حرم الحمار في من وجير ولم يعد أحد يروها حوماً، بل إن بيتنا
صار مشهوراً بيت عتري الكلب الضخم ولم يعد أحد يذكر
عبد الفضيل.

صرحت أقصي معظم وقتي خارج البيت، وبدأ حصرت لمسوي
اعتكفت في غرافي، أما عائشة فلم أعد أراها إلا وهي حارسة إلى
السوق أو عائدة منه محملة باللحم والطيخ بهاماً لعتري... وكانت
سيارتي قد تمطلت واحتاجت لقطع غيار... أعيد تجريب الورق
باحتضارها ولم يحضرها، فطلعت السيارة قائمة أمام البيت لا حراك ولا
غظاها التراب والصدأ.

امتلا هواء البيت برائحة زفرة تثير التئان، أما عائشة فانكوت
وجود أي رائحة كرية وظللت مني مزيداً من الخفوة للاحتفال بمناسية
سعيدة هي احتفال كالية أني من مزرعة الرزقي لتزف لعتري... وكانت
عائشة تجهز في اختراع الأسباب للحصول على النقود لشراء الطعام
للكلب البهم وأحياناً كنت يدها لجبي...

وبعد الظهيرة جاد عجوب ومعه كلبة سمينة يدها لم يعرها عتري
أدنى اهتمام بل طردها وأبعدها بقسوة، قلت لمحجوب: عتري ظلن

مسلة
الثقافة العربية
للشعر

نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب

شهاب الدين أحمد التيفاشي

تحقيق جمال جمعة

تحفة العروس ومتمعة النفوس

محمد بن أحمد التيجاني

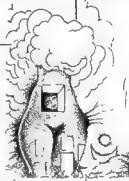
تحقيق جليل العطية



AL-NADWA
PUBLISHING HOUSE

الحكايا المثقوبة

صلاح الزين



■ رجل مثورة، رجل يستنبت في حياته، آخر
يقطع المشهد إلى ذكريات صغيرة، صغيرة عشتا
بعثت لها عن مسقط برانها، فيصعب من
نفسه حارساً على ما استعصى عليه. معطوف
يلقهم ثلاثتهم، يصاحب الأول، يجهد أن
يضيئ خيال الثاني ويسرق عصا الحارس
سبع نبات، أكرهن معارة تنفاح، أصغرهن احتفالاً،
يدان يسائلان واقع الأشياء وغايبها. زمن للمعز يتزمن وسط
حفاظه، تقام للفتوة ويسقط لاحتيال شرطي. ذهب بشرق
بصحكة فيحضر كرشه، والرشح بسورة تله في جيب سبطه حديفي
وتدليه فيحتر الشرطي كيداً لا يحس ويصدر حق تطواه الذي لا
يصبح

الشرطي يستلعب فضاء، لا شرطي يستنشر الزمان فيصا،
لا شارع، فضاء، شارع، فضاء الشارع. واجب شرطي فيمكن أن
أكون في فضاء بلا شارع يتشرعن تحت صرصات أقدام راكفة،
سائرة، والفتة متخاصرة... الذي يقول شبيل الشرطي المذلول
ها أنت يا حلي حلياً من امرأة تغطي وجدتك، كي لانه. وحيداً
يا حلي. وحيداً بعزارة إلا من جود السمع فيك وحيل مرجحة
تكتظ بها ذاكرتك، ذاكرتك التي تحمل البركان الصدى، الحكومات
المختلة، الحكومات التي تثير حكاياها في صمت، متفانر الحشرات
لتضح للراوي متكاليفي.

الحكاية الأولى:

والله سره ولأرض سرها، حبة تيلو، تنمو فتزهر، لتيلو حلي
يكون إزهاراً للبدارة.
الحكاية الثانية:

- أوه. ولكن الحكاية الأولى لم تنته.

- انتهت.

- لا يمكن.

- إدد يمكنك أن أن نصت للحكاية الثانية.

- لا أريد.

الشرطي يتشرطن ويتعسس والشارع الممتد من أنفه وحتى حديفي
البهر لم يتشرعن بعد. يخلف الشرطي أن يفقد شرعية نفسه
فيريغي عضلاته لاساع الحكاية الثانية ويمنعها وأيد أن أجلس لاسمع
لزيدة وكيف تجلس على الحكاية التي هي مؤخرتك يا بليد؟
ومعذرة.

بصمت، تتفانر الحشرات وتحصب بعضها. تكثر الجدران لمجرها
عن فعل ما تفعله الحشرات. فما فقط أن تعطي المحكي التواتر، في غير
فلات، مكان يصير حقارياً للمحكي السرد

في زمن متحم طرب كثير الشيع يود أن يخرج الجسد من جسده
فيرت فوضاه، أصدفاه، ورقة معقوبة، أمه، غياب مكثف بغالين،
رغبة مفدورة، فرج امرأة، دعوة للعرق، لا للشاي (غير مهم)،
فصيلة لم تكتمل، رائحة ملايس أيبه، عمر يفضي إلى مرحاض، نكتة
اكتملت وغادرت غزوة الذاكرة، شهوة سفر، وما لم يتذكره ويستوي
على الترتيب. ويككل خلق الله، للجسد حكايا، وللحكاية شرعية ما
يصيرها حكاية تحكي، فيحكي الجسد للنبات السيم ولله سره،
وللأرض سرها، حبة تيلو، تنمو فتزهر ويد... اختفت
الحكاية وغرقت في قفوان الحكايات المتأثرة.

وكانتصاف صورة ما، في مرآة ما، ولقت الأخت الكبرى لتكمل
باقي الحكاية لأعوانها الست والأرض سره ولأرض سرها فد...
انطلقت الحكاية بفقرات عصا الحارس الذي شجر من حصار ما
بحرس، وما يرى، وما يتفلس، وما لا يفهم.
وأثنان يتغلاني، حطن تزهر به جسده هذا الفضاء وحكايا تلوب
وتتلفع بهياها البثورة. لذا سأخرج، كالآنياء سائح، ضداً للفتوة
وسق الحكايات في الاكتئاب،

هكذا زمان الآنياء، إدد؟

وفليكن.

«ولكنك مهزوم بالاعاص فيك، مفهور بحيطان جسدك ومن لا
تراه. حبيبك. حبيبك. وذكرة تطهر دعماً»

والآنياء.

دولة لا لهم!

وبدأت رحلة الجسد. ابتدأتها خروج الذاكرة والمخزون فيها
بصمت أشتدت. نالها أيسر الجسد، ثم أيبه، أعاليه، فأسافله.
اكتملت الرحلة وأثبتت في مسام المدينة، احتلت شوارع، أسواقاً،
مراحيض وفتاتر تزلعت تحت ما سطر فيها
الجسد يستطيل، يخطوط.
الشرطي يعلم شارع يعمل ولو قداماً واحداً ليكون به شرطياً
يتعسس.

البيت أرفقهن البحث عن رجل نيت في مؤخرة شرطي.

الحكايات تتدافع نحو عناقيتا

وحارس يحضن ذكرياته ولا يفهم. □

يصدر



البقاء عبر العصور

تحت إشراف
مكتبة جامعة الخرطوم

أقدم مهنة في التاريخ

سلام خياط

الصنم

عبد العزيز بركة ساكن



■ طمل حبل ودود جمه الجميع يشنون عد
لكنه إلا أنا... فكتك أكرهه بل أمته من
كل قلبي ولا أدري سبباً لذلك صدقوني
إطلاقاً لا أستطيع أن أبرر سبب كراهتي
له...

أه هي أعني الكبرى...

أول من يجري تحوي ويصرخ فرحاً وتتسع عيناه الجميلتان ويرز
كتفيه بطريقة درامية كما لو كانتا جناحي طائر البطريق كان هو إذا ما
دخلت المنزل يعني أكثر من الجميع وربما أكثر من أمه إلا أنني كنت
أنتهز الخلو به لأقرضه في حلمتي بوحشية وقد أزعجته من على السرير أو
الكريسي ليستطع على التراب صامتاً وماداً إليّ يدي فستبين طالباً مني
روحه بل وبجلاسه قريب... على رجلي... وكنتي
ولا أرى فائدة في أن أقص عليك حكايتي فلو كنت أعني له حكايتي
يمكن أن يصعب من عذاب وألم من تحطيت مثل يشموه في الحماة
والصنم.

فأجبتني أمه ولكني لا أملاك ما أقوله لها فارتدت عني عرجت من
بين أسناني ببرود وألم لا أدري ماذا تعني وتجاهلت في كرمي له

هست في أذنه «سأنتك» فصحك وهو يقول... «تاتي... تاتي»
فكررت قولي وكرر وهو قد كان يستلذ بالبقعة التي يمدتها صوتي في
طلة أذنه

دخلت للمنزل كانت «الراكوبة» في وسط الحوش حوفاً تت
شجيرات القصب السكري وبعض الدغل أنغامه منتظمة بالرغم من
الذباب التي يجمع حول الله وبين شفته مغمساً ما علق عليها من
سوائل مصدرها طينها حاداً وصلها أحس بقرب يدي منه نظائري في كل
صوب وجهه فتحت فمه بحدوث وشفة أدخلت قطعة «الشفة» الملوثة
بالشيء الفاتل وهربت... حاولت تخليص أصابعي من لماه لكنه
كان لرجاً متحاملته

تسللت إلى الحارة كانت الضجة وصفتي قل أن أدلف إلى الزقاق
الصق الذي يقود إلى الحارة. تجمعت نساؤها. أطفالها. رجالها.
والكلاب أيضاً. تكومت جمعة تطارد كلاً عرياً أتى مع سيدة من
حارة مجاورة شخياً ذا ذيل مقطوع ويميل للسواد لتلتصق بعض القردان
على أذنيه، وعزاه حزين.

وهرفت ما حدث ولكني سالت... واستغربت واستجبت الجمع
إلى المشتكى... لكنه شرق في الطريق ومات.

شعرت بأن هناك شيئاً ثقيلاً سقط من على ظهري وشيئاً ثقيلاً
تسلفني كان شديد البرودة شخياً بالليل لربما تسلفت الطريق إلى
«طريقي» الليل مظلم حقيقة كنت أحس بقل الليل على أهداب عيني
على رموشي على كل مسامحة في جلدي يتخللني كما يتخلل الزيت
الفساد الأرض جرجرت رجلتي التتصق بالثرية خلعتني وسرت
حافياً... حاولت فتح الباب لكنه كان ثقيلاً ومعصياً، سقطت عليه
بكل جسدي أصدر حشنة حادة ومزرك في بطنه ودخلت وبندت
جهداً مضاعفاً لإغلاقه. الظلام داس الرؤية معدومة تماماً وكنت
خائفاً ومرعباً في الوقت نفسه. بهتت من جيوبي عن الكبريت فحترت
عليه لم أبحث عن الصباح تحسنت فراشي لحظت وكنت أن أضح
رأساً على الوسادة الباردة الثقيلة حيناً سمعت دقات على الباب...
الصوت بعيد وكأنه أت من عمق الأرض... لغيل على أذني...

صار الطريق رعداً... قلت:

أت... أت...

وبصمت... كانت المسافة بين سريري وبين الباب لا تتعدى
الستين ولكنها تضجرت في ذاتي أحياناً من العذاب سفر من
الأسئلة... ما يترى...

من ألم أسمع قد... قد

رفعت رجلاً ثقيلاً من الأرض... وضعتها أمامي... رفعت
الأخرى... وضعتها أمامها... وهكذا... ش... ي... ت.
شيء... كلاماً... نعم شهراً وأنا أسير نحو الباب... لقد كان جسدي
أنقل من حال من الملح والزيت... وأحياناً غدت الباب...

ورغم حكمة الظلام استطعت أن أتيه... لقد كان مضاه تماماً.
شيء فقصي لا يتعدى طول نصف المتر أما أطرافه تلك الغضة فقد
كنت عضلات مبردة غير متساقطة كاه سلسلة حلبة مصعرة. لم
أستطع التحمل في وجهه... فأنتم تعرفون خوف الفتلة من أوجه
صحاياهم... دخل... أمان الباب غلظنا... ثم نقر في حمة وسرعة
هائلة على ظهري... هماً في أذني:

- إن «وشطك» كانت مسجومة ولم أع شيئاً بعد ذلك. قال لي
البعض... إنك وجدت تحت عريضة... بقرب... البهر...
ويقل كنت نائماً... أو فائد الوحي... أو سكران

ساعات حالي الصحية وأستب كالمنجون لا أهتم بشيء إطلاقاً...
أو ربما لا أهتم في الواقع... تعفت ملاسي علي... استسخت...
طلبت مني أعني أن أقيم معها في المنزل... ولكني رفضت بشدة...
تخلص الناس حولي... كان يزورني يومياً بل في الأيام الأخيرة كنت
أجده داخل الحجرة... نائماً في الدواليب... أو جالساً في الحمام...
مستلقاً تحت السرير... بل ذات مساء وجدته في كوس الوسادة يخط
في نوم عميق... فقررت قرأاً لا مغر من تشبهه وفعلت هربت.

بعيداً... تكلفت الرحلة شهراً وثلاث ليال وكانت القرية التي اخترتها بعباية
فاطنة تقع في المنطقة المدارية جزيرة الأقطار ذات الأشجار المتشابكة
والمتنوعات وكثير من الحيوانات المرححة... واعتصم بها الصنم...
استأجرت كوخاً في أطراف القرية لصيد عجوز... طرق على
الباب كانت ابنة الصياد تقوم بخدمني «دستياً» جميلة ولو أن شعر
رأسها يتجمع في مستعمرات صغيرة متكسكة على نفسها كحبات

الفلل المشورة على قرعة سوداء... قلت لنصي...

وبذا أتى بي في هذا الطلام والذئاب تحوم في الطرقات والأزقة... لم أذكر فيها إطلاقاً فلقد كان غولي يشغلي يا فيه الكفاية ماذا تريد مني نضحت الباب ضحكته فلما الكوخ طينياً جداً وتنتفل بين مسامات جلدي لتفزو قلبي ورتني بألم مر وشعور بدفعي للتشيز... أغلق الباب خلفنا فجلست جلي على حجري بعد أن أخذ الصباح الزهني واشعله في صمت... قال بصوت شديد الحموضة... ولكنه ليس غريباً علي: «انظر إلى وجهي».

كنت خائفاً عواء الذئاب يأتي من كل صوب، وجهه نملة قرصتي تحت إبطي وأعدت تحرف بين جلدي والجلباب نحو الأسفل. توقفت قليلاً لتفرصني مرة أخرى وتتصق بجلدي لم أستطع تحريك ذراعي غرشها... انتهرني.

وانظر إلى وجهي... أنا أعرف أن يسرك ذلك... انظر... ودعت وجهي في حين تام فجلست ما أستطيع لتحويل بعصري إلى وجهه كانت في الباب معلقة بعض الأردية وهي تبدو الآن كلوحة تشكيلية لغنان يجزون لأن ضوء الصباح الذي انعكس عليها كان يخرج من بين صدري وظهري... عسقطاً ظلالاً ذات الانكسارات غريبة على الباب... فلقد كان ظهري ممتوجاً كحلفات الجبزي... قال بصوت حاد وبصورة قاطعة:

- انظر... واهتز ضوء الصباح تحركت التلمة إلى أسفل شعرت بمعالجة للتبول ولأن نور الصباح يسقط على وجهه بصورة تامة رأيت كل شيء. وكذا أن يضي على من الدهر والاستغراب وهول المفاجأة نعم... لقد كان وجهي شبه... يكن مدعده وملاحي وسهلي... حتى الذئب الضميمة لي يعلو صوته... ويدع برحه على حدي الأسير... وجهي قد... أنه كان مشرفاً متصفاً بالدعاء والتضديد والندمان فيه... ثم في هذه لحظة

ملحوظة

وجدت هذه القصة مكتوبة على ظهر قنابل له وجه طفل وجسد رجل في قرية مهجورة بأوغندا أفريقيا... □

المetro

أزاد أحمد علي

■ بساط أخضر يشغلي قدم الجبل بر وسهل، وشجيرات متباعدة كغافة متعة عصفاري وفراشات كائنات صغيرة صامتة.

في قاع الهضبة يستقر بابل رمدي متيز أنينة... لا أحد يعرف من أين قدم ولا كيف يعيش... هل تخلف عن القوافل القادمة من شرب أم... هل ضلح دابة جبلية؟ والأغرب من ذلك أنها تولدت وتكاثر، وفلقت جديرة بالإضافة إلى قوتها شامة سوداء على شكل لطفلة النبطية على جبينها جيلاً بعد جيل حتى عهد شركات النقل المتحركة في الساحة... ولم يتيه أحد أبداً، كيف سارت خلف البغل عربة من خشب العرعر... ومن الذي بنى المعربة فظفرة على البر للقدس... حتى ارتسم درب متعرج في حفرة السهل... فكانت طاحونة الماء وقوافل القادمين من تلافيف الجبل، على حويلهم المتعة، والزاحفون لمتداداً للصحراء، يجرعون نوتهم وقوافل الشعر... لم يبق للمحليين إلا أوراق البردي: أساطير الساء وحكايات الكهوف

تجمهروا ثم تفرقوا، تفسقوا النهر جداول، والحفر مزارع فكانت المدينة وصناعة السريع، تجارة الحرير ورحلة الشتاء تناسلت المنازل فكانت الطرق والأزقة والقطائع، إلى أن أصبحت دار الخلافة وقعة صيفية في غاية الجمال والنواظف الموصدة، بين قفاط الماء وسكان الريح... عمل نصف سكان البلدة في خدمة الخليفة، ونصفهم الآخر في صناعاته الذين وصلت القنود، ونقل الحلاويات إلى قصر الخلافة... وما تبقى منهم في الإنشاء ونقل القمامة ولوازم الحواري والإعتناء بالحيول.

■ ولا أحد يعرف حتى الآن كيف تمخضت المدينة، وصمت الزمس قروناً عتيقة... إلا من شجيج العجلات وسيط المالك وأصوات البغال وهي تخدم، ثم تخدم، ثم تخدم.

للى أن جاء من وراء البحر، أية من آيات التيطان القديم آتة من صلتح الكفار المالحدين... في البدء كُفي بالمرح المعذب، ثم رسب

صدر حديثاً الاخضر والقصر البلوري

نشوء النظرية الجدلوية في العمارة



وقفة الجادرجي



مداخل الشوارع الرئيسية غلفت الأقواس والعرائض والصعود، التي
تصنع من فوحة الجاهز الكلاسيكية بالحدث التاريخي العظيم والتدويع
الحالية الكبرى للمنتصر). ثم أوى اختيار علم المنتصر، ومن ثم شعار
الذي فازت به منة تشكيلية عن طريق سابقة خاصة. الشعار عبارة
عن صورة للمنحرج من الجبال الرمادية المشهورة، عاصمة إطار عجلة
أول قطار. وتم طبع وحصل عدد كبير من النسخ الورقية والبرونزية
الصغيرة، أما الذهبية فقد هُربت وبيعت في الأسواق المحلية قبل
الغداق التوتة بإيها، عتقة أرىدا - يمكن تصنيفها في إطار الواقعية
الاشتراكية - لصدر زيس - ومنحرجاً ومنحرجاً.

امتثلت القاعة بالوفد. في الصدارة كان وفد الكنيسة ومعوث البابا، ومن ثم جمهور الخبراء والشخصيين ومعوث الشركات الكبرى. والمهندسين الذين تخرجوا على حساب الترتيبات والسبيلتات في الدول الغربية. خبراء في الاقتصاد. بمنعت اعلامية وشبه اعلامية. للوهلة الأولى بدا الجو احتفالياً إلا أن الجدران لم تعد حكرًا على صور الزعماء، إذ غطتها الصورات والمقاطع الطوبوغرافية والجيولوجية والاعلانات ونهاج عن القاطرات التي تنتهبها الشركات الحديثة.

دعت الخطب الاقتصادية عدة ساعات، تحدث فيها الحكاء عن
البرام القديمة و دور التراث في حل مسألتها المواصلات والسكن.
وخاصة السط الخاص لحياة العائلة، والسكن المشترك. تلتها
أبحاث ومن ثم المناظرات العلمية، تبارى فيها المهتمون والخبراء
واستخدم كل ما استجد من المصطلحات العلمية والتكنولوجية
والسياسية لاتخاذ أفضل شركة تغذ مشروء القرو.

إن الجراح أصر على القول بأن سببه علمياً ولا حالياً. وإنما مرتبط
بشكل وثيق بمبادئ القانون على إثرنا موضوع شرعية انتقال «اختلاء»
الساء في الليل للكلاب على عمق متر من سطح الأرض، وخاصة
مع طلاب الجامعة وأخيراً. كما إن باقي الحوار والشفرات على
الأرصعة الحساسة أسدوا أيضاً غمطاً وقدموا شكوى حول الانتقال
الفجائي. لأماكم علمهم إلى جوب الأرض وشيئاً فشيئاً أخذت
الساعة تأخذ بعدها الشاقولي إلى أن أقضت الوصل بين ناعمة
لصديق الغد الدولي. عندما صُنّت البنوك والأوصاف الفروض
للنول المتخلفة حسب أطوال أنفاق الترفه. هيأنا طمطفاة
شريعة عارمة كي رصمتها أحمره الأعلام، خرجت مؤيدة لإنجاز
مشروع للنزق، ضد عبد كاسب ديفيد، ومرو القاهرة الفرنسي

وبعد فحص العروض فازت الشركة التي تعمل على شكل قروض طويلة الأجل. تقدمت: تقاطرت الآليات التقنية والمعدات المعجبة جاء الخبراء والمهندسون السعوديون، والذين يسعون عادة «بالروس» جازوا بمعتقداتهم الخفيفة، بروح العمل الحضي يجربون صحتهم الكتيبة، مصطنعين زيوتهما الشفوفات، الحساوات الرشقات، فاقته لذلك رجال مهمون ولكن للأسف لم تبدُ على واحدة منهم ملامح الإهتمام، لا بالرجال ولا بسياراتهم الفخمة. إذ انصب جُلُّ انتباههم ولهمون اليابسية الأوروبية المستعملة «بالة» والرياضة الصعبة. يروا أيضا إلى المدينية القديمة، حلما غصصا خصائص طقات الرمال تشابت التمدد، على صمد خلاط - م. م. العنبر.

والخمس ومياكل الحواري والصبيا. وعثر فيها على قصور البصر الحديدي والبرمان، وبدور العاكسة القطبية ودروع الفرساد. تدخلت مديرية الآثار وأطلقت بدءاً إلى البعثات الأمريكية والكندية للقيام بعملية إنقاذ سريعة لحياة الآثار. وبالعامل اكتشفت البعثة الأمريكية في موسم حفريتها الثاني، جزءاً من الآلة الموسيقية التي كانت تعرف عليها جازياً بـ "زيد ملاح"، فقصبو فيها أول متحف للآلات الموسيقية العربية. بالإضافة إلى التوسعة الهامة: بناء جدران أخفق المئرو بطريقة توافيق زخارف المول.

ثقوا الأرض: مروا تحت السابات. دخل الغار حتى الأماكن التي لا يدخلها عادة. وسرعة شاع خبر عن وجود طبقة عصرية لزجة تحت المدينة. وتؤكد الخبر بملاحظة عمليات الضخ اليومية للمياه الجوفية، وأجهزة حفر وتثبيت التربة. حتى طالت المياه في الشوارع وفقرت بيوت الفقراء في الضواحي المحيطة. وتم بذلك التخلص من القوارص والجرذان. ورغم كل ذلك تمت حملة قص الشريط الحيري، بعد البدء بحفر الحائط الدائري الرئيسي، وفي الوقت نفسه أراحوا السائر عن شوارع المئرو، بعد تعديله في اللقطات الأخيرة بإضافة باقة بحدودس احتفاء بقرار تشكيل الشركات الزراعية المختلطة وفي عصر الاحتفالات الجماهيرية لم يته أحد إلى حظيرة طلبة التصار المزرع.

ولأمر مرة انقسم أهل المدينة بسبب إصرارهم كانوا ينامون في بيوتهم مناصب البحار، والباقيون متحبين من قرب البليل بعد كانوا جميعاً خارجين في النهر، عندما استعملت الآلات الحفر في المنطقة الرئيسية، المحيط كإسوار بقاء المدينة. لقد كانوا جميعاً في أنشطتهم، مع أحلامهم الأخيرة عندما تقاطع مستوى النهر مع طبقة الغار المزرع. ها قد انقضى زمن الروث والعربات والخيول الرماحية وبدأت المدينة تبط يدها إلى جوف الأرض... لم تكن سفينة نوح لتستقر على جبل جولي، وإنما كانت المدينة التي تغوص إلى قاع الأرض... لم تكن اختياراً متورداً، كانت أشبه برياح الحماسين تصمم الآذان وتحمي الآخرين. وتخرج المخالف من أصقاع النفس البعيدة، كبيرة ناضجة.

تقصرت قلعت الرجال وعياً... وكانت المدينة تفوص وتفوص، قطعة فولاذا في مستنقع من الصلصال المتع. كانت الإخبار تأتي من كل الجهات عبر الأنهار. ولقد انطلعت كافة الاتصالات مع المدينة وأنه من المؤكد أنه أحداثاً عاصفة تجري هناك وعادت لتؤكد من جديد على حظيرة الشوق وقسوس الوضع... فاصدروا صففاً سائبة ونشراً إضافية... ولكن الحقيقة بقيت هي هي. المدينة تنزلق وتنزلق إلى جوف الأرض. إنها الجيولوجيا والجيولوجيا، وقضاء الله وقدره. حطاب المسافرين القاعمين سقطت من أيديهم، في نهاية الطريق المؤدية إلى الحفرة العميقة السوداء التي كانت موقعاً للمدينة سابقاً على أطراف الحفرة تجمع آلاف الناس: المصورون، صحافة، وكالات آباء. خيم خوف أسطوري وتضاعفت الأخيرة من عمق الحفرة... هي المدينة التي يلمعها يد الأرض السحرية. المدينة التي بدأ منها فصل البكاء وبؤس الحساد. صرخ الواقفون على الحافة

حزناً حزن الأحية. لعنت التحبيب، والعمل الصامت، غطي سياه المند البعيدة والقرى البالية. نكست الأعلام. الحداد في كل مكان. جامت الاسدادات مشاعرة. لكن المدينة كانت قد انقضت. لم يصدقوا. تحمدوا. مزقوا ثيابهم وربطوا العنق. طافوا الشوارع يحملون أجهزة الراديو. استمعوا بمرارة... وأصلا الاستماع بقرابة ودعشة إلى راديو موتو كارلو وب. بي. صوت أميركا. طفروا عبر أغشية الدموع إلى السياه اللبدة بالحزن إلى الأفق البعيد فكروا بالعد الآتي، وعاصمتهم الجديدة... □

عناوين

بشارة فارس

■ وكان يباع العار (حليل الدرمي) بفك

حار ليد

ورسكالي معك أنك طليقة، زيادة عن الزمزم وسيا، وأنا كالسحابة أجري، بجاء واحد، بأهله السهم الأبيض، وأكاد الإصداك بشرك العوليل المنطى بألف لون، وتكوني

عيناك حتى تكاد أن تمسح دوعي الموت والوجل

أعطي قبلة (رشفة).

وقدم حلقة البحث أو سترسب... سارسب؛ ودخلت قوقعتها أبحت عن حلقة البحث... وعلفتني وخرجت فقيت (خالي) أفر قسي بانتظار هويتها وانتظار الفطار، الباس، الزكام، السعال، الفرة الحيوان، الاستخدام، العنف، الثورة، القتل، السيكارة، الممي.

وقباني صديقي الطيب الشاعر الفاضل المويا، لا يكف عن التدخين والكلام (أنا لا أسمع، بل أرى شتة السفل ساعدة هابطة وألسانه تومض زرقاني) وأصابع قمعي تتحرك داخل حذائه استعداداً للانفصاف عليها، فوقها، عنقا، جانبها، يسارها، يدها، يمينها... ولحيتة تستطع وجدها. أظن أنه يصعدت بالعامة، يا له من غي لأنه يحكي بالعامة المكثرة.

وما هي المويا؟

وكت أجلسه (أقصد أجلس معه طبعاً)، وكان لا يكف عن الصمت هذا القنان الفاضل... ولقد كان يجالز إخباري أنه صجر من حديثي ومن صمتي وتشتي ونظري وركامي وتعطيلي في وجهه وليرسل بقايا لعلي على أوزاره ومن وقاحة أسفلي ووضوح حديثي وميلارته وممارستي لنظام الحكم ومناظرني من التنايلات القارعة ومن

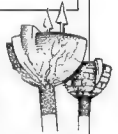


عائلي السطهور على أكتافه وحرجسي عن المسالوف
في وجهي وملا الدنيا وشمل الناس

- إذهب مع إمي يا
هكث .. ونعت متنبأ، فلقد غلبته، (بالمثابة، أنا دائماً
أغلب من أريد وما أريد، فمرة غلبت قطي التي كنت أريتها).
وعكفت شوايري صموداً ولبست سترقي وانجعت إلى عرق التوم
حيث
- آ لقد نسيت! إدوي في رواية عن بيع الغز المواقف (برة)
ينتظر ان أضع له (ولا تزال الساعة الواحدة). □

الجياد

فاخر أبو جنيح



■ الليل: كان يهيا من البصر والخبث
الأسود، مريباً على أطراف ظبية الدجر
كان صوت أبي وهو يجر الحصان إلى
الحظيرة، ويربته أمام العرمة، ويمضي إلى
«النمورة البيدة، كي ينقل «الجص» إلى
المعاريين، في أكياس من القنب، ناضجة
بالوان الزراب المحروق. ذات فجر، لم نسمع صوت أبي، ولا حركة
الحصان. ظل أبي ممدداً في الفراش شهراً، ثم غادر الدنيا، وأخبرنا
الطيب يوبها أن السل هب جسده منذ زمن طويل. بعد عام، في
الليل، جادت أمي ومعها رجل غريب. - تعال سلم على عمك.
قالت أمي

الجياد: أفق مفتوح. ثمة جياد تملأ امتداد رقعة الرمال، تحب،
تضرب بحوافرها الأرض، متيرة حولها زوبعة صغيرة من الرمال.
الموت: أنزل يده أسفل السرة، لامت أصابعه قطعة اللحم
الخشنة فوق فخذه. كانت المفراش والظلال تفرج في ذاكرته، حين
راحت أصابعه تيمم الحصى في قطعة اللحم اللينة على نفسها.
الليل: كان زوج أبي وحشاً يبجله إنسان. مازلت أذكر تلك
الليلة، حين حلني من حصن أمي وأنا أبكي من جراه صفعاته التي
أورثت حنني، سحبي من بين يديها، وهي ترجوه متوسلة، وهو
يصرح - سألقيه إلى الكلاص، وألقى بي وراء الباب وحيداً يكبت
على عتبة بيتنا، والفطط الصالة حول تنثر في الرابطة ونمو شفاً، في
تلك الليلة الباردة من شباط. بقيت أبكي، حتى تحت امرأة من
الحيران بابها، ونمت عندها حتى الصباح.
الموت: شعر بالحركة الولوية، تدب في جرتة الأوسط. ها هي

قطعة اللحم قد أخذت شكل الروح، وأبعد جسده أخلد بالتلاشي،
في تلك التطة الداعية نحو الظل.

الجياد: كان شيتاً حرضها، فاطلقت تعدو، نائرة عاصفة من
الرجال تحت وقع حوافرها التي تضرب الأرض بينتون وجموح صاخ.
الليل: كانوا يأتون في الليل. تملأ الغرفة بهم، ويعلم صراخهم
ورائحة الحمير. وأصدقاء عمك تقول أمي، وهي تجمعت حولها في
قراش واحد. وهم في الغرفة المجاورة، يثرثون بقوهم وأوراق اللب
والرجاجيات الفارغة، فوق بساط مهترى. أكثر من مرة، رأيت
وعمي يأخذ أمي من بيتنا، ويطلب منها أن تضي مع أحدهم إلى
الحظيرة التي غاب عنها الحصان وصوت أبي، منذ زمن بعيد، ولم يبق
هناك سوى بقايا أكياس القنب ورائحة «الجص»

الموت: أصابعه تحيط بقطعة اللحم المتدعة من جسده مثل سيخ
ملتهب. أحس بالنشوة تشكلت تحت قبضته، فاطبقها وراح العرق ينز
بين عطر الكف.

الجياد: النار .. النار. لا أحد يعرف كيف اشتعلت فوق
ظهورها. ألسنة اللهب تراقص فوق لحمها، وهي تعدو إلى كل
الجهنم، وصهيلها يمتزج بالغبار والعرق المتسائل من أعناقها. رائحة
اللحم المحترق، تملأ المشهد.

الليل: أبطي العيش. رفعت رأسي عن الوسادة. أخني بجاني
نمط في نوم عيق. وأخي الصغير هناك، في جانب المكان الذي
احتضنت أمي ان تنام فيه. استقلت أمي في زوايا العرقة، فلم
أجد لها سائر النوم فلم أستطع. بلغت رأسي فوجدت فمي جافاً.
تسمعت أصواتاً وعمي وورعته في الغرفة للمجاورة، تنسجت،
وحرجت لي بالفرش، فتحت عن زير الماء، في العتبة التي غلا
المكان، رحت أقصر الحائط وأمشي بجواره. كان عني أمر بجانب
الحظيرة، ومن نافذتها رأيتها. استعظت أن أمي التي تحت الرجل
لعرابي عن صر، مصبح الكبر. رأيت فجدها العاري فوق أكياس
القنب. وجدت في الظلام

الموت: لم يدرك كم أمي وهو يمسك بقطعة اللحم النافرة، وقد
استحالت قطاراً ألفت سكة الذهب والآهات بين أصابعه. وفي كل
مرة، تزود سرعته في الضباب، وكأنه ذاهب إلى اللاهية ولكنه
يعود .. ويملا بخاره الجمجمة

الجياد: مساحت النار تكبر فوق ظهورها، وهي تطلق مادة
أعناقها إلى السماء، وحجمتها تنشق طريقها في عائم الحركة المتلفة. لم
تعد تعرف أي الجياد مدير وأياما مقبل. حركة سريعة، وحواير مطمئنة
نحو الأفق المتيق.

الليل: هو اكتشاف السر، ولحظة امتلاك الفراغ في مظلة عديمة
الجانزية. عندما أحتني، وملاز الزوبعة أصابعه .. ثم استلقى
على ظهره كالقنبل

الجياد: تعدو صرماً بأنفها الماء، والنار تتوهج على ظهورها
تغوص بجسمها حتى الأعناق المشرقة فوق السطح المائي الواسع
عيونها مفتوحة على رسمها، وهي تمير إلى الضفة الأخرى، وقد
انفعلت البار تملأ. هناك، على الناطق، تتفاخر وفي عبيها تمو
دهشة من أحبال به الوت. شيء ما، خذلها. لم تقف. نامت على
الأرض، ولم يتحرك لها حافر. □



الحية

الشيخ عطية



■ نزلت ماما إلى العين من طرفها المقعر. وبعثت ثوبها قليلاً عندما لامس الله قدمها فأجست أنا باستسلامها له. أخذ الله يبري ساقها ويغمرها بشفقة مع ثوبها فيه، وعندما وصل إلى متنها تركت ماما ثوبا الملك بين يديه ليستحيل هو الآخر ماء.

نظرت ثوبا إلى جدار العين بشفقة. أنا وخاتني ومجموعة الرحلة، وكان بابا يترى الأراض من السيارة بعيداً عنا. اقتربت ماما أكثر من الجدار دون أن تزيع نظراتها عنا. كانت الحية رابضة عليه تتجسس فتحوّل إلى ما يشبه الاستكانة مع نظرات ماما الثابتة ونقراتها. حصرها مرفقة ومضادة بين رداء الله. متطير في الصورة متناهية في الأركان المشبه جدار العين. ثمة ومفصلة لجلال الربوبية. كلمت ماما في ما يشبه الهيب وحركه حيث يجب لا تنهي. عن هدنيا. أبيض مستهواناً عرياناً في البرق والظلمة، انجها مكابرين وماعودين برأسها في الحية الحية لا راسملاً لأمي في ما يشبه الحلم إلى الأخضر المشبه للحظة واحدة فقطها أقدام خاتني التي تجرني بيدها، موقلة وسلسلة بين يدي الله.

أخذت ماما بيدها حققة، وصبت الماء على اليدين اللذين بدأ بالاستكانة، ودون أن تحرك أنظارها عن الحية التي استدارت برأسها زاحفة وفاتية في تفاصيل الجدار. قالت ماما: اقتربا قليلاً ولا تخافا. نظرت بانتعاش إلى خاتني وقدمية. كانت مأخوذة هي الأخرى أمام هذا الكائن الغريب للثاني بذاته، ولا أعرف متى انصهر الفصيص من هدنيا الصغبرين المحصورين في عفة النور، المشرئين في انجاءه حيث يزحف ويهيب.

قالت ماما بهود: إنها حارسه العين. لا تؤذوها كي لا تؤذيكم. نظرت فوقي، وفوجئت بمسح بابا بأركان المشهد بانتعاش أقرب إلى الذعر، قبل أن يترى الجميع يصحب إلى الله وهين عليه بقعة حراء أبدية في مدى انقراض الروح. خالي في انسجام عراء «البايين»... لا يبري أحد من أهالي قرني كيف اتبقت هنا بالضبط واحة وسط عراء بادية الشام، ولا أي تبرير للقدرة التي أرسلتها جسدة قربها وتجددها في البشر الذين يكون لتلارك بآياتها المستفظة... هي صدمع عين «الإمام» التي تغسد ظهوره الحري مزومة ذراكية الجسر، ويروون عن انتباهها تحت قدمه الأساطير، لكها عندي منذ أن تجلت أمامي سيدة النبع بجرتها المشبه وهي تصب لله أمام حارسها هي وهين ماما، عين حزن تشرى الأيدي

في الأرض التي تلد أبنائها بالألم.

قلت لما وهي تقص على جسدي مزيداً من الصابون في الحمام: هل للحية صغار أسطيع أن ألبس معها يا ماما؟

قالت ماما: نعم... للحية صغار، ولكن لدغة الحية قاتلة..

احترت أن تلعب مع الحيات.

.. وهل تشبه الحية صغارها يا ماما؟

.. نعم... إنهن مثلها بحجم أصغر.

قلت بتروء وحجل مشيرة إلى «حماشي»: إن صغير الحية يشبه «حماشي» يا ماما. (وضمكت)

نظرت ماما إليّ بفكر واستغراب، وحملت كامل طنجرة الماء وصبتها فوق ضاحكة من انقطاع أنفاسي.

حارسة العين استقرت بين هدني خاتني قديمة، الصغبرين اللذين لا أسطيع تحليها سوى عمولين على عفة النور، مشركين في انجاء الحية التي تطلعه رأسها وتغيب. ومما هي التي احتارت لما هذا القدر، وهي التي أصرت على بقاءه معافاةً جديداً عندما أودعناها في القبر.

جاءت إنسة الجبران مذهورة تصرخ. الحفي. احتك قديمة ووتت. حالما صبت على عشا والكارة وأعطت عشا لدار.

أصبحت أنا بالذعر، فلم أرويه ماما متفحاً بالألم هكذا من قبل كما أراه الآن. ركضت بالها باب الدار دون أن تأخذ عياها، وعندما تجيبت الحية مزقني الصرخة... لم تستطع ماما احتيل الألم. قصت ماما عدائها أمام الجميع، ودخلت إلى غرفة خاتني. كانت مسجلة على السرير وكأنا نائمة! هل هذا هو الموت؟ خاتني احتضنت بجها، هي بآنية عطف، وجهها الذي لم تستطع النار أن تظله يصرع بالمدى وطق مالدور ويحفظ في سحر تعبير انجذابا عسه الذي جلبني إليها لألم الحية في الليل. ولعلت ماما عقد الحية في جيد خاتني، وقتلها من جيتنا وكنت.

مذ ذلك اليوم استقرت حارسة العين في الجدار. حبة حقيقية تشبهها، وربما كانت هي نفسها اكتشفنا أنا صفة عندما كنت أعلم العذ في صصاني. لقد كانت حسة بالألم، واليوم هي أربعة. قلت لما التي فقدت ابتسامتها وصمكتها الصافية الزائفة... ماما التي لم أصد أراها إلا في الأسود ويدون جديتين: لقد اغشى أحد الصيصان يا ماما.

نظرت لما إلى بحنان، ثم نظرت إلى أهل الجدار. كنا لوحدا في الخطيرة الصافية براتعة الأغصان والدجاج، ونثار العلف والنس، والقمح والماء، والشمس... لقد كانت هناك... خضراء مرفقة كما رأيتها لأول مرة في العين. مذلة مطوية أول الربيع، ومتخفية في الأخضر الطحلي لجدار الخطيرة. ثابته ومفلة لجلال الزهرة. قالت ماما وكأنا نأخذ نفسها: جاء الربيع دون أن نحس به. (وأصمكت يدي). إنها حارسة البيت وعليك أن لا تؤذيها كي لا تؤذيكم.

قلت مداعبة ماما: إنها تشبه «حماشي» يا ماما، وإن كانت أكبر قليلاً. (وضمكت).

نظرت إليّ ماما بنظرة الاستغراب والتفكير نفسها، واستطعت أن أراها تضحك لأول مرة بعد حدة الحرق، وتركتني خلفي كي تصب وعاء حبوب الصيصان على رأسي.

.. أنت والدي قتلنا وقديمة. قالت ماما لبابا في ما يشبه الإدانة

كنت خجشاً خلف الستارة عندما دخل بابا الغرقة، وحاول تطويق
ماما بلزاعيه. أبعدته عنها بغيظ. قال لها: ليس لي دخل يا حثث
لاخثث أنت وأخثث جهورثث، وكلكم من عائلة عجانث. كل ما
معنته أنني طلبتها لأخي من أيبك، وأبوك هو الذي أجبرها على
الزواج.

قالت ماما بغضب: كنت تعلم أنها مرتبطة بآخر، وإنها لا تحب
أحاك المجوز
- أنني ليس عجزوآ. أخثك هي المجنونة مثلك.
قالت ماما بتحدٍ بعت سابا الجنون: أخوك عجزو مثلك أم أنك
مشهور بما أعرفه عنك.

صرح بها بأنها الحية. أنا زوجك، وسأريك من هو العجزو.
حاولت ماما الإملات من يديه، وفكرت أنه يريد أن يؤذيها ففتحت
الستارة وقف بابا يظفر لي لأهناً مائدهش. حثق لي طوبلاً ليهمم مي
هل مهمت شيش، طرقت إليه تنشد أن يترك ماما التي أجهشت
بالبكاء مطر بقلق في صبي، ثم أشاح برجعه عني ضاحكاً وشرج.

حطيرة ماما هي عالمي الذي لا أستطيع الهروب منه. أحلها دائماً
في داخلي تعويذة ضد جلايد اللدن. ملكوتي الذي يبط فجة عندما
تشد لسوء النائي ليبت دقوقي في قلبي الطمأنينة.
حطيرة ماما هي حديقة روشي، معلقة بحركة الجاه أمواج دمي:
حرفاتها البيضاء المشدلات الإلية، التي أجراها متحدثاً النطق من
الفرزون، ودجاجاتها الطلاقة البرتقالية اللون التي تتباهى بجداً نلس من
جنون الريش... أخضر وأزرق وأصفر براق يغبب محبلة الذئك إلى
العدم، ويحبها المستعصب الحرف الأحمر الذي أقهر دائماً عندما أحجز
عه الدجاجات، والحية. سيدة الرمة والمهولة عندما يظهر فأحط
حسنتها من البيض، وتناك الجميع ونحسي سليف بلدي و... جلد...
أحضر في بابا عراً صغيراً من رجنه حشد، ورجعت ورسقه بخر
بها من ماما التي أحبها الغزال مزاحاً الحراف والدجاج وحمايتها
البيضاء، وأعدت يلاحقها وشمشها أيها ذهبت... غير أن الغزال
ظل يفسر من كف الرجل الذي اصطاده، ويغرف كليا اقترت
لتداعب ريقته. أبعد بابا الغزال بحركة من يده فهماها الغزال جيداً،
واقترت من ماما كانت توليه ظهرها، وظهرت إليه تنشد مشوب برعة
متمنعة. طوقها من حصرها بيديه القويين ودون رأسه في شعرها،
ومما التي تمتعت في البداية وحفرتي لأن أظهر من نجشي خلف مغلف
الحراف لحايتها رأيتها تستسلم. لرتد رأسها إلى الخلف عندما قيل بابا
ريقتها، وانثت تحت ضغط جسده الذي تكوم فوقها وعاب عني في
اللهات. سريعاً قام بابا دون أن يتكلم وعضني، ومما رفضت ظهرها
مستدلة إلى الشجرة من رقدتها، وتقلت بينها من شعرها الذي انحل
إلى عتيها، واستقرت من بعيد ما أرى... عيون ماما معروقاتان
بالدموع.

- دعوت أصدقائي غداً إلى العشاء على لحم الغزال. قال بابا لما
الي لم تحب. وأضاف دون أن يحجز على النظر في عين ماما: وأخية
يجب أن ترحل عن هذه الدار... أو أن تموت.
وما دخل الحية بما أنت فيه. قالت ماما فاجأها بحدة:
- المرأة العاقلة لا تتطلب... وإن كنت تظنين أن العصية التي بيديك
مستعصك فاستخلصيها... غداً سأذبح الغزال وعليك أن تعدني
الطعام لأصدقائي.

بابا ما زال عنيذاً رغم ما أسبغ من عباتي بأن ماما طوَّعت قوَّي
المسائلة وجوَّته إلى امرأة عندما أحبها ورشي إن يكون قرار طلائها
بيدها عندما تريد... وماما متأزلة مكابرة ومتمنعة منذ حادثة خالتي
رغم ما أعرف من أنها لم تكن لتنام أبداً عندما يتأخر نظل لقلقة عليه،
وترصد ظله من النافذة، وترس إلى فراشها لتتظاهر بأنها نائمة عندما
يضع الباب

ذبح بابا الغزال، وبكى صمتي ماما إلى صدرها، وأخذني
من يدي ودخلت غرقتها وأغلقت الباب لم تقرب من لحم الغزال،
وبما استدعي أخواته للطبخ وإعداد وليمة الصيادين

دخل بابا الحطيرة. كان هادئاً. داهب شعري، ووسع حبيبت
العرق التي انبثقت مخفلة شمس الصيف من حل جيني للميمك في
المعب. اقترت من الحراف فجثت، والدجاجات هي الأخرى
حرت من الحب الذي نثر لأمها، وحلمات ماما البيضاء طارت.
أحد أحد الصيادان وقته، ثم ربطه بخيط وصعد به السلم نحو عل
الحية المحاذي للسطح. علقة أمام باب العشي وجلس ينتظر. كانت
ماما تفدي الضع في باحة البيت، وأنا جلست بعيداً أراقب المشهد
مدت الحية رأسها لالتقاط الصوت، وتسمرت أنا في مكان. رفع بابا
هراوة ضخمة كان يخبئها جانيه، ولم تصدق عيني ما يحدث. زلزلت
الهراوة على رأس الحية ساقطة إياه بضربة واحدة فقط. شعرت بوخر
الدم على الخدي، وركضت صارخاً للما أن تأتي:

- لقد قتل بابا الحية. ضرباً على رأسها بالعصا

وركضت ماما تاركة وعاء الضع يروي وبائرة بقدمها الزراكسة
للمصطفة حينها الضع التي لم تنزل أبداً إلى الأرض، وظلت أمامي
معلقة وأخبط بها التي أنا كنت تركض أمامي غارقة حجب النور،
اتكحت ماما إلى الأرض، وأجلت الحية التي همدت فيها الحركة.
وسقطت مخروها الذي لم يداره الكبرياء إلى بابا. وبابا وقف براهوته
نأماها... صياداً قداماً من ظلام الأضاطير متحفظاً بفسوة ومستعداً
للزلال. انكفأت ماما بدموعها، وحفرت للحية قبراً تحت شجرة التوت
ووارثها التراب. وبابا انكفأ براهوته مستعداً إلى الصخور. وأنا رايت
ماما تستد إلى جذع الشجرة ونجشش بالبكاء، ورأيت بابا يرفع هراوته
ويحطها بضربة واحدة على الصخر، ويخفي عيني يديه □



الرقم (٥)

محمود أبو حامد



■ تمت كل ما تمكّل كي تشتري عقداً للعمل في دولة من دول الخليج، قل لي على ماذا حصلت عبر السؤال الذي وافقت منذ دخولك عبر المطار؟ تذكر ذلك تماماً حين وضعوا على جواز سفرك الرقم (٥)، ولم يكن رقمي لأشياء دحول ولا لفيرة العمل ولا... التفت إلى من أمامك ومن خلفك في المطار؟ وظل السؤال لأنك شامتت الرقم نفسه على جوازات سفر كل المترين

ستان وأنت تعمل لتاكل وتاكل لتعمل... وصياولة لا نستطيع بيعها في بلدك وجهاز تحكّم ويدبر، فواكه بلاستيكية، خضار مجففة، لحوم معلية... كل ما ترفعه بصيالك بأصابعك... بالرقم... أرسلت صورك لأهلك التي قالت الجواز لا غير شيء، عبر الجواز فيها عود، انظروا ما شاء الله أصبح كالزفير... فلا لي أي بقرة لا علب نفطاً؟ أي بقرة لا تحلب نفطاً؟ ماذا جليت؟ على ماذا حصلت عبر السؤال الذي لم تعرف الإجابة عنه حتى الآن. لماذا هذا الرقم (٥) المعين، هل هو للترعة بيتنا وبين المواطنين الأصليين؟ ولماذا التفرقة؟ الفرق واضح، أنت الآن خارج صملك، أنت الآن مفصول، صحيح أنك استطلعت التكرش حتى أصبحت هلامي الأساعد لتكتم (تسكوت) قبل أن تسترد ما بهته من أجل عقد العمل المزعوم، الفرق واضح ما أنت تفقد في الطابور، نفس الطابور ونفس الراحة، والراحة زيت جوز الهند ورائحة العرق المخلط مع الثياب التتة... ورائحتك أيضاً، وهل شمس الصحراء تفرق بينك وبين غيرك؟ ما هم استبدلوا بك موظفاً هندياً أو مصرياً أو... هل هناك موظف أصلي يعمل ثلثي ساعات؟ ما أنت فستعد الآن للعمل عشرين ساعة، هذا إذا قبلوا بك في القطاع الخاص... وهل يتقبلون بك وأمامك مئات المترين بجهنمهم المعصلي... بجهنمهم العقلي... بكتلامهم العاصي... بمت كل ما تمكّل... قل لماذا جيت غير التكرش والسؤال من الرقم (٥)، ما هم رفغسوك من جديد؟ الموظف التاليفي يجيد العربية أكثر منك، الباكستاني يرضى بربع راتبك، الهندي... المصري... إلخ...

وقفت أمام صاحب الشركة كالذليل... كل كرش الرجاعة هذا وتقف معالي الرأس كالذليل المذبح... هل عرفنا الآن الأجابة عن السؤال؟ هل عرفنا ماذا يعني الرقم (٥)؟ يعني نقداً وجلاً مثلك كرشه لأمه ورضته كالتذليل هكذا... 5... □

مأساة عطية جعلوك

نادر السباعي



■ أنا عطية جعلوك المحسوس من سكان سلبانية تحتاني وكلمة المحسوس هذه لا أفهمها أنا عن نفسي، وإثنا أسمعوها من أخته أهل الحارة. وكانوا ينادوني - عطية الحمار، عطية الأبله، عطية المتوعدة ولكن وعطية المجنون، كانت الأروع في أذهان الناس - واستحسنها السامع وإذا حصل وتودبت كما يتأقني الحوري مغتابوس وولدي عطية، شعر بنوع من الاستغراب، على كل حال، برأيي، لا قيمة لهذه الأوصاف، لأنني عاقل ومتردد كمعظم الناس، ولكن مصيبي الوحيد، أي أسمى الناس، ويستطيع أصغر سكان حي السلبانية تحس، أو يوقس أن يقتضي، ويضحك عليّ، وعلى سبيل المثال قال لي أحدهم: وحيي تلاميذاً! وبعد دوام، الحيلة حبل، سوف تلدها، وعلى إقتضائي، ولا أذهب للمدرسة، ثم يتبين لي بعد أن الحيلة لم تكن حبل ولم تلدها أبداً، لاها غير متروحة، فيضحكون عليّ وحسبنا أحاول شرح موقفتي، يقول أحدهم وأنت أبلك! إضافة لكوتك أعمى، ألم تنظر إلى بطنها، طيلة ذلك الوقت؟ وأنا فعلاً كنت أنظر إليها آنذاك، بسرعة، وتضجل، وانتهار، ولم أؤمن في بطنها، لأن وجهها يجذبني دون سواه. وفكرت، هل جريعتي كبيرة إذا لم أؤمن بسطن معلمتي؟

هذه الحادثة، جعلتني أقول للمعلمة وأنت حارة. لماذا لم تحلي؟؟ اصطخب الصف بالصعكات وبلت عقداً فاسياً على سؤال. وبعد أيام طلوتني أثناء درس الرياضة وكانت الأسمه وحيدة في الفرقة، حاولت أن تطيب خاطري، بلهجة ودودة، وصفيقة وتعالى يا عطية، وقتت كالذليل وبديها تداعب أسفل بطني. تحركت فكونت. تضغط بيدها الأخرى على صدرها وتدعوني، وأنا البهيم لا أفهم! ففتحت سالتها، وهي جالسة على الكرسي، وأعلنت تضغطني، برزتني أعمدة التمرس. تمررتني بين فخذتي، وتكأوه. لا أعرف أي غابت تكتلي اللحمية المتفتحة، ولقد تلمكتني فدهس ساحر لا أساء

ومع كل الأيام والسنين، لم يعادني شيء أذنت لنساء، وأنا بطبعي لست ميالاً للمشاكسة وللشجار، وكنت أكتفي بالسكوت أو العزلة عن الناس. وما حدث في أحد الأيام إن صارحتني المجوز بوجهها الشيطاني وهي تقول على فراش الموت: «أنا لست أملك يا عطية!؟ ضمت، ولم أعرف معنى لوجودي، ولكن منذ تلك اليوم عرفت معنى الموت، ومعنى الحياة، ومعنى الإنسان المقطوع من شجرة، ولم أجد

أساسي سوى يد الأب مطايرس وهي تفودني إلى القرن، وقال لصاحبه: وهذا الولد أمانة عندك يا أيوليس، وإيتدات أعمل متاولاً، وبعالاً أرق أكياس الطحين، ومهارق، جعلتني أرتقي بسرعة إلى صبي عجان، وفي أحيان كنت أساعد نعيم ماكينة المشهور سرعة، ولقب بملك الرق، وأما أنا فيكونني «هات الطرحة يا مهيول». جهز المحبة يا مجنون.. «وكت أضحك ولم أحتد على أحد، وكان يمازحني الرئيس أبو شحارة بوجهه المشتمل أمام بيت النار: «بيني.. أنت الوحيد العاقل يا عطية». متصف مكاناً يوماً وتصيح ريس القرن! وفعلنا لم أكن أصدق ما يقال، وضحك الملهم أيوليس أمام الميزان، وهو يبيع، ويقض، ويعطينا ما يراه مناسباً.

وبينما كنت أسير ذات مساء متجهاً إلى القرن، قابلني الأب مطايرس وحدتي قفلاً: «حان الوقت كي تفكر بالزواج يا عطية». فقلت له: «وأي المرأة الصالحة يا أبت؟» فقال ريتا.. ذهبت إلى القرن كالخيول بعد أن أهمني يومين. جلست فوق أكياس الطحين أحسن الشاي وأنا أفكر بريتا. أدخن سيكاري الحمرارة بيده وتلفذ، وقلبي يقفز من مكانه، وفكرت الزواج جعلني أستعيد آلاف الصور من السعادة، واسترجعت الدفء الساحر الذي أحسسته يوماً بين فخذي المعلمة.

صاح بي نعيم ماكينة مداحياً: «ماذا تفكر يا عطية؟» فاستثرت بالموضوع لقفقه بصوت عالٍ: «ريتا!! إنها قحة الحاررة». فالتهمته، وانصرفت إلى متابعة عملي، بدل الرئيس أبو شحارة الذي مات من كثرة كبح العرق في عيد الفصح. وقد أنادت لي: «الذي أنشده دوماً معرج المرأة ألف وفاء يستبشر بوجهه، وحده عندما أكون وحيداً» فاداعب فمصيبي أمام أعظم فرح في العالم.

أقر، وأعترف أنه لم يعض في جفن تلك البسة، وأنا فكر ريتا، ولقررت أن أسأل عنها في الصباح. وفي اليوم التالي، ذهبت للزوال عنها، وأرسلت الصحة المحسوسة عن ألواف، وطعنت عن الوعود، إشارت بريتا!! هـ.. هـ.. هـ.. وأدرك في بعضهم أن هذا الفراء، قال ريتا مازالت حارراء ولم يقلل فيها إلا أنها.. كل حال لم أدرع هواجسي تستسلل إلى قلبي، وعسل، بل قررت أن أذهب للأب مطايرس وأعرف منه الحقيقة. ولكرت بما يقال وقد يكون صحيحاً، فقلت، من هي المرأة الأخرى التي تقبل الزواج مني؟ صحبح هن الكثيرات اللواتي يمزحن معي فقايلات «عطية». أنت أحل شب في الحاررة. أدرك معنى هذا الإطراء، وهو من أجل الحصول على الخبرات دون زحام.

فصرخت على المغفرة، ونحن أولاد اليوم، رغم إيماننا أنها إنسانة شريفة وصالحة وهكذا ذهبت للأب مطايرس وأخذت له بعض الخبز الطالعج، ورجوته أن يخطبها لي فوراً. وكنت الحليمة والعمرس والوليمة في يوم واحد. وانتهت المصاريب كل مخدرات تلك السنين، ولم أدم على ذلك أبداً.

وفي ليلة العرس، لم تسمح لي ريتا بمضايعتها، متعلقة بالمادة الشهيرة. فقلت لها كيف لم يأتدركك الباردة إلى الحرام. فقلت: أخذوني، والبارحة هو الباردة، واليوم هو اليوم، ولا أستطيع الآن، واتصمت بكلامها.

ومرت خمسة شهور فقط، فولدت ريتا مولوداً أنثى ولم أر في حياتي أجمل منها. لكن خسة شهور كما أعرف هي ملق قصيرة جداً للحمل.

والولادة. رغم أنني لم أضاعجها سوى مرة واحدة. وأعترف بعدم معرفتي إن كانت عذراء في حينها: لأن سحر الروع الذي أشعلني، قد قوت علي مناقشتها الأمر. وعندما فافتحها بأمر الحمل والولادة، صرخت في وجهي، وانتهلت على سبيل من كلباتها البليئة، وأقمتني أن الطفلة ابنتي وإن ذلك يحصل رغم ندرته. وعقدنا الطفلة في الكتيفة على يد الأب مطايرس الذي وجهته مرتاحاً جداً، والناس تهمس، وتضحك، وتتعاير.

ويحكم عمل قفزان، كنت عروباً من التوم مع زوجتي، أعمل في الليل، وأنام في النهار. وكنت ريتا تقوم بأواجبها ذاتياً من طبخ، وغسيل، وتغيير أمور البيت. والنشي الوحيد الذي يتفحص أيامي، هو أنها لم تكن تسمح لي بمضايعتها بحجة أن النهار لم يخلت لهذا.

وسرة عدت إلى البيت مبكراً على غير عاداتي، فرايت ريتا في الفراش، وبجانبها شبح متناول مغطى بالحلف. صاحت ريتا في وجهي: «هل أحضرت الحليمة؟» فذهبت لشراء الحليب من الحاررة، وعندما عدت لم أر بجانبها أحد، واحتضني الحذاء الذي لمحت قرب الفراش. ولا أعلم حقيقة ما رأيت، وديها شيطان قد صور لي ذلك! وفيما بعد، ابتدأت أشك بها، وقررت أن أراقبها، ودخلت مرة البيت، لأرى شحناً متلحفاً بالسواد، يفرغ هارباً. فندت باستعراب: «ما هذا يا ريتا؟» أنكزت ريتا كل شيء. وأنا صدقتها، أبطلت أن يفعلها؟ وبذلت لا بد أنه جاء وأنشس في الفراش دون أن تراه وثارة كانت ككثيرين: «وقول: «أنت مجنون يا عطية! وأنها لم تر شيئاً ولم تسمح سوى حيات امرأة».

على كل حال، مضت الأيام والسنون، ووزقت من ريتا ثلاثة أولاد. وكان عملي بكل طاقتي كي أسد ألواف المفتوحة التي تنتشر. وما كنت لألاحظ عقب كل ولادة، فذهب ريتا إلى الكتيفة للاعتراف، وتعمد ولديها، وتعتمد هي من جديد أيضاً! أظنبت ريتا بمرحلي لتطير لم تنفع مع الأوعية، ولا صلاة الأب مطايرس، وقبل أن تموت اعترفت لي بأن الأولاد ليسوا عني. فساكتها: «من هم؟» فقلت أنا نفسي لا أعرف ولكنهم ليسوا الأولاد كل حال. وصارت ريتا، وحزنت عليها، رغم بوحها بسر الأولاد، فقد خلعت في نفسي وقلبي جرحاً عميقاً لا يتبدل. وفكرت بشأن الأولاد وقلت ما ذنبهم، وقررت أن أصيغهم حتى يكبروا.

وكبر الأولاد، ابتدأت التث الكثرى تلعب إلى المدرسة، وكنت أزداد فرحاً وثقة بالمستقبل، وصادت ذات يوم وهي تبكي، وتقول أنها سمعت من إحدى زميلاتنا بأنها ليست أبها.. بالحقيقة فكرت طويلاً في ترك العمل من قرن أيوليس والرجيل إلى حارة الديدان. وقبل الاستقرار بالحاررة الجديدة، وجدت سعة ريتا منتشرة فيها أيضاً. وظللت، أنتقل من حارة إلى حارة، ومن قرن إلى قرن، حتى يومنا هذا! □

العدد القادم:
القسم الثاني من ملف قصص جديدة:
العراق وفلسطين ولبنان وليبيا ومصر
والبحر



المرض العربي بين التشخيص والعلاج

هاشم صالح

من رواية أو شعر وربط ذلك بالمقد النفسية للشعراء والكتاب المبدعين. ولكننا لا نكن نعرف أنه يبطئ أيضاً عن الإنتاج الفكري والمفكرين. هذه نقطة غير بدون شك. ويأتي التوقف عندها مطولاً من أجل تبريرها لوعده تبريرها. إذ يبدو - ظاهرياً - على الأقل - أن كل الصرح الذي بناه طرابيشي يرتكز عليها.

أما النقطة الثالثة المميزة لهذا الكتاب فهي أنه يتخذ موقفاً معاكساً للتيار العام للمثقفين العرب، وبخاصة بعد اندلاع ما يدعى «الثورة الإسلامية». فهو يفت بكل صراحة وصمود إلى جانب الحداثة/ ضد أنصار العودة إلى الماضي أو ما يدعوه «بالفلاحة». لنستمع إليه يقدم فلسفه الأساسي في الصفحات الأخيرة من المقدمة العامة للكتاب. وهما الصفحتان الثتان تملآن زينة الموضوع وبيت القصيد. يقول المؤلف بالحرف الواحد:

«وأعظم ما في هذا الانقلاب أنه يأخذ في أيام الردة هذه، شكل جامعة إيديولوجية وديانة نفسية. واتينا لأن هذا الوباء يتهددنا جميعاً، بدون عناية من أي مناعة، كان كتابنا هذا الذي سيقول أن يرصد، في قسم أول، المصائب الجاهلي لتلتجس في العربية في الحالة العامة لتتمخضه واشتالته وتبريراته، وفي قسم ثان، حالة مشخصة وخاصة من تظلمة هي الحالة التي تقدمها كتابات حسن حنفي التي هو بلا جدال المايرس الأكثر تميزاً أو الأفضلية تجلية والأغزر انتساجاً لحطاب التراث في الأيديولوجيا العربية المعاصرة».

وكتابنا رغم التزامه المنهجي وتقديده الصارم بروح موضوعية العلمية لا يخفي أنه يريد نفسه عن نسق قصيد وتصميم متروكاً في المركة. فداوود لا بد أن يوقف عند حده، وصلوا من الانتشار.

وهذا ما يجب أن يكونه أمر اليوم على مدى السنوات القادمة في لائحة مهات كل متقف

غرار ذلك العنوان الشهير لمبدائي المروي. لكن هذه الأزمة ازدادت تعاقلاً وخطورة حتى وصلت على يد طرابيشي إلى مرحلة المرض، بل والمرض النفسي. من هنا يجيء العنوان الشائوي وروياً الأساسي، في الواقع، لهذا الكتاب: «التحليل النفسي لمصائب جاحي».

هكذا انتقلنا إذن من مرحلة الأزمة إلى مرحلة المرض خلال فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز العشرين عاماً (تربو ألا تنقل إلى مرحلة الاحتضار في الفترة القريبة القادمة) لند تصاقمت أموسنا إلى درجة أننا لم نعد نخجل من تسمية الأشياء بأسمائها. وروياً كان يكمن هنا النجاح الأول لكتاب طرابيشي.

الكن لفتن على بعض الأمور قبل الدخول في التفاصيل الدقيقة. عم يتحدث هذا الكتاب؟ عن التراث بالطبع. ولكن الكثيرين من المثقفين العرب تعرضوا لهذه المسألة في السنوات الأخيرة حتى شاعت بينهم على كل شقة ولسان. فمن لا يسمع باسم حسن مروة مثلاً أو أوديس؟ أو صادق جلال العظم؟ أو الطيب تيزي؟ أو محمد عابد الجابري؟ أو حتى حسن حنفي نفسه؟ الخ... كلهم تعرضوا للتراث وتحلقوه موضوع محوري للدراسة. ولكن طرابيشي لا يدرس التراث على الإطلاق في كتابه هذا. أو قل لا يدرسه إلا عرضاً. فمشكلته هنا ليست مع التراث بقدر ما هي مع دارجي التراث مع الحداثة والتجديد بالطبع. إنه لا يدرس الموضوع، وإنما يدرس دارجي الموضوع. ومن هنا الغرابة الأولى التي يتصف بها هذا الكتاب.

أما نقطة الغرابة التراث (أو القردة إذا شئنا) فهي أنه يدرس دارجي التراث من خلال منهج واحد يمر عليه منذ البداية وحتى النهاية: ألا وهو منهج التحليل النفسي. كنا نعرف أن التحليل النفسي يطبق على الأدب

طرابيشي يختبئ وراء أسلوب العرض البارد والحيادي

التحقون العرب وتراث

دراسة

جورج طرابيشي

رياض الريس للكتاب والنشر

لن 1991

■ لا ريب في أن الكتاب الذي أصدره جورج طرابيشي مؤسساً عن دار رياض الريس للكتاب والنشر، يستحق أكثر من مجرد إشادة الوجه أو اللامبالاة من قبل المفكرين العرب. إنه يستحق القراءة الجادة والعميقة منذ البداية وحتى النهاية على الرغم من ذلك العدد الكبير من الصفحات وكثافة هذه الصفحات وإملاها. والواقع أن ذلك ليس بالأمر اليسير. طليس من السهل قراءة كتاب فكري، جاد من أوله إلى آخره، لأنه ليس رواية أدبية ولا قصة بوليسية تشوق القارئ، بعقدتها وحلها. أقول ذلك على الرغم من أن كتاب طرابيشي لا يقتصره جمال الأسلوب أو قوة التعبير والمصطلح أو ثرائك الأفكار واستنفاها. كما أنه لا يخلو من عقيدة، إذا ما اعتبرنا أن حكمته على البطل (هو هنا حسن حنفي) قد أحصل حتى أصغر صفحة في الكتاب، وكان حكماً متوازناً ذكياً. وهذه مهارة يجسد عليها الأستاذ طرابيشي. إذ ظلاً يشعر القارئ، أثناء قراءة كتابه بالرغبة في معرفة رايه أخيراً في هذا الفكر المتناقض إلى مثل هذا الحد، والذي كرس له دراسة التطبيقية كلها على مدار مائتي صفحة تقريباً. وفي كل مرة كان الأستاذ طرابيشي يختبئ بكل مهارة (هل أقول بكل مكر) وراء أسلوب العرض البارد والحيادي. ويكتفي بتحريك خيوط اللعبة من خلف الستار.

مهما يكن من أمر فإن لنا المسألة ليس هنا. وإنما هو يكمن في تشخيص طرابيشي لما يمكن أن ندعوه «بأزمة المثقفين العرب» على



عربي حريص على أن تكتب له النجاة. لانه إذا ما تقيض خطاب العصاب أن يصبح هو أيضاً خطاب السلطة، فإن ما سيقتفح أمام المقتب، وأمام الإنسان العربي في كل بقعة من الوطن، هو مستقبل من الظلامية (ص ١٦).

إذنا اعطوط العريضة للكتاب ارتسمت منذ البداية، وأهدف حدد بدقة، والمعرفة أصبحت واضحة، صريحة، مقنونة، ولم يبق علينا إلا أن ندخل في مرحلة التنفيذ. وهنا تبدأ المشاكل. فالسلاح المستخدم لتشخيص هذا المرض (أو الوباء بحسب مصطلح طرابيضي) هو منهج التحليل النفسي. ويصبح الجراح وأدواته مستقلة من فرويد وما بعد فرويد وصولاً إلى جورج ماندل، الباحث النفسي والاجتماعي الفرنسي. وعلى الرغم من كل المشاكل التي يثيرها منهج التحليل النفسي في الساحة الفكرية الأوروبية، وكل الانقسامات والمدارس التي ينشعب إليها، وكل المناقشات الاستعمارية الدائرة حول مدى علميته/أو لاجمليته، إلا أن المؤلف لا يتوقف عند ذلك كثيراً. فالتأكد منه لا يعمل إلى التلبس ومدى صلاحيته في حالات دون حالات، وأتساق يتوقف فقط عند بعض التطبيقات/أو عدم نجاحها. بالطبع يحق لنا درس أن يجتاز المنهج الذي يشاء لدراسة موضوع ما. ولا يحق لنا أن نتعرض على السبب في اعتباره هذا المنهج دون ذلك. كما لا يحق لنا أن نلوم الطبيب على استخدامه هذا المنهج دون ذلك أو هذه الطريقة في إجراء العملية الجراحية دون غيرها. ولكن يحق لنا أن نطلب منه التأكد مسبقاً من صلاحية المنهج للموضوع المدروس ثم تقديم التبرير الكافي ولتقنع لاتخاذ هذا المنهج بعينه. إذ لا يكفي أن يكون جورج طرابيضي قد حقق بعض النجاح من تطبيقه على الرواية العربية سابقاً لكي يحقّ التجايع نفسه على الأرضية الفكرية. فالخطاب الأدبي غير الخطاب الفكري.

صحيح أن طرابيضي، كمحلل ماهر، يحتاج لنفسه جيداً عندما يقول في الصفحة ٧٣: «وه ان دعماً لأي التلبس لا بد أن نأخذ إلى القول بأن والعصاب الجهاضي الذي يمكن استغراقه من تحليل الجهاضي العربي المعاصر لا يعني بحال من الأحوال أن كل من مارس هذا الخطاب الجهاضي هو بالضرورة

على الصعيد الفكري إنسان عصامي».

ملاحظة ذكية بدون شك، ولكنها لا تنير في حقيقة الأمر كثيراً. فالعصاب هو هنا موجود، وحسب الذي الذي حظي بالدراسة الدقيقة المطلوبة. إذ لم نقل السريرية أو العلاجية - يبدو كحالة عصائية شخصية، وليس فقط خطابية. والسؤال المطروح هنا: هل هو أكثر عصائية من عثرات الأسياء الأخرى التي حفل بها الكتاب؟ وما الذي يدعينا بذلك؟

لا ريب في أن جورج طرابيضي مفكر متجني قتيق يعرف ما يريد. انه يكره أن يطلق على معنى من المعاني. فهو يكرس القسم الأول كله (أي حوالي النصف صفحة) لشرح المنهج واستمراري أدواته المنهجية أو المصطلحية قبل أن ينتقل إلى التطبيق. وهو يبدو موقفاً عندما يتحدث عن الصنعة (بمعنانية هزيمة ه حزيران المتخلدة كتقطعة ملام أساسية. كما أن تحليله يبدو متفصلاً عندما يقرر مصطلح الرقصة (عمل الأتلي في اللغة العربية)، والتكسوس الذي يتلوها والتشريع على الألف التاريخية كحل أو كبحت عن ملاذات أوقات المص الصحة ولكنه يبدو أقبل تقيضاً يفتقد إلى استخدام مصطلحات التحليل التي تفتقدت مثلاً عن «التكسوس كإعادة تنشيط لآلية التبريز الجنسي». عندئذ يصدم القاري بذلك التحشد المائل من المصطلحات الأجنبية (كالحصاء، والشدي، والشرج، الخ...)، والمهمل، والشدي، والشرج، الخ...،) وعطيقاتها غير الوافقة كثيراً في رأينا بل إن هذه التطبيقات تدور لنا متعصمة في أحيان كثيرة إلى درجة أننا نتساءل عما إذا كان الكتاب يسحر شيئاً كثيراً أو حدافنا من القسم الأكبر من مصطلحاته الخسنة؟ في الواقع إن كتاب طرابيضي كان سيرويح شيئاً كثيراً لو عسر ومنهجيته الجنسية بشكل كلي تقريباً. كان سيتحول عندئذ إلى كتاب رصين وجاد في تاريخ الأفكار، كتاب نقل أمثاله في ثقافتنا المعاصرة. إذ لا تنهض دقة العرض كما قلنا ولا نفاذ العميرة في التحليل، ولا النفاذ العلمية على التحكم بمسؤوله عزير، صعب، مشعب. سوف تغرب أمثلة على هذا التنصف في التطبيق، وذلك من أماكن غنطية من الكتاب. لكن قبل ذلك سوف نتوقف قليلاً عند الشرح النظري الذي يقدمه الأستاذ

الغربة أن المؤلف يتعامل مع دارسي التراث عبر منهج واحد هو منهج التحليل النفسي

طرابيضي لتبرير منهجه. يقول موضعاً: «وستطبع القول بمعنى من المعاني أن الرمزية الجنسية هي بمثابة النظام المروري - الاستبسي - للرواية العصبائية للمعاني. فالتراشد العصبائي يرى في كل شيء قسباً أو مهلاً، إن لم يرقه أيضاً تداء وشرجاً، مثله في ذلك تماماً مثل الطفل الذي لا يتعلم العالم إلا من تحتات جسمه الرئيسية الثلاث: النم والصادة الشرجية واللغة البولية. ولكن بما أن التجربة الأساسية في الرقيا العصبائية للعالم هي التجربة الحصبائية، فلنا أن نتوقع أن يكون المحور الذي تدور عليه الرمزية الجنسية ليس هو الأبروسية التناسلية الناضجة التي تقوم على علاقة مشاركة فعالة ومتبادلة بين عضوين تناسليين متكاملين ومتساويين، مذكر وصوتث، بل الأبروسية الطفلية ما قبل التناسلية التي تقوم على واحدة جسدية يحكمها قانون الملك وحده. ففي نظر الطفل، كما في نظر العصبي، لا يوجد إلا لمصر تناسلي واحد وحيد هو عضو الذكورة. أما الأنوثة فلا وجود لها بها هي كذلك، وإنما هي بالأعصرى نقص وجود وعدم ملك. فالأنتى عندما هي ذكر جرد من آلة ذكوره وعلاقتها معها. وبعبارة أخرى، إن الأنتى هي التجسيد العملي للواقعة الحصباء المستهم. ومن هنا كان اعتبار الأنتى كائناً ناقصاً واعتبار الأنتى سبب وفعل خضف وإذلال. ومن هنا أيضاً كان تأويل الراشد العصبي لكل تجربة إبطاء على أنها فعل خصاء... (ص ٤٠).

ولكننا نعرف أن النظرة الرجولية أو الفعولية ليست مقنونة على العرب فقط وإنما تشمل جميع المتوسطات (انظر جنوب إيطاليا مثلاً). فهل يعني ذلك أن جميع هؤلاء هم أطفال أو حصبائون؟ هنا يترطم المنهج النفسي - الجنسي محدوديته وقصوره، بل وعجزه عن تفسير ظواهر كان ينبغي تفسيرها بمناهج اجتماعية وتاريخية - ثقافية أولاً.

ثم يحدد الأستاذ طرابيضي تاريخ رد العمل العصبائي على الغرب بجزئية الحفاس من حزيران ١٩٦٧ كما ذكرنا: «والحال انه منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ انحلت تحصيل في الخطاب العربي المعاصر حول العلاقة بالغرب المعاصر استغرق من تحليل الجهاضي العربي المعاصر لا يعني بحال من الأحوال أن كل من مارس هذا الخطاب الجهاضي هو بالضرورة



الذي يملكه الابن نفسه (...). وبما أن الأسرة في نظر الطفل الواحدية الرؤية هي واقعة قانونية، لا أولوية، أي بمعنى أنه لا وجود للأبني كائناً، لأنها ليست موجودة مذكراً قد خصي، فإن الوحدة الجنسية إذ تنفي الطفل عن الاعتراف بالآخر، الذي لا متناهي في هذه الحالة من أن يكون كائناً خصباً، تنبع له أن يفقد من نفسه شر أفعى خطر يمكن أن يهدد تعليمه الرجعية، ألا

وهو خطر الحصاد المشرع... (ص ١٣٨). ما علاقة كل ذلك بتناقض حسن حفي؟ ولماذا كل هذا المعاء من أجل التوصل إلى شيء؟ أم يكن من الأفضل الاكتفاء بالتفسير الذي أصطلح طرابيشي نفسه - وبشكل مقبح هذه المرة - في آخر صفة من الكتاب؟ عندئذ راح يبعد ظاهرة التناقض إلى رغبة حسن حفي في ستر نفسه وتأمين التغطية الضرورية له من أجل الهيمنة فندماً في نقد التراث والتراثيين. فلو أنه لم يستعمل أسلوبين وضاهين متناقضين بشكل حدي لما استطاع تحرير خطابه النقدي وغيد سيف الرقابة المسلط في الساحة والتقليدية عن الفكر والفكرين. بمعنى آخر قد حسن حفي مضطراً لاختار موقف تكفيك بينه حرب الواقع من أجل تمرير استراتيجيته المتقدمة للتراثيين والمسلمين الرافضين لكل تعامل إيجابي مع الحداثة والعصر.

هذا كلام واضح له معنى. ان جورج طرابيشي مؤرخ جيد للأفكار بدون أدنى شك، ومرة أخرى أقول بأن كتابه كان سيربح كثيراً لو حصر معصم تحليلاته النسبية الجنسية. ولكن هو يعني ذلك أن المسبح الجنسي غير لازم لتحليل مشاكل الثقافة العربية بكل ضروبها وشجوبها؟ ما نصل إلى المرحلة الثانية من نقد هذا الكتاب الغفيم أعتقد أن الاستناد طرابيشي قد صل الطريق عندما اختار منح التحليل النفسي الكلاسيكي المكانة الضيق والمحصري للكلمة (أي القامع على تحليل الدوافع والظواهر من خلال نظرية الفرويد والجنس فقط). فلو أنه انتهج طريقاً آخر، كالمنهج الذي يتبعه علم النفس الجهازي مثلاً، لكان حظه من التوفيق أكبر. ماذا يعني كل ذلك؟

من المعروف أن الفرنسي فوستاف لوبون كان قد حلل ظاهرة الجماهير في كتاب مشهور ظهر في أواخر القرن الماضي. ثم تلم بعد

أين هو التمييز الجنسي في هذه العبارة؟ أين هو الحصاد؟ ولماذا لا تؤخذ الكلمات بمعناها، أو كما هي؟ لماذا نجر من قربها لكي نتحجب غيباً عنها لمبح لا تريد أن تتحجب له؟..

ثم هذا المثال الذي يرى فيه طرابيشي أيضاً تمييزاً جنسياً في العلاقة الحضارية بينا وبين الغرب، أحده من الصفحة داتها: وفي الشاهد التالي تبرز الرؤية الخصائية بمزيد من الوضوح ولكن موزعة غلف وتقليم الألفاظه وشرع المخاليف: «جاء الغرب ابتداء من القرن الخامس عشر وأحد بني هيمنته وسيطرته. وأخذ الشرق العظيم يستحوذ - مواسمه العرب في فقص وقلم أظفاره وزرع غلبه... حتى أتقده نقته بنفسه» (ص ٤١)

يبدأ من أن يلجأ الأستاذ طرابيشي إلى تفسيرات مباشرة (وسلمية أو اجتماعية) تشرح التناقض في تناقض حسن حفي وإليه على المجلدات بشكل دائم وصريح. حيث يقدم من جديد منهجية التحليل النفسي - المصطنع - الجنسي. ثم يتجه إلى تحليل مفاهيم نظرية وتحليلية مطولة ربما كانت مفيدة بعد داتها، ولكنها بالتأكيد غير مقبولة فيما يخص تفسير هذه الظاهرة المستشرية لدى الفكر المصري المعروف. يقول مثلاً:

ولقد آن الأوان لطرح هذا السؤال الذي لا بد أن يكون طال انتظار القاري: له: كيف يمكن أن تصدر كل هذه التناقضات من عقل واحد؟ كيف يمكن لقلم واحد أن يبرس لغة الدين التي تأخذ واحدها ما تعطيه الأخرى؟ كيف يمكن لفكر واحد أن يقول الشيء وعكسه في آن واحد ومن جهة واحدة وبدرجة واحدة من الصدق الذاتي؟ (ص ١٣٦).

سؤال مشروع ومطروح وبشكل جيد. ولكن ماذا من الجواب؟ يقول طرابيشي مشبهاً حسن حفي بالطفل قبل بلوغه مرحلة الصبح.

وكذا أنه لا يوجد إلا لوالد واحد وحيد هو الابن نفسه، كذلك فإن عضو التناسل لا يمكن أن يكون إلا واحداً وحيداً، وهو ذلك

ولكن لماذا هزيمة ١٩٦٧ بالذات؟ كان بإمكانه أن يبعد إلى الوراء أكثر، أي إلى لحظة الاستعمار في أواخر القرن الثامن عشر وما شكلته من غرق وإنتهاك للذات العربية الإسلامية.

وعلى مدار الكتاب كله لا يصل جورج طرابيشي من تطبيق هذا المنهج النفسي - أو بالأحرى الجنسي - التبسيط على ردود فعل المثقفين العرب على العرب والحضارة العربية. والألمة على ذلك عديدة جداً، وهي تحرق الكتاب من أوله إلى آخره حتى لكأنها تشكل ميكانيته أو عموه الفكري نذكر من بينها لا على التبيين:

وفي الشاهد التالي لعبدالكبير الخطيب تترد العلاقة بين الأنا الجمعي والقوة العربية كما في العلاقة التي يقيمها الأنا الطفل مع العالم، إلى أقصى علاقة جسدية: «ان وجدنا في صميمه الكلام للخطيب - قد نالت منه ارادة القوة العربية وعدته... وأضحت الحفارة والهيمنة الوحشية القاسية... ومن لا حول لنا أمام قوة هذا العالم. هذا هو تاريخنا الذي نُس في جسدنا» (ص ٤١).

بالطبع فإن جورج طرابيشي يرى في كلمة «الجسد» هنا معنى جنسياً. ولكن لماذا لا يكون لها معنى آخر، أقصد معنى حيوياً وروحياً أكثر؟ أي يمس الاستعمار الشعوب التي استعمرها في جسدنا: أي في أراضيها وأزواقيها؟ أم يقتيل الكثيرين من شبانيا؟ صحيح أن عملية الفتح العسكري مرتبطة باللاوعي الجهازي بمصطلح الفتح الجنسي، خصوصاً بالنسبة للشعوب المتوسطة القامة على مفهوم العزيم والشرق. ولكن لا ينبغي أن نحمل الأمور أكثر مما تتحمله

وإذا لم ينتفع القاري به صفة تحليلنا ما أعطى الحق طرابيشي بسبب وجود كلمة «الجسد» في النص، فأننا نسأل أين يجد الجنس في القطع التالي، يقول طرابيشي: «وفي شاهد آخر ينحى الجانب الاقتصادي من هذه الدراما الحضارية ليعبر الجانب الثاني موزعاً عنه بالحاشية والمعلومة وعلى الساحة الكويتية نحن غلبش وأقلية ومقهرون. متعلقون كما يقولون».

كتاب طرابيشي كان سيربح شيئاً كثيراً لو خسر «منهجيته الجنسية»



من منطقة طرح السؤال المائل على الذات التاريخية.

لذلك فإن ما يدعو طرايضي «بالنكوص» ويخشه ليس في الواقع نكوصاً، وإنما هو خطوة إلى الإسلام لا بد منها. انه تذكير لنا - نحن التتبعين والعالميين والرومين والقاريين على التاريخ - بان هناك مرونياً حقيقياً لا يكتفي وضعه على الرف طل مشكته، أو لا تكفي الشاحة الريحه عنه ويغن الراس في الرمال كالتعمية لكي يتقدم وجوده. انه حاضر هنا وراسح كالصخرة الصلبة، وهو يتطلب منا مواهبته ومهياً لوجه، وبكل روح الجدية والمسؤولية التاريخية. وأجب ان أشهدكم بان بكلمة لريبه ديكرات يقول فيها يا معاش. لا يمكن أن يهض البيت الجديد إلا على أنقاض البيت القديم، واستخدم بعض حجارته التي لا تزال صالحة أيضاً. وهذا ما يقوله أيضاً مؤسس «الروح العلمية الجديدة» في فرنسا غاستون باشلا من أن المعرفة الصحيحة لا يمكن أن تهبط إلا على أنقاض المعرفة الخاطئة، بمعنى آخر ينبغي تفكيك البيت القديم جداراً جداراً، وحجرة من الأساس. بعنذلك يمكننا أن نشرع باعادة البناء للتعويض الى بيت نظيف ومين، بيت منع على الهواء والنور والشمس. أما إذا بسا البيت الجديد أو استورده جاعراً والعصفاء على البيت القديم، فمن الواضح انه سيهار بعد فترة ولا يبقى آمناً إلا أنقاض البيت القديم وشروحاته وتهدماته. البيت القديم راسخ الجذور وينبغي غرسه لعمرة معه قبل التفكير بأي عملية بناء جديد، ينبغي تصفية الحسابات مع الذات التاريخية، ان بعنذلك نرى ما نرى. لكن من الواضح أن معالاً كهذا لن يتم إلا بعد غرض معرفة حافية، كليا غفث أوارها واح يشند. □



الحقيقي الذي نطقت الذات الأوروبية من ذاتها وصرخها من عندنا وأوجاعها. وهذا للمنى فمن نقول: نعم للتحليل النفسي بشرط أن يكون مطابقاً للتحليل التاريخي للذات الجاهلية المصرية - الإسلامية والعربية - المسيحية أيضاً. نعم للتحليل النفسي بشرط أن يكون غرضاً في أهداف الذات التاريخية، ونقداً تاريخياً لهذه الذات، نقداً متدرجاً يصل إلى الأحياء طبقه بعد طبقه، قشرة بعد قشرة.

نعم للتحليل النفسي بشرط مطابقتها للتحليل التاريخي

المسلات الفكرية التي ينطلق منها الأستاذ طرايضي واضحة: انها هي ذاتها التي وجهت فكر التتبعين العرب منذ عصر النهضة وحتى اليوم. وتوجد في الكتاب صفحات مشرقة وروسية جداً عن المسار الصعب الذي قطعه الفكر العربي طيلة القرن الماضي. وهو يفتي جداً للفكر الذي لقي فكر التنوير والنهضة على يد دعاة الفكر السلفي طيلة السنوات الأخيرة. وفي الصفحتين (٦٦ - ٦٧) مثلاً يقدم الكاتب إحدى التحليلات الأكثر نجاعة واتساعاً في الدفاع عن الفكر القومي العربي، ذلك الفكر المسير والمقتضى. ويود عنه تلك الحبيبات المبهمة والقاريات الحيرة لتسليط الجهد. ولكن بسبب حساسية الزائدة (أليس يستحقه) قاله لا يأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن التاريخ لا يتقدم فقط شكل خطي مستقيم كما تزعم المقاتلوية الوضعية في القرن التاسع عشر، وإنما يتقدم أيضاً بشكل حلزوني، متعرج، متعرج، متعرج.

ملفت. وكثيراً ما يعود إلى الوراء لكي يتفرج إلى الأمام. هذا المعنى فاني أختلف معه كثيراً في تقسيمه لما يحصل الآن. فهو يعتبر انفجار الكورت كارتة مصيبة، وأنا اعتبره دليل صحة وعافية. وأنتهز هذه المناسبة لكي أدين قصر نظر الكثيرين من مثقفي التتبعين الذين اعتقدوا بإمكانية إحمال «الوروث» أو للكورتة والتفزع على التاريخ عن طريق تبي أفكار الروسية والوضعية العلمي والمدرسية، الخ... نحن نقول: نعم للموروث! دعوه يتضرع، دعوه يشيع انفجاراً ويغرق في طريقه الأخضر واليابس، فيمد تلك لا قبله يمكن البدء بعملية التفكير والتغير. وبناء على ذلك فنحن نرى أن المرحلة الحالية هي مرحلة «تقديمية جداً» بالمعنى الحرفي لكلمة تقدم. أقصد انها تمرنا درجة أخرى أو مسافة أخرى

ذلك تأسيس علم النفس الاجتماعي أو الجاهلي لا القديري فقط. ولو ان الأستاذ طرايضي طيق على المثقفين العرب الذين استمرض أراهم بكل اقتدار وبقوة مفهوم الجمهور، لكأن قد نتج أكثر في رأينا. مهم ذوو عدد كبير أولاً (أي يشكلون جمهوراً بالمعنى الاصطلاحي للكلمة) وبالتالي تضيق عليهم الظواهر نفسها التي تطبق على الجاهليين بكل فعلها ورد فعلها. انهم يشتعلون ويرسون دورهم بطريقة التحريض والتملؤ أساساً. وهذا ما حصل بعد اندلاع ما يدعى «بالثورة الإسلامية». عندئذ بلغ الكثيرون منهم إلى الأبرصت المعروفة وأرواحاً يعدون بعضهم البعض بالأفكار والشاركات نفسهم، بل ويزيدون على بعضهم البعض وتشكروا لماضهم المذنب من أجل إرضاء التيار الصاعد أو لوجهة الكاشفة. وعلى الرغم من أن المثقف - بحكم تعريفه - ينبغي أن يتخذ موقفاً نقدياً من الظواهر والقصا، أو مسافة معينة من الأهرام الشعبية الجامعة والمعينة، إلا أنه سرعان ما يهض لظاهرة الجاهليين إذا ما تفلتت كاسل الجساف. فتحت السرجيل الحائل والحصيل لا يستطيع أن يتجو من عدوى المذهب الجاهلي والظاهرة الجاهليين يضاف إلى ذلك أن المثقف المسبب والتسرع إن لم أقل الانتهازي - يبيع أكثر إذا ما ركب دائماً موجة التيار الصاعد، حتى ولو اختلف هذا التيار إلى درجة التناقض من مرحلة إلى أخرى. والمثقفون الحقيقيون الذين يقفون ضد التيار وأثري الرئح قليلون في كل عصر وفي كل جيل. وعالماً ما يتكلمهم ذلك نصاً عالياً.

لكن هذا التصير على أهميته ليس كافياً. فانا مع التحليل النفسي ولكن بطريقة مختلفة تماماً عن طريقة الأستاذ طرايضي. ان المرحلة الداخلية التي عاهاها الغرب مع ذاته التاريخية قد كلفته أربعة قرون من السنين. وكيف نريد نحن أن نخوضها ونتبع فيها خلال أربعة عقود فقط؟ (أي منذ الاستقلال). هل هذا ممكن، أو معقول؟ ان التحليل النفسي الذي أجراه الغرب على ذاته التاريخية - أي المسيحية أساساً - قد اتدأ منذ لحظة لورث في القرن السادس عشر، مروراً بلحمقة التنوير في القرن الثامن عشر، وانتهاء بصهر الوضعية والعلم التاريخي في القرن التاسع عشر. هذا هو التحليل النفسي



صلاحية ارتكاب الخطيئة

نبية البرجي

لعله يعترف «لكني لم أقطع» كيم يمكن للثورة الدموية أن تنظم، حقيقة، الحقيقة أن الأوراق القديمة كانت أوراقاً جديدة، قلنا الروية، وقلنا الروية.

وقد انتابني شعور وأنا أقلب أوراقى القديمة، بأنني أقلب مجموعة من الجثث في براد بشري لتاريخي المهني. وقد ذكرني هذا، باصطلاح تستعمله الصحافة البريطانية، تعلمت أثناء عمل فيها في الستينات، اسمه The Morgue. ويقابله عندنا في الصحافة العربية اصطلاح «الأرشيف». وهذه الكلمة بالعربية تعني بالملئى القاموسى تحديداً

١ - معرض الجثث - موضع تعرض فيه الجثث المجهولة ليعترف فيها من يمه الأمر

٢ - مجموعة المراجع في دار جريدة أو مجلة

ما استمتعت ببني وبين نفسي وأنا أقارن بين التعبير الإنكليزي والتعبير العربي، لأنني وجدت نفسي أقرب إلى الاصطلاح الصحافي الإنكليزي، وشعرت بالرد

كللت أذهني تسرع أوراقى، بقدر ما أذهلي الكشاني كم كنت أعرف من أشياء كثيرة في يوم من الأيام، لم أجد أعرف شيئاً الآن أو أنني سبقتها اليوم. يتبادر إلى ذهني، وأنا في معرض جثث الصحافية الذي اسماني. أنه لا يمكن أن أكون أنا الذي اخترت الخوض في كل هذه الموضوعات، ولا بد أن الظروف ورواها التحرير الذين صممت معهم في تلك الساعات، هم الذين اختاروها لي. واتابني شعور وأنا أقلب مجموعة ضخمة من الصور في جانب القصصات (وكتبت أصور كثيراً في تلك الأيام) بأنني كخفاير القيور الذي يرجع المولى بنين ليورهم بعد سنوات وسنوات من موارثها الثرى. وشعرت بالرد من الحيد.

ولذلك أن كل هذه المواضيع قد كتبت تحت ضغط أساسي يعرف في الصحافة باسم الموعد الأخير للتسليم قبل دوران المظلمة وهناك مصطلح في الصحافة العربية أيضاً يسمى Deadline. واكتشفت أن المصطلح الشرقي متشابه مقارنة بالمصطلح العربي فالقاموس يشرح معناه: ١ - خط الموت - وهو خط ختم سجن أو حوله لا يجوز للسجاء التجاوز ولا أخلقت عليهم النار. ٢ - الموعد الأخير - آخر موعد لاتجاز عمل ما. وأعاد لي هذا الشرع التساؤل في المجازة

كان الحليب هو الحبر الأبيض، وكان الحبر هو الحليب الأزرق. وكان عليه أن يكون ابن التجربة، ما دام يصير أو هو أصغر على أن يكون ابن أبيه نجيب الرئيس. لماذا لم يهرب من المجازة بمقدد صقعة مع الحياة، قبل أن يعقد صقعة مكررة مع الحياة المصادفة؟

تستذكر أنذريه فوتين وهو يتحدث عن سنوات الحبر: والكتابة أن ترى الأشياء من قبر مرتفعه. أجل، أجل، رؤية الحياة من وراء الحياة، من فوق الحياة. هنا نقطة الفصل بين الخلفى التفتي والمخاض الإبداعي

هي السيرة تنتقل عبر خريطة شائعة إلى الورق -  - إلى المصحف في الوحدة الجديدة التي اسمكها، وأولاً لا أملكك أني أجدم حول الصحافة وأهيتها لها روحاً، ولا غريز حول كيتها والسلطة الرامية كما تعلمنا، في المدارس، مهنة عرفتها في أحسن أياها وفي أسوأ أياها. مهنة فتحت لي أبواباً كثيرة، عرفت فيها العالم، وعرفتني إلى أحسن الناس وإلى أسوأهم. مهنة أعطتني ما يمكن أن يسمى به والصفاء الشاعرة، فعلمتني وتعلمت فيها. مهنة عانيت من عذابها كثيراً، وعشت في لذاتها بقدر ما عرفت من متاعها. مهنة ما زالت أهم صنعة في الدنيا، مهما حط بها الدهر اليوم. مهنة، إذا نظرت إلى الوراء الآن، وقد تحقت جميع ملتحاتها أممي، لا أستطيع أن أقول أنني قد اختار غيرها.

نكتي، قليلاً، فلأيام وأيام عندما أسس رياض نجيب الرئيس داراً للنشر، عصا أن يكون قد وصل إلى مكان آخر، وقت آخر، شخص آخر، فالفيلة المحملة في الأكثر إغراء إيان الأبيلى مع أنه اختار شاعراً للأدب والكتب المثيرة للجدل. وبالعلم فإن لكادرا كان مثيراً للجدل، بقي خوفنا، أن أن قال: أنا عدت...

قبل أن تهت الأوان

مجموعة مقالات

رياض نجيب الرئيس

رياض الرئيس للكتب والنشر.

قبري، لندن ١٩٩١

■ هل يعطى ظهر الملح أم ظهر الروح لكي يصل (ولدا يصل؟). لا بأس عندما نستعيد عبارة سابروس سالزبرغر عندما نلحظ طويلاً، إلى الوراء. قال: «لم أجد قديمي تسديان على كتفي الشرايف، إيهما تسديان فقط هل كتي... المذاب».

حين قرأت كتاب رياض نجيب الرئيس وقبل أن تهت الأوان، كان علي أن وأشعر أنه ينظر إلى الأمام لا إلى الوراء. ليس هناك من صحافي يقول أنه يستعمل يديه، أو كلمات التبغ المائلة التي تتراكم في القلب، لصياغة التاريخ. الصحافي يقول، بكل تواضع: أنا رأيت. لا يقول أبداً: أنا عدت

مرة أخرى نعود إلى سالزبرغر: لم تكن هناك لغة مدخنة في رأسي!

هل يتدخل المغويون في كلمة «رأيت»، أم أن هذه مهنة الكهنة (حول ذلك الميكمل الفصح على الأزل) قليلاً يتدخل الأنياد، ليمزجوا بين الرؤية... الرؤية.

قبل أن يعيد رياض نجيب الرئيس نشر مقالاته - هذه المرة كوثيقة رئيسية - كنت قد قرأتها كلها. وكان هناك خلط مثير بين وبين لسان يحمل الاسم نفسه، فكان له الواحد من أن يفصل لدى الآخرين بين رياض ورياض الآخر. رياض الذي بدأ في دمشق. ولعله صاع كثيراً بين ثرثرة المحاضرة وثرثرة القصر. إذ قرأ نزار قباني هذا فاستعزى: ولماذا أغفلت ثرثرة الكاسمين...

هذه كانت اللوقت الذي خارج الوقت، فالكتابت ولد في جريدة والقبس والدمشقية.

«عندما تزوج
داحس
بالغبراء»
أنجبا
الموقف
العربي
المشترك

التي يتعرض لها الصحافي الذي يريد أن ينشئ ماضيه، شجرت بشعريرة في داخله وأثا أثقت بين ومعرض الحشدة ووحط الموت، وتذكرت حاضراً ما حدثنا منه صحافي بريطاني عظيم، حاضراً فيها في مؤسسة طومسون في مدينة كازديف في مقاطعة ويلز في بريطانيا قبل ثلاثين سنة، كيف أن الصحافة قد لا تجعل الطامع فيها عباً، ولكنها من المآخذ تجعل حياته معاصرة حطيرة.

هو يشعر هكذا، ونحن نشعر بالشيء المختلف. رياض الرئيس نيش جشتا لم تكن أوراقه، ونحن نعيد قراءتها أوراقاً باردة، لم تكن استعسلاً بالخسار، كما يكتب البعض مدكراتهم باستعادة الأوراق، والدليل أن جشتا الساعنة ظهرت سريعاً على السطح، عندما خرجت مغالطة، كان قد مضى على خروجنا من التاريخ وقت طويل نذكر بقعة بعضاً من مقالاته التي كانت الموقف الذي يعني أن مقفه، نذكر بعضها الآخر الذي كنا نقرأ فيه ما سيحدث، متنا كانت الصحراء مليئة بالعرابين الذين كانوا يقومون بإدارة البيت بإيديهم الغرائبية ويوجههم الغرائبية. لا، لا، لم تكن المسألة دحولا في العيب، كانت قراءة جملدية للتشاورات، لقد سقطت الشيوعية كسقطرة، لكنها لم تسقط كسقطرة.

أعبراً، بتقياً سيزيف الصخرة. هل هذا ما حدث فعلاً، دائماً نحن بحاجة إلى ذلك الشيء الذي يطمحنا، يطمحنا المغيوبة منها. نقول لرياض نجب الرئيس بصراحة: أسفون، لم نعد نصلح إلا لتكون أوعية العذاب.

لماذا إذاً حملت النار من جديد، أنت عوليس يسكنك الملح الأبدى، أم سيزيف الذي تلاحقه الصخرة إلى الأبد. نيم تسوية في زمس التسويات. نعتز أيضاً بأن التواطؤ مع العذاب أقصى ما نستطيع أن نفعله. لم تكن لزمتك أنت، وأنت تشعير الأوراق من الحزارة كما لو أنك تشعيرها من المستقبل أرمت نحن، وبذلك لك أننا نسقي هكذا أوراقاً هامدة ماذا تعمل كبتكك إذا؟ أسأل الصخرة.

ولم تكن بيروت انقطاعاً كانت الحربة تنعم مع كاسافي في انيا ووسادة الألهة: وودسم جشت ليسان لم تكن هاروباً من اضطرهاد. ولم تكن لاجئاً سياسياً. ولم تكن أبحث من عمل، كنت صاحب مهنة لم يكن

مسوحاً بمارستها إلا في لبنان. وكاد لبنان يمتز في ذلك الزمان بأنه أنسى البلد الوحيد في الوطن العربي القادر على احصان صحافة حرة. لم يكن هناك خداع نظر. كانت التقاليد الصومالية اللبنانية في حجة استمراراً للصحافة العربية التي نشأت في مصر وسورية وفلسطين منذ بداية هذا القرن. كانت الأرض لصحافية حرة ومؤهلة للفرس الفكري

سعيد فرجة وجورج نقاش وضان تومس كانوا امتداداً لرأياً علمي الصحافي الذي بدأ في دمشق وانتهى في بيروت. لذلك لم يكن عربياً ولا مسيحياً أن يعمل واحد مثلي عند ومع هؤلاء في البلد الذي تربيت وترعرعت وتعلمت وصاقت وأحييت فيه، وقبلت في هذه المهنة دون السؤال من جنسي لأني كنت امتداداً لتلك التقليد وتلك التراث، وكانت الصحافة اللبنانية تضم في مطلع الستينات عدداً لا بأس به من السوريين والفلسطينيين العاملين فيها، وكان ذلك أمراً طبيعياً. وكنت من بين الفلسطينيين من غير اللبنانيين الذين غطوا في الصحافة اللبنانية ولم يتبنوا بانفسية

كلام رياض نجب الرئيس يترك مكثراً لاجلاً للأشخاص الشخصية لا يفسر بان نستعين بأجزاء من أبحاثهم. فربما من الصالح أن تكون مقالاً وأن تفتي ضد التاريخ. في قريتي وهل التبري؟ كنا نعتقد أن الشارح يوجد في دمشق. هناك صلاح الدين الأيوبي، وعيسى الدين بن عربي، والجامع الأموي. وكان الغلط كما لو أنه التاريخ يتدل منه الجبار والناس، وأحلبنا إلى محلة الحجاز ونزول في سوق الحميدية، القسمة بشرية، أوابن نصليسية، مليحة بالابسهار. وصل جدران بيروتنا، كانت الجغرافيا تتبدل بستان الفصح، وكان التاريخ يتصل بصورة حسي الزعيم وأدب الشيشكل وسلي الحناوي وفوري سار. كل انقلاب يحدث كما لو أنه في بيتنا، نزع صورة ونعلق صورة أخرى. ربما كان الأصل موجوداً في منظر هذا الرجل أو في الأوسمة التي علفت على صدره كما لو أنه عدل لنور من حطير، هذا

قبل أن نكتشف أن الطمحين، لا حطير، أضحي وهاتنا الأيديولوجي قال لنا خالد بكنداش: مسوف تأكلون الطحين المطرز بالذهب، وكان هو كل الشيوعية أو لم تكن قط قد سمعنا لا بتقولا شراوي، ولا بارتين

مادونا، ولا بمصطفى العريس ولا بحسن مروة ولا حتى بكارل ماركس.

كنا تزور منزل صلاح الدين وقبر. حالد بكنداش! رياض نجب الرئيس اكتشف بيروت قبلنا بكثير. ولولا صحف بيروت لوجدنا من زمان في... زيمبابوي.

لؤل راتب له كان من مجلة والصيداء في غوز عام ١٩٦١، وكان مضداره ٣٠٠ ليرة لبنانية. وهكذا بدأت احترافي المهني، وعصمت نياراً محرراً للشؤون العربية في «الصيداء»، وليلاً محرراً للشؤون الدولية في جريدة «الأنسوار» التي جانب الاشراف على صحتها الصحفية.

في بيروت، لا بد أن تكون عربياً في النهار، ودولياً في الليل. ولم يكن أكرم اخوراني بحاجة إلى الكثير من المال كي يرسم الانقلابات والأفغانين وراء رجاء والدولتي فيناه. كان يقول أن انقلاباً يحصل يحصل في انقلاب: يطير إلى دمشق فيطير في دمشق.

انقلاب الدولتي ميت كان يقبل سريعاً إلى جسيم داني.

من «الصيداء»، ومع هشام أبو ظهر إلى والحرة في ١٨ حزيران عام ١٩٦٦. وكانت هذه أول جريدة عربية مقبلين فيها والصدائي تاملر في الأوزر، في أجرة جريدة هذه أجزاء، واحد للسياحة والأخبار، وأخر للثقافة ولتنووعات، وكان هشام رئيس تحريرها، وكنت أنا مدير التحرير، وظهر اسمي للمرة الأولى بمصعب عني في «تروسة» الحريدة.

والحرة أصبحت له وأول فرصة لتغطية حدث صحافي من موقعه، وكانت ثورة ٨ آذار عام ١٩٦٣، وسقوط الانفصال في سورية، هي المهمة الأولى تبعت ذلك المهمة الأشق والأخطر، وهي تغطية اضطرابات الأردن اثر سقوط حكومة سمير الرفاعي وانزال الجيش إلى عوارق القدس ورحان بعد إعلان ميثاق ١٧ نيسان عام ١٩٦٣ للوحدة الثلاثية بين مصر وسورية والعراق. وكانت الزيارة الأولى والأخيرة إلى القدس. وأفرقت والحرة بين الصحف العربية كلها بوجود مراسل لها داخل الأردن وتقاير مطولة عن وقائع تلك الأيام الثرية. كان ذلك أول احتكاك مباشر لي مع الحظر الذي يواجه الصحافي وهو يجوز أن يكتب من قلب الأحداث، وأول تجربة

حين خرجت مقالات الكتاب، كان وقت طويل مضى على خروجنا من التاريخ



كونه صاحب أسلوب متميز في الانتاجية السياسية، إلا أن أهم جانب صحافي فيه والذي بنى عليه نجاحه والبراز في عصره الذهبي بين عامي ١٩٦١ و١٩٧٧ هو، في رأي قدرته على قيادة فريق صحافي من مختلف المواقف والزوايا والأفكار ليكتب خدمة جريدته وهو قطعاً أرفع «مستور» صحافي حرفته، ومن المؤسف أنه لم لصحافة وهام بالسياسة فحصرته الصحافة ولم ترسخه السياسة.

في «النهار» لازم رياض نجيب الريس التغيرات الدولية. جال في مناطق الاضطراب في العالم العربي والعالم وكان أول صحافي عربي يحصل على برآءة بصد الغزو السوفياتي لتشيكوسلوفاكيا في آب ١٩٦٨ في عام ١٩٧٧ أصدر صحيفة «النهار» في لندن، ثم فصل قلقها «بشر» وكان قبل ذلك قد أصدر مطبوعة أسبوعية بالانكليزية باسم *Arabic And the Gulf* المتخصصة في شؤون الخليج والجزيرة العربية ليتنق بعد ذلك إلى مجلة «المستقبل».

والذي بدأ حياته الكاتبة شاعراً استقر في النافذة، ولي دار نشر تنمى بإبداع الكاتب وحرية الكتاب معاً.

وكانت كلمة السحر هي... الحرية وفكرة إصدار النافذة كانت جزءاً من هواجس الثقافة التي كانت وما تزال تعيش في داخله.

وكانت مكتبة «الكشكول» ثم المهرجانات فإلجوالز: رجل الصحافة أصبح رجل أعمال!؟

نعم أن الكلمة هي ثروته الوحيدة. لولا ذلك ما كان ذلك المذاب في وضع المذلات مرة أخرى. أجل، إنها وضعت مرة أخرى

وصلاً بعد ذلك عندما تكون داخل هذه المراهب الخشبية؟

في ٢٦ كانون الأول ١٩٨١، بحث رياض نجيب الريس برسالة «الوطني الفلسطيني عيسى ابن مريم». لو كتبها الآن لربما يمت بها إلى الله، وهو يرى ما يفعل العرب بالعرب. في مدريد كانت حرب الغرور، وفي واشنطن كانت حرب التوسعة:

وليتك استطعت، يا سيدي صاحب العيد، أن تسترجع في ذاكرتك أحداث

«وتفتح في كامل مروءة أيضاً فرصة مادية في صحافة تلك الأيام، وهي فكرة الصحافي - المراسل المتجول - أي تنظية الحدث من موقعه، لا من وراء الطاولة ولا عبر مشرات وكالات الأنباء. وكانت الحرب البعثية (١٩٦٥) في ليبيا، فأرسلني إلى فينظام، وكنت فعلاً أول صحافي عربي ذهب إلى فينظام لتنظية وقائعها يومياً كأي مراسل حربي».

في جريدة «النهار»: «عملت عشر سنوات كاملة. وكنت أعرف غسان تويني أيضاً عن طريق صداقة والده لوالدي. وكانت هناك صداقة تاريخية معروفة جمعت «نهار» جبران ونوني وقيس، نجيب الريس في الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن. وكان جيله أقرب إلى جبل من سبيل فرجة وجورج نقاش وكامل مروءة. وأفكاره أول لقاء معه كان عام ١٩٥٥. وكان هو في أربع شبابه الصحافي والسياسي. كنت تلميذاً في مدرسة صرمان العالية، و«نهار» في تلك الفترة كان في بيروت معجباً كثيراً به، فقدرته على اللقاء بحاضرة في المدرسة عن «الوطني» فكان فؤاد سليمان كاتباً وشاعراً ليلاً يكتب في «النهار» وكنت من أنصار كتاباته. لذلك لم يكن مستغرباً أن يعرض علي غسان تويني الالتحاق به «النهار» بعد وفاة كامل مروءة.

وكانت قد تكونت في سمعة مهنية معقولة في «الحياة». وكان غسان تويني يريد أن يتزعم دور «الحياة» العربي في الصحافة اللبنانية. وقد كانت «النهار» في ذلك الوقت حريصة لئلا ينسحب صرف، فأراد عرواً عربياً غير لبناني وصحافياً ذا ثقافة انكليزية مقابل معظم عروى «النهار» اللبنانيين ذوي الثقافة الفرنسية، وكانت هذه المواصفات تنطبق علي. وسيلطيم، فإن غسان تويني كان شخصية تختلف كلياً عن كامل مروءة لأنه أساسياً في السياسة اللبنانية، وكانت اهتماماته العربية ضيقة ومحدودة، وبصرفه بالعالم العربي مثيلة، بعكس كامل مروءة، إلا أنه كان رجلاً مثقفاً وفارذاً جيداً صاحب عقل مستنير وحاسة صحافية ناعمة. يطرب للأفكار الجديدة والحديثة ويتقبل النقد براحبة صدر واسعة، ويصم بلغة الصحافة. إلى جانب

كلام رياض نجيب الريس يترك مكاناً لاتنائياً للأحاسيس الشخصية

حقيقية في كمراسل متجولة. من معمودية النار إلى انكسار في مطلع عام ١٩٦٤: «في كارييف عملت في جريدة «الوسترن ميل» المسائية التي يملكها طومسون لمدة ثلاثة أشهر، إلى جانب المحاضرات والاختصاصات العملية التي كانت تصاحبها المؤسسة، وبعدما عدت إلى لندن حيث عملت لمدة شهر واحد في «الدليل» مروراً ونشر بعدها في «الصداء» تايمز. وعدت في صيف عام ١٩٦٤ إلى بيروت. تستشهد ثانية بكافالي: «المدينة التي نجها هي... مصطف الرمح». أصبحت بيروت معطف الروح».

ها تبدأ لثلاثية رياض نجيب الريس داخل الثلث قرن:

في جريدة «الجريدة»: «عملت لبضعة أشهر عرواً للشؤون العربية والثقافية... كان يصدرها جورج نقاش، صاحب جريدة «الأوربان». وكان يرأس تحريرها باسم الجسر. وكان جورج نقاش خصم والذي السياسي والصحافي أيام الانتداب الفرنسي، إنها كان يلقه وزبيل، وكانت الحصة في ذلك العصر حصومات حضارية، فحرب بي جورج نقاش، وكنت المصري - الأنكلو سكسوبي الوحيد في مؤسسة لبنانية مركزية. وقبعت في الجريدة حتى نهاية عام ١٩٦٤».

ملاحظة حاصلة لرياض نجيب الريس: لم تكن حرب اللحم قد اندلعت بين العرب، اللحم تأكل اللحم. وعندما تروح داحس والغبراء أتجيا... الموقف العربي المشترك في جريدة «الحياة»: «عملت مع كامل مروءة قرابة الستين، وكان له فضل أساسي في تكوين شخصتي».

وعلمي كامل مروءة معنى حرية السراي، وإنه من الممكن في الصحافة الواحدة، مهما كان اتجاهها السياسي، أن تجد مجالاً لحرية التعبير بين عروبنا. صحيح أننا كنا نأخذ بعين الاعتبار الخط العام للمجربة لكن، والشهادة اليوم للتاريخ، كان هذا الرجل - وقد أصبح في رحاب الله - يناقشني في اللقاء بعد صدوره وليس قبله...».

القب وتناظر الأروقة. ولا غالب إلا الله. ولا غالب إلا الله. شعار بني الأحمر متقوس في كل زاوية ويمكن. لعله يكون غشناً بين شأبا هذا التنطيرز الحجري. قيل لي: قد يكون في غرفة تومة يتلصص على الحريم في الحياصات فيربي بتفاحة للمرأة التي تعجبه فتأتيه إلى مخدعه. بل تصحب أحدهم بأنه قد يكون غشناً في برج الحمراء حيث استقبلت الملكة إيزابيلا، قاهرة العرب في إسبانيا، كريستوف كولومبوس وألذت له بالانحصار لاكتشاف أمريكا. وتصورت لو أن ملكة قربية كانت هناك لتأخذ لحاحاً كان ماجد في ريتارد الغضاء

رياض نجيب الرئيس قال لسا. ارتكبوا خطيتكم... أن تكونوا عرماً!

نحن الحطام الساعن، البارد كثيراً، اكتشفنا أننا لا نزال نستطيع أن نرتكب الخطية

لم أفهم من كتاب رياض نجيب الرئيس سوى أنه أعطاني صلاحية ارتكاب الخطية!

ثم وضعت الكتاب بين أولادي: يوم كانت عطلتنا... سمواً. □

لولا صحف بيروت لكتنا من زمان في زيبابوي!

لهم الأصيركيين، من اغتاشستان إلى تشيكوسلوفاكيا، من صموح يودا إلى أسد يهود، من الحماصة الصغيرة (لال يهلور شاستري) إلى التلطب المجوز (جسورج ياباندريو)، من عبدالله السلال إلى كلب كاتاميرال.

وقررت، أنا العربي المشرق القادم من أمثال التاريخ الأموي إلى بقايا أجداد العرب في الأندلس، أن أكتب على شخص التاريخ بياني، ولم يكن لي سوى هاجس واحد في غرناطة: أن أجد.

سالت عنه في كل مكان. بدأت بحثي عنه في قصره، في الحمراء، في ساحة الأسود، وفي ساحة الريحان. في قاعة السفراء وقاعة الملوك، في باب الشريعة وفي رواق البركة. سالت عنه جباراً وسكنت عنه ليلاً، إذ قيل لي أنه قد يكون بين المسلمين الذين بنوا هذا القصر العربي العظيم - كما تقول الأسطورة - في الليل وصل ضوء المشاعل، فأعطى لحيها لمحرر اللون الأحمر للقصر فاصبح الحمراء. لكن القصر كان بلون حماسه غباراً ولبلاً وسكانه من ملوك بني الأحمر دائماً

يبحث عنه في غوش خمر... ويسمعه

العرب في الأندلس، ذلك الحلم التاريخي الذي مضى، وكيف شعر أهل الشام بالسيف في وجه أهل المغرب. وكيف تقاتل العرب مع البربر، وكيف تذابحت القسيه مع البنية. وكيف بدأت حروب الطوائف، وإلى أي شيء انتهت. كل هذا، والفرسجة يرحسون، والفرجة ينتصرون، إلى أن ضاعت الأندلس.

كل هذا، والفرجة يرحفون إلى أن ضاع القرن الحادي والعشرون يمدونا بمقعد زيجي في القرن الثاني والعشرين

يا رياض نجيب الرئيس. قال لي صابط اساني عجوز في آخر آخر الليل في مدريد، كما لو أنه آخر آخر العرب: داولا ابرايلا

لويح يويدي حديفة على الأندلس. كان اليهود قد تسللوا في حواشي التبد، ونحت الفستاجين، إلى البلاط الذي راح يتحول، تدريجياً، إلى مستودع للتأوهات، فز أن يصبح مستودعاً للتأوهات الأخرى.

ما فقتناه في الأندلس هو أننا خلعتنا صانينا ورحلنا...

للقالات - الموقف (وهي المقالات - الرؤى والسرديات) التي هي أشغفني ثانية في كتاب

رياض نجيب الرئيس: وأن ما يعني الضماني ليس التذاكر المعلقة ولا الدورات التدريبية ولا المدهورات السياسية، الذي يعني شيء أبسط بكثير: كرامته المهنية ومصداقيته

الشخصية وحرية الترقية فقط أحد الأذى من كل هذه الأشياء، ما أكثر تواضعنا وما أرفع مطالبنا! وصل الرغم من كل هذا

الفسوق يا سادة يا صحافيين، فما زلنا نحيف، وألا ما الحماصة إلى والأمن

الإعلامي؟ صبح ان الصين لا تقاوم المخزر. لكن كرامة الكلمة المطلوبة قد

تساعد على رفض «أفصاح الدجاج» ووحدة الكلمة وكرامتها المهنية غير من جليس

السوء.

وكتنا قد أخذتنا على في المدارس أن هولاء

كان رجلاً وحيد القرن. بعدما قرأنا رياض نجيب الرئيس، هل يبق لنا القول، ونحن

الذين نشاهد الذين فريقتا - كلهم فريقتا - أن هولاء كان بحاجة، ثم راح يبيضا الواحد

تلو الآخر!

لا، لا أقول أن هولاء ذهب ضحية العرب...

الكتاب جال بنا من أيام السورين إلى

سلسلة «كتاب الناقد»



عودة الاستعمار

من الغزو الثقافي إلى حرب الخليج



رياض حبيب الرئيس - عبد الرحمن ميف - فاضل المراري - كمال أونيس - جورج طرابياشي - أنسي الحاج - عماد رافعة - صري حافظ - عالي شكري - عريب المنظمة - سمح القاسم - شوقي بفسلاني - عماد الأسعد

الاستعمار المقيم والنظام العالمي

عصالح مهدي

القائمة منذ أواسط السبعينات وحتى الآن في
مدينتيه عراب وحجرية في الحرس وفيه في
والظفران، في السعودية، لا القليل من كثير
إن أحداث العشرين عامًا الأخيرة (بدءاً
من إعلان مبدأ نيكسون^(١) مردوداً بالتوراة
الإسرائيلية والشر العراقية - الإيرانية ونها
الحرب الخليج الأخيرة) لغية بالادلة والبراهين
تجرب على تداعٍ مجالاً للشك بأن الاستثمار
يعمل على تخليج بالرغم من مرور ١٩٨ عاماً
على بدء ضلوه إليه. إن أحد إفرازات حرب
الخليج تأكيدهم للاطمئنان للناس العابدين
- وليس لتقريبهم - لأهم الأسباب «الاستغلال»
والغشوة والتزييت: وهما «الخرافة» !!!

يعد هذا الكتاب في الصفحة ١١ بأنه
 «يسلط ضوء الفكر على ما حدث في الخليج
 وما حدث في العالم حشياً وإبان وقعة الحرب
 المدمرة حاصرة الصحراء والسؤل الذي
 يطرحه الباحث: هل هناك علاقة بين الحدثين
 أم لا؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هي مديات
 تلك العلاقة؟ إن عدم ذلك على نحو
 كاف في الكتاب يعطيها الدعوة إلى ضرورة
 التمييز بين المعجم الثنائية

- ١ - قصة الكويت
- ٢ - النظام العالمي
- ٣ - أزمة الخليج
- ٤ - حرب الخليج.

فإذا كانت العلاقة بين البصرة والكويت تنسب - حتى الآن - بحصول أربع ازديادات مختلفة الحلة - وفقت بريطانيا طرفاً في جميعها، عام ١٩٠٠ ضد الدولة العثمانية، ١٩٣٩، ١٩٦١، ١٩٩٠ مع العراق - حتى لو كان ذلك، نتحدث عن قضية اسمها وقضية الكويت، يبلغ همها الرسمي اثنين وتسعين عاماً. أما النظام العالمي - وهو البعد السياسي لوزير القوي في العالم العربي - لا يشترط أن يكون الثغرة ولا تحالفاً دائماً، تنفسه هنا إلى (أسبق وسابق وجديد) والأسبق من حال، ولا شك، دون احتلال بريطانيا للكويت عسكرياً رغم عملها بأن الدولة العثمانية كانت أكثر من رطل عريض، والسابق مع الجيش الكويتي الرطلية المقدمة لمجلس الأمن الدولي في ٣ تموز ١٩٦١ ضد العراق (وتهدده استغلال الكويت) ويذكر العراق من تقديم العراق ضد بريطانيا (لتهددها استغلال الشراكى وأمنه) وأننى المشايدات (النظام الملل) داخل المجلس، لذلك دون

المحلول عليها هناك ورق مرسوم أكثر إفراء
الحكام وكسبوا تشجيع بالامهر في البناية .
وإذا فقتنا صوب الساحل العربي للبحر ،
فإنه وإن تم إلغاء احتياطات الحماية البريطانية
في ١٩٦١ ، ١٩٦١ ، بناء على طلب بريطانيا
فسها - فقد أبطلتها الأخيرة وفي الوقت نفسه
الاحتياطات - ولا تقل الاحتياطات - وصاعدات
وتشاور عند الحاجة - وتعاون تجاري
وتعليمي ، وتقاليد لمدة ١٠ سنوات قابلة
للتعديل . وعلى هذه الفرص قد تبدو أكثر
من تلك لإطلاق الدولة إلى ألبا في الخليج لم تكن
لذلك إطلاقاً . وهو ما يشهد على (وفي الواقع)
حيث مكنت الطرف العربي (بريطانيا) من
عرض أراضيه السيادية - والتشاور في البناية
تسخر سياسات المنطقة لحكمة أهداف
وإصلاح الغرب حسب الظروف والاحتياجات)
وقراراته الاقتصادية (سياسة الاسراع
الاقتصادي للمعز ونبه الخط بأرض من
أكبر كمية مكنته) وطرحاته التفاضلية (وقبول
وتظيم عملية الغزو التفاضلية لكثافة الروح
البرية والعربية والعقل العربي الطامع
بالحراكات السياسية الخاصة) .

وغني عن القول ان (البص) لا زال
يطلب من بريطانيا تجديد اتفاقية المساعدات
بالتسهيلات العسكرية، كلما شعر بقرب
انتهائها أجلها بالرغم من مرور ثلاثة وثلاثين
سأاً على توقيعها.

إن إعلان بريطانيا في كانون الثاني ١٩٦٨
أمر عن نيتها للاستحباب من الخليج والماء
مصادرات الحليّة مع نهاية ١٩٧١، كان
مثابة خدعة كبرى - ليست الأولى ولن تكون
أخيرة - هدفها فتح الباب الخليجي على
مراحله أمام الولايات المتحدة، لتتدخل طويلاً
موضاً على سواحل الخليج ومياهه
مصحرائه. وما القواعد العسكرية الأمريكية

عودة الاستعمار

مواقف من حرب الخليج

مجموعۃ مؤلفین

رياض الرقص للكتب والنشر.

قبرص، لندن ۱۹۹۱

■ رغم أن مولد هذا الكتاب نشرت في السنفة خلال أنة الحليخ الأعرية أو تبتد بدء العمليات العسكرية، إلا أنها تلك، ولا شك، عسراً أطول ونفساً أصعب، حيث عاجلت تضامياً فكرة وسياسية وإستراتيجية وفق رؤيا وطنية - عربية معارضة للتواجد الأجنبي في البلاد العربية تحت أي حجة كانت، ورافضة في الوقت نفسه لمبدأ الضم والأحقاق بالقوة، على الطريقة العنصرية المعروفة مهما كانت ذرائعها. والتكديس الحرب بسجاعة هذا النحى في مرحلة ما بعد حرب الخليج لرواية الغزو الثقافي الجديد، حيث انتشرت ظاهرت الكتب والأسرائيلية المخرجة التي وصلتنا بنسى أدوي حناً أو أميركي إسرائيلي غربي، وهي مقفمة بروح التبرير والضرور والعطسة والاستغفال إلى بلغ حد الحافة والألحالالية المجدلة لشخصيات لا تعنيا، ولتنبئة عسكرية خلقت أحدث كائنة حقيقة حدث العرب. كما إنه يتعن علانية للأشادة بالدولة أو والتغير المسومة بموجب بين سطور الكتاب.

لَوْ قَبِرْنَا لَنَا نَحْنُ عَرَاتُهَا هَذَا الْكِتَابِ
لَكَانَ غَيْرَ وَصُودَةِ الْإِسْتَعَارِ حَتَّى لَأَنَّ الْإِسْتَعَارِ
لَمْ يَحْضُرْ أَصْلًا حَتَّى نَحْضُرَ مِنْ عَوْدَتِهِ، وَمَا
حَدَّثَ لَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ تَبَادُلِ صَبِيحِ صَوَارِقِ
وَمُشَارَكَةِ نَفْوَ. فَمِيسَاةُ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ^(١) الَّتِي
وَقَعَتْهَا الْوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ بِوَجْهِهِ بَرِيطَانِيَا عَالَمِ
الْعِزَّةِ مَا يَرَى الْخَرِيبَيْنِ الْعَالَتَيْنِ، مَكْنَتُ الْأَوَّلَى
مِنْ زَاوِيَةِ الشَّامِيَّةِ عَنْ أَرْضِ نَجْدٍ وَالْحِجَازِ
وَعَسَى (السَّعُودِيَّةِ) لِلنَّافِضَةِ لَمْ يَحِظْ بِهَا هَذَا

في الكتاب
رؤية معارضة
للتواجد
الأجنبي
تحت أية
حجة

هناك، ولا شك، خط عام للكتاب يوزي إلى صلة بين المواضيع ولكننا لا نجد في الواقع دراسة ذات منهجية علمية محددة (Academic) متكاملة للمباحث والنشأ منج الكتاب شخصيته. ففوليس بحثاً في حرب الخليج أو مشكلة الاستعمار ولا في قضية الكويت بل جمع في مافته بين ذكريات صحافي وتأملات مفكر وروزي شاعر وقرارات حاكم ونشأة قصاص وهم سياسي، بما ذكرنا بسطلة ثقافية اعتقدنا أنها انتهت.

من ناحية الشكل احتوى الكتاب على مجموعة من المقالات اللاتينية الأصل كتبت كما هي مثل، السوتونييا (ص ١١)، والايكولوجيا، التوتاليا (ص ١٨٥) .. الخ.

وحيداً أو سجل الكتاب إضافة - هي تحصيل حاصل - للثقافة العربية وذلك برمي صناعته في بحر اللغة العربية. ومع قليل من الصبر كان سيصطاد حتى المقرة أو المقوم العربي للمصطلح أو الكلمة الأجنبية، ثم يكتبه تباعاً بحرفه ولغته الأصلية، بدل هذه الفزينة التي تلافتها في الكتاب في حرب الخليج مدارس الغرب فتعانهه بشأن العرب - باستثناء شريحة شعية يسارية، انسانية - القائمة على أساس المصالح، أما البائد، التي يتحدث عنها الكتاب (ص ١٥٩) - ص ١٦٩) فيجب أن تطبق على الطريقة السعودية، الاستعمار بينما زمن طويل. □

الحرفية - الأبرية التي أكلت الاقتصاد العراقي ودمرت العلاقات العراقية - الخليجية إضافة إلى التراث السياسي العربي المسم الاستبداد وغياب الشورى، (Democra- (تقاً وحضور الشيعة واتحاد الثقة ونشأ الموقف على أساس ردود الأفعال ثم تعريف الغرب للثأ (لطبعة الخطر الجديد) الذي يهدد مصالحه في الخليج - ققرر تدميره سياسياً واقتصادياً وعسكرياً لا ثبات الوجدانية في النظام العالمي الجديد.

كل ذلك جعل حرب الخليج مولوداً غير شرعي ومخصوصاً لأزمة الخليج، تتحمل مسؤوليت بالشارك الأنظمة العربية كافة وفي مقدمتها نظام بغداد والغرب يتجنابه الأوربي والأمريكي.

إذا نقلنا معادل الأزياب^{١٧} من علم الاقتصاد إلى علم السياسة - حيث يمكن أن نتردد الأرقام بلخمس التي على التحليل - فلتنا نجد أن للعالم المذكورة بين النظام العالمي الجديد وبين كل من

أ. الغرب، عن الاشتراك كطرفه حياة

وبعد حكم ونذكر، ملغ قلعة أي ١

ب. رمه خيل، حذ وثما - صد

ج. حرب الخليج، كة حذقت - ١٩

فهاذا، إذ قلعة قوب في حرب الخليج وبين أحداث أوروبا الشرقية والاتحاد لسوفيائي السابق، باعتارها يصبان ممأ في مجرى جهود الغرب لايجاد ما يسميه بالنظام العالمي الجديد.

يجلجول الكتاب - لسبب أو لآخر في العديد من صحفاته (ص ١١٥ ص ١٦٩ ..

(الخ) - السريط بين الأصولية الإسلامية والأنظمة العربية المحافظة. والحقيقة إننا لو استعرضنا في الذهن المبادئ الأساسية لأصولية، فإن العلاقة بين الاثنين يجب أن تكون غاية في السوء، فخلاصين سجنهم (الشرعي) الوضع للأذى اللأحق بالإسلام والمسلمين من جراء عولسات الأنظمة ومنها حقوق الإنسان المسلم وغياب الشورى وحياة البلخ والنزير والديمقراطية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتشير تجارب بعض الاسلاميين مع المحافظين العرب إلى أنهم اكتشفوا أن العلاقة بهم قشرية وسطحية تهشم عند أقل اعتراض ويمكن القول أن أحد نتائج حرب الخليج هو القضاء على هذا التنوع من الاتصالات على المستوى العربي.

تج مشروع قرار رسمي لأن الاجتماع انعقد في حل الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيائي ولسلايات المتحدة، فالغرب والسلايات المتحدة وحلفاؤهما، دعوا الموقف البريطاني فيه داعع الاتحاد السوفيائي ويدل المجموعه لاشتراكية وأصدقاؤهم عن الموقف العربي وسبب خروج أعضاء مجلس الأمن خالي الموضوع هو الاعلان السوفيائي بإمكانية استعمال حق النقض الـ Veto، إذا ما حاول المجلس اتخاذ قرار ما ضد العراق، وبأسلوبية السوية الزامة لقضية الكويت (أزمة الخليج الأخيرة) تكمن في تجاوزها لبدا المطالبات السياسية والمساوية للقرترة عادة بالوثائق السابقة. ونحلي الأخيرة لظهور الأزمة للعروسة من جدل إلى إعلام وسناقشت ورسائات ومواقف، ودخولها مباشرة في دهاليز البوابا المينة، وعندها التصعيد التدريجي في لحدة، عبر إثارة نقاشات بوجه الحفص. ثم وضعها العالم أمام الأمر الواقع في ٢ آب ١٩٩٠ حصل ذلك في أربع عملية (التشريح) بالنظام العالمي الجديد، وانغرد الولايات المتحدة بقيادة العالم، وست الخليج، حيث باتت الذي يمثل ٢٠٪ من احتياجه العالمي بيد العراق حيداً.

فأمة الخليج الأخيرة - بعد ذاتها ومع غياب الضوابط السياسية والاستراتيجية التي تحول دون اندلاعها - يمكن أن تحدث مع أو بدون النظام العالمي الجديد - ولكن لا تشعرت الأزمة في ظل النظام الدولي السابق، لكان باستطاعة القيادة السوفياتية السابقة إيجاب العراق على الانسحاب من الكويت، بتحكم أرواق ضغط عديدة تلكها واستطيع استبعادها مع الحكومة العراقية، يضاف إلى ذلك القفل السياسي السابق للاتحاد السوفيائي، وامكاناتيه العسكرية المائلة الكفيلان برتيد الموقف الأمريكي وجعله أكثر عقلاية وأقل حدة. لتأ الأمر المؤكد - استناداً إلى المعادلات المبررة بين قطبي النظام العالمي السابق - هو تعذر إمكانية اندلاع حرب عالمية من أجل المطالب العراقية في الكويت.

أما وإن ذلك لم يحدث واستمرت عملية تفكيك الاتحاد السوفيائي ووقف هذا الأخير موقف الداعم للإجراءات الأمريكية، إضافة إلى ما ألقص بأمره الخليج الأخيرة من عوامل مثل قضية توريع الشرة ومشاكل الصراع العربي - الإسرائيلي ومشلخ الحروب



وراثه لا تنتهي

صالح القاسم

ما يحدث في الواقع من الحزب يحدث معه ما يحدث مع العرب: والوراثة بملء حربي واقتداري ورفض واستباري هكذا يصل إلى النتيجة التي يرتاح اليها (ص ٥٦)

إن الاعتراف عند فايز يبدأ من حواء وقبيل وينتهي بالإنسان الموجود في قصة قابيل والنقص الأخرى، كأنه يريد أن يقول - الاعتراف ورثه الإنسان عن قابيل أو - الاعتراف مسألة وراثية لا تنتهي. والشوق الذي لا ينتهي (ص ١٤٥) فقابيل يدرك الواقع القروض عليه، وعليه أن يضحى، فلتعثر الضحية بأنفسها هابل ودهابل هناك على رأس الجبل ذاك، طاووس أن يعرض نفسه قرباناً للزوب غني (ص ٢٤)

لكن (قابيل) لا يتنجو من الموت، وهذا الموت يقابله موت (غريغور) في رواية المسح لكافكا. وهو من وجهة نظر فايز عمود موت الجميع لتنتج خروجهم الثلاثة عذشين طوفاناً، آتياً ومن ليج الفرس ومن حاة الطين والحلابة (ص ٣٧) ويحتل الموت بالحياة والحياة بالموت بتعقيد أشد يتمسكون به. واحد منهم وآخرهم والجميع (ص ٣٨) وهذا يؤكد موت «عربي» في قصة النهاية أو انتصاره بشكل آخر. وفؤاد الذي اختار الحياة يعرف ويحيى أنه سيأتي «الشوق الذي لا ينتهي» (ص ١٤٥) فصوره «الشوق الذي لا ينتهي» لا تختلف كثيراً عن صورة اختلاط الموت بالحياة، والحياة بالموت بتعقيد أشد (ص ٣٨)

اختراب الشخصية/ الشخصية الرئيسة (البطل) في القصص يبدو جلياً بسبب إدراكها للواقع المفروض عليها، وأما تحاول أن تتصور ما يمكن أن يوجد في الطلاق الضيق للواقع وكان لا بد أن أرى لها وجهاً آخر مقنناً (ص ٤٠) فاختار السرحيل، وقصد يلتبس على الغاري، ويعتقد أن رحيله كان بسبب المرأة لكن أنا أقول إن المرأة هنا لتجاوز العزلة، وهي ثم ترد بقصد تصوير الذات وموضوع الحق أو التجربة الفنية. ولكن لأن علاقات الحب هي أعمق السبل وأكثرها إشباعاً لغهر انقسام - (الذات العالم) - وحتى يظل الكاتب هنا عاكفاً على النموذج الأساسي (ذاته وموضوعه) - حتى لا يتبدد الرجل والمرأة في غير القصبة الاعترافية - الأصل في وجودنا الأبعد رؤيتنا الشاملة، ألا تنسى البنية والنهاية، ألا نضع غبطة ذكرى فردوسنا الذي

الغموض لا يتوفر في أدب فايز. فالأول يروي ثري، والثاني عربي مسلم طفران. والأول لم يرب عوالم خاصة، أما الآخر فقد اختار الإقلاص بين البشر الأسوياء ولسان البشر.

إن الاعتراف عند فايز عمود ليس مسألة شخصية - فقد وصفه في موضع: وكافكاوي. وكافكاوي بهذا البعد الاجتماعي لا يلمس الإنسانية (ص ٧٢). وفي موضع آخر قال: «وهي كلفكاوية خاصة بناء (ص ٧٤). لكنه قصة الإنسان منذ بدء الخلق مروراً بالحاضر وحتى المستقبل البعيد الذي لا ينتهي «تسليتي الضيق الذي لا ينتهي إلى البلد العمياء (ص ١٤٥)

إن قصة الاعتراف عائد مرتبطة بالوعي وهذا ما أكدوا به منذ أن وصفت حواء الخبير من الشر كما ورد في قصة العبقور على لسان الحق «سكوناً كآرب» إضافة بالخبر والفره وهم في عذاب قوي معظم اللبالي حبيبا كانوا يسحرون مع بينهم، كان آدم خاصة لا يكتف عن استمالة تلك النشور بلراً وبالسكية بدورها تشتركه المهن ولو على نحو أقل - إذ أنها كانت تدهور إلى الواقعية، فما جرى ما عاد يتبع التحسر عليه، ثم لم لا يصيران هذا المردوس الأرضي الذي يبطأ عليه وكل ما فيه يتشتمع بالصفاء والنشور بلراً وبالسكية والقمصر والتجسوم ألياً (ص ١١، ١٢). فالهذين والذكريات هنا الواقعية، والفردوس الأرضي كلها بدائل، على المقرب أن يختار منها.

والوعي نفسه مرتبط بدارك الإمكانات وتصور ما ليس قائماً ويمكن أن يوجد، وهو الذي يولد الحاجة إلى الضحية بالبدائل فهل كانت الواقعية في النص السابق إحدى الخيارات (البدائل) لتجاوز عنة الحزن والذكريات؟؟ من هنا بدأت قصة الاعتراف الجودي عند فايز تمتد. ووجه في المجموعة القصصية هو وعي الواقع المفروض عليه ويعني آخر اختراقه الدلالي وهو يتخرج على

قابيل

مجموعة قصصية

فايز محمود

وزارة الثقافة - عمان ١٩٩١

■ الاعتراف الجودي بسببه الانفصال بين الواقع والممكن في الوجود الإنساني، وعلى الرغم من أن الاعتراف له جذور في الكثير من الأساطير الأدبية إذا تمحنت ودققت، وعلى الرغم من أن الاعتراف قد يكون الدافع الرئيسي لإبداعات الكثير من الكتاب، إلا أننا قل ما نجد موضوع الاعتراف كقضية حدّ المساواة للقيمة في عمل قصصي أو روائي عربي، وقبل ما نجد كاتباً عربياً كتب عن الاعتراف بمساواة منسجمة حدّ الاختصاص، ولعل ذلك بسبب ارتباط الاعتراف بالوجود: المسالكان اللذان لا يتأتى الحوض فيها إلا للنفلافة. وفايز محمود عرف عنه أول ما عرف بأنه فيلسوف. لذلك حظيت كتاباته القصصية باحترام الأساطير الأدبية.

سلطت هذه المقدمة كفاية لدراسة قضية الاعتراف الجودي في مجموعة فايز محمود القصصية الأخيرة «قابيل»، ولتنبيه الغاربه أنه أمام كاتب فيلسوف من جهة، وله من التجربة في الأدب ما يؤهله ليكون في مقدمة صفوف المفكرين العرب. فكانت فايز محمود تمت وزعرت في ظل أخطر الأحداث السياسية والتحول الاجتماعي. وقد عاش هذه الأزمان بمختلف وجوهها الاقتصادية كانت أو سياسية، بل كان أحد المشاركين فيها

وإذا كانت جميع أعمال الكاتب الألماني هرات كافكا تقريباً قد عولجت على أنها ناعمة من شعوره الاعترافي، فإن فايز محمود في مجموعته «قابيل» قد تناول قصة الاعتراف بشكل جودي والاستغراق في الرمزية حدّ

كتابة
ترعرعت في
ظل أحداث
سياسية
خطيرة

كتب من الأذن

يسفر عودتنا إليه ، ألا ، (ص ٢١) . كذلك ترد معاني الاغتراب في أماكن كثيرة

ورفض آدم هذا العالم . لأنه ظل متعلقاً بالسياءة (ص ٤٠) .

واكتشفت النهاية الشعة ، هذه المرة كنت وحيداً (ص ٤٢) .

ومع وحشة الوحشة والاشمعال الاصعري (ص ٤٣)

أحسرة السكن ، ولئن لقيت الطعام التورية ، ولئن السجائر والكتب (ص ٤٢) .

لا متسع لتأليل في الأرض (ص ٤٢) .

ويريد شعوري بالفرسية . بل إنني سمعتمني بنهاسون : لا تدري كيف وجد هذا نجاتاً يساً ، لا أمل له ولا مقولة ذكرها ولا أي ماص (ص ٤٦) .

فانتكس هذا الدور إلى رحلي (ص ٤٢)

لأنه أراد أن يرى وما وجهها آخر مقصداً (ص ٤٠) . قال في نفسه يا أي وكيف أجيبك ، كثير من الذين دمغهم حلمهم بالراح حتى أنصس التطرف ، ورحلتهم لمعدوية قدراتهم أو هشاشة أفاق الحلم عادوا إلى واقعهم

(مصادات) براءة القلب والروح التي دفعهم سابقاً مع رايحها حتى الضفاف الأخرى للشاطئ (ص ٥٢) . وهذا الكلام قريب جداً من كلام كافكا : وما الحياة إلا انحراف دائم لا يسمح لنا حتى بأن نعرف ما هو الشيء الذي يجرّف عنه (كافكا : يوميات خاصة ص ٢٩٠ نداءً عن واقعية بلا ضفاف) (ص ١٨٥) .

والشعور باغتراب وحسره كابوس لا يستطيع أن يزيله من ناظره وطرق به حتى لقرار الأخيرة (ص ٥٤) والذي انتكس هذا الدور إلى رحلي (ص ٤٢) وتقرره هذا جزء من فضائه الذاتي . ولا بد أن أعرج ذات يوم قوباء (ص ٥٦) وهو أن لم يفعل ذلك منه .

«يزيف حياته ، ويحده رفاقه بمعنى ما ، يتقل ضميره ، تائباً أنه لم يستطع أن يتفاعل مع الأحداث بحيوية . وهكذا وصل في النهاية إلى الاحساس الفائق بالاختلاف» (ص ٥٩)

وهذا نفسه ما قاله جبارودي عن كافكا : «العالم الذي عاشه عالم خائن مجرد من الإنسانية ، عالم الغربة (واقعية بلا ضفاف ص ٣٩) .

وما قاله الباحث إبراهيم عن كافكا أيضاً ولم يرمس في يعيش كما يعيش الآخرون في ريف وضلاله

ومن بدائل الاغتراب الوجودي عند فايز كان الضعف وأحياناً تدغمه خلطات من الضعف ، تنميه حين من الزمن . عندما يفكر : هذه أمة مهزومة . (ص ٦١) ومن حتى أن أمضى هذا القسط من العمر ، أن أحبه شيئاً مسترخياً فلا أنا محرو شعبي ، ولا أنا عبقري ثقافة (ص ٦٢) .

إنه في صراع دائم مع الحياة : موتنا نحن في صراع الحياة (ص ٨٧) والصورة الاغترابية هذه أو الصور الاغترابية عند فايز بشكل عام نجد لها معاني مشابهة عند كافكا

«ان الإشارة الأولى لجذبة المعرفة هي الرغبة في الموت ، فهذه الحياة لا تحسّل ، والحياة الأخرى ليست في متناول يدنا ، ولذا فإننا لا نجعل من رغبنا في الموت تساملات في الخطيئة والألم والأمل (ص ٦٨) وفايز يقول أيضاً : «أي عالم هذا» (ص ١٧) والعالم ليخند سجناً ضيقاً ويتعطل الزمن فيستحيل تأنيده (ص ٦٩) . وكأنه يعيش موات الزمن حبه هذه الساعة (ص ٧٠) نتيجة القهر المعنوي والتعطيل وهي التجمع وبيت» (ص ٧٢) ،

وعندنا يدور حول نفسه . ولحقني أنه يهدو ولا يهدو (ص ٧٧) . «ميتس أليشكس أيضاً مدهون» (ص ٧٧) «سبلة الأفعار نصفيها إلى الغريسية . وأما يدور في ذلك راسل أكسير وأغني» (ص ٧٨) . إن فايز يعتمد تكرار هذه الصور ليؤكد بإسراء على قصته دعوتنا من القضية ، يؤكد وتكرره فقد غدت بدعية . بدعية (ص ٧٧) يقصد القضية الكائناتوية كما وردت في مكان آخر من البحث .

إن صور القضية في كل صفحة ، بل في كل سطر ، لم تستهجن بها جميعاً لتجنّم عليّ قتل ضففت باكملها إلى هذه الدراسة البسيطة : ونحن للحصوصون من المشق والحب والإحسان . نحن الحصوصون من المشق والحضور في رجونا الميلاد والموت وما بينهما من حرية وفصل وفكر وإرادة ، نحن نحن نحن نكتشف المهزلة الأكبر ، نكتشف الحديقة الأدهى .

نقتل موتنا وعشنا (ص ٧٦) وأسياء في الموت (ص ٨٠) ، «إنها حياة في الموت ، حياتنا نحن في وضع مماثل ضد الحياة ، ونحن من جهة أخرى أنها موت في الحياة ، موتنا نحن في صراع الحياة إطلاقاً ضد العبدية ، نقف في حالتنا هذه لتصمق بها يشه الكابوس بمشاهدة الموت الصارم الكامل ليس بأم أحيته» (ص ٨٧) .

في المجموعة استخدام محكم للرموز

ووجوده ويتتال بصورة متعاقبة مكتظاً بأحلام اليفة (ص ٨٩) ويتخلله «بين الحين والحين سلسلة كوابيس» (ص ٨٩) تصدهه وترده إلى أعماق أغوار واقعه . ويكتشف أن «العالم وهي وسجين ، وصرت يوسيب كما يشاؤون هم ، الذين أصادوا حلقه ، وقرروا مصائرنا» (ص ٨٩) . «يدار ولا يدور» (ص ٧٧) ونصل إلى نتيجة أن «الحظا يعم العالم» (ص ٩٠) ، بينما نستشف كورتية هذا العالم للحوصوس عنه في جسمه وخرواته الذين يعبثها بدوره (ص ٩٠) ، «وليعاى الناس بالطوفان فلا المركب نقتت ولا الحياة المدهون ألتجّت «وما جديلة ، سحي طوفان» فيض هذه الحياة في العمق (ص ١٠٦) «والأرض ظلت غريبة لا بين إلا عوم المياه يملأ كل الجبهات بدون ضفاف» (ص ١١٧) .

ومن معاني الاغتراب أبدية الفراق : ولعلّه يساعد على تحمل أبدية الفراق والغياب- لكن حضورك أبداً ، أيضاً ، لا يزول لحظة وجودي الذاتي وصالي الصميمي . . (ص ١١٩)

وعلى الرغم من إدراكه التام بأن السجن سيكون نصيبه نتيجة قرار الإقامة ، لكنه يمر على عيش غربة «الدانية كاملة في وطني وإلى الواقع» (ص ١٢٥) «ومو يرمى بذلك لأنه على وجهي تام أحيي أنهم لن يستطيعوا وأن يتعلموا مني الحب الذي أؤمن به ويخرج عني . . على هذا معقول» (ص ١٢٥) ، «ولأجله أرضي بالسجن» (ص ١٢٥) فقد «ولدا ينظر إلى نفسه من أي عضو شاء» (ص ١٢٧) وهي قمة الوعي للمواقف المفروضة هنا . ويتوج هذه القضية بالمقولة : «لم يكن أنفه من رحلي إلا عودتي» (ص ٥٩) .

لقد وصلت حالة الاعتراب عند فايز وحشي الحب المبالغة في السروح (ص ١٣٠) «والنشاطات نجوم عينه في حسنه ، وتواضعت شمساً مكتشوماً في ملك روحه» (ص ١٢٩) وأدرك أن «دعته ومأركه الذي كان سنوات حصره وقع لتسطيع غبه الشيا» (ص ١٣٤) .

إن اغتراب الشخصية الرئيسية (الطفل) ، والذي أدى به إلى التحليل عن الإمكانيات المحدودة وعدم تحقيق وجود سواء من طريق الرحيل ، أو الإقامة ، كانت نتيجة سعي الكاتب إلى عدم تدمير الذات كما حصل لـ «موري» الذي أجبر على حياته بنفسه ليرتاض عققاً للتجربة «التي يرتاح اليها» (ص ٥٦) .



«انتباهات»، وشطافاه وتلك بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٣. ثم تألّى المرحلة الثالثة وهي: «البرولة»، وهي مجموعة غفيرة بالغزل، والجواشنء بالأشتراك مع أمين صالح، وعرلة الملكات، وذلك بين عامي ١٩٨٨ و ١٩٩١

هذا التقسيم المبذول لا يعني اتصال الشعرة الشعرية، عند حداد، اتصالاً وثيقاً، وهو، على كلر، اتصال لا تقطعه سوى تغيرات عاتلة، واضحة، إنما ليست قاطعة وفاصلة. لكننا نستطيع أن نرى طول المسافة المتحولة بين المجموعة الأولى والأخيرة، على قدر يحفل الكثير من الاختلاف والتبدل. فمثل الأقل، ليس يوسع قاسم حداد أن يكتب في جديده الشعري حلاً مثل زهرة حمراء مغسوسة في الكف السيلاء (ص ١١ - البشارة) حسناً كانت شائعة شبيهة هذه الحيلة في السجيات والسجيات.

وتقبل ليس في نضج الأسلوب والعبارة، وبالتالي في اللغة الشعرية، فحسب، بل هو في الأساس، تبدل المزاج والمعنى، في نحو لا يفسح كثيراً لأقامة تشابه بين زمين ولحين وظوفين أو بين قصيدتين ولحين. فـ «عزلة الملكات» تقدم نحو لغة أكثر التصاقاً واختصاراً من لغة «هشي غفوراً بالغزل»، حيث تحفت نوسبات اللغة التراثية وتقل عناصر الشعر على نحو أكثر انغلاقاً وتصريراً، وبالتالي أشد معني وأصلب. إذ يبدو شغل قاسم حداد محصوراً في بقعة ضيقة، تقرباً من رؤية أقل اتساعاً وأضيق تبصراً.

ففي حين تطول قصائد «هشي غفوراً»، وتتداهى فيها - دون أي كبح - عوامل كثيرة وإشارات حاشدة وصور متزايدة، بشكل فوار وصانعب، نرى أن قصائد «عزلة الملكات» (والمتنوءن بني بالمعنى) مختزلة، قليلة الكلام، على هيئة ملكية مهيبة - إذا جاز التعبير - وصوت صاوم ومخاطف ورسين. وإذا كانت مجموعة «هشي غفوراً بالغزل» (دار رياض الريس ١٩٩٠) قد أكلت مكانة هذا الشاعر كصوت خاص وبغير في القصيدة العربية، فإن «عزلة الملكات» قد أزلت ترجمته الشعرية نحو صياغة متطورة تفتح مرزوة شعره وصوته بين جبل السجيات والتأقبات.

في هذه المجموعة الأخيرة يعلن قاسم حداد إصراره على استيعاب عالم خرافي، عا

الكلمة أو تلك لكلمات لغة ركيكة، ولكن الموضوع أيضاً أقل بكثير من هذا الترهج الذي عليه في القصص. وكانت ها يطعن مقولة النفرى الشهيرة «كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العجالة».

واللقت في المجموعة أيضاً هذا الاستخدام المتين والحكم جملة الرموز. وليس ذلك بغريب على كاتب مثل فايز الذي يدرك كيف يجاور الرمز واللوح - لقصة قابل، وقصة الطوفان لم يأت بها بعض صدقة، ولا من قبيل عجانبة الكلام، ولا على سبيل الميث، وحتى الأسبيل والرموز الأخرى المتناقلة هنا وهناك على سلع قصصه كلية مثل: «صبريه» بطل قصة الراحيل تيسير سيول، وهزان رواية «أنت منذ اليوم» (ص ١٤٥) وكادكا، والليزر، وشالاء، وشال، وفزاد، والسجن، ولم، وصبرين. إلخ كل ذلك كأنه بحساسة حية مرعنة عالية ليدت كأن قصص «قابل»، صعدوه من مشروبات ورواية «الشقيقة»، ١٩٩٠، استعمل هذه الجواسير، وشخصياتها أكثر من قليل زسلاد آخرين خصوصاً وأياً تتضمن الكثير الكثير من ملاحم الحداثة في الفضة العربية والتي كاتبها فايز أحمد وادعاه. □

قصة الطوفان لم تأت مجهزة صدقة

مديح الأفعال الكبرى

يوسف بزي

مشترك مع أمين صالح - وربما حين يُشر هذا لفصال تكون قد صدرت المجموعة الثالثة عشرة وخديجة، زعران لنيلها. وللملاحظ في تجربة هذا الشاعر البحرني الطويلة نسبياً أنها مقسمة إلى ثلاث مراحل. الأولى تمتد على ثلاث مجموعات (البشارة - خروج رأس الحسين من اللدن الحاتنة - المم الثاني) بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٥. أما المرحلة الثانية فهي تشمل «قلب الحبة»، «القيامة»

الموت، والمويت في الفلسفة الاغريقية بعد بديلاً عملياً: «وماذا يتشاب العاشق حين يصطدم بالياس» (ص ١٤٤).

والاكتفاء بالحدث من موضوع واحد كالاعتراب الوجودي عند فايز محمود لا يكفي. فلا بد ولو لإشارات إلى أمور أخرى تتعلق بالمستوى الفني المتميز الذي حيك هذه القصص، لإيقاع نغمي مدعش، جعل كل قصة تبدو وكأنها موسيقياً يرتبطها، معتمداً على استيعابه لجهرته الذاتية الشمولية ورساوتها بالنجربة الانسانية الاجتماعية وصوراً إلى حالة الحبش في الزمن الروي.

ولعل أسلوبه هذا هو السبب وراء عتقة حدة وقع الكتابة على ذهنية القارئ، لأنه لا يرد ديدنه مشاعر القلوب بقدر ما كان يرد غناطية العقول. لذلك خلعت القصص من ودهد الاحساس، التي قال عنها النقاد د. إبراهيم خليل «فضة مابر عمود كما ذكرت متعلقة بفلسفة الوجود. وبغير لغة فايز هذه لا يمكن لأي خيال أن يفسر ما فسره فايز».

إن لغة فايز هذه جاءت متسقة فلم الانساق مع كل من شكل القصص وضمائرها. وكانت كل كلمة حجر أساس في بناءها المعاري المتين. ولو استخدم أية لغة أخرى بصيغة أن القارئ، قد لا يفهم هذه

عزلة الملكات

شعر

قاسم حداد

أسرة الأبناء والكتاب، البحرين ١٩٩١

■ ما بين «البشارة» (١٩٧٠) و«عزلة الملكات» (١٩٩١) يكون لقاسم حداد إحدى عشرة مجموعة شعرية - احداها نص



بالطقوس وبذلك الشدة «العربية» التي تندفع الذاكرة بمتاعها الأسطوري وكلاهما التنبؤي. وهي نبرة رؤيوية (من رؤيا)، تصعد الخيالي - الواقعي إلى مكانة جليلة، عميقة حالة من الإجمادات الطقوسية والمغاني الحارة التي تصف بالفخامة أو القسوة في آن. أو قاسم حداد يواطىء على تحييل تلك الأحداث الكبيرة، التي ألقها القتل والموت، والمأسرات، والعناصر الأولى، والسلول الخ... وهو تحييل انفعالي، يحمله كاريزما الكوارث والحركات الكبرى. ويقف الشعر مارته متعللاً بحزارة مؤسسا نفسيته الإتهالي هذا، عابثته العالية الفحمة والجوهرية، حتى كان القصيدة تبلو على شيء من التشابه مع مقاطع منحنية موهلة في القدم والتاريخ، نجدد بقول في قصيدة «فداس»:

دع النلال الرصاصية

تشر الجبث المصيبة

ثم تتحدروا في هالوة دليلها

هتاف شبيب مأخوذة باليأس

(ص ١٦)

وغالبا ما نرى القصائد شوقية بالغف والقسوة، ولانغف في التعبير، صفة وصلة بالسورالية وتداخلها الغوضوية، وله أيضا قرابة إلى اللغة المصطنعة وإلى بلاغتها الخاصة، حيث نتحسس منها واحدة والاشمونية (إذا صح التعبير)، أو في مظاهر القوة التي تعطي نكهة عامة لكل قصائد حداد

وحضور التاريخ هنا، ليس بمعناه المباشر، إنما في آثاره وصوره وقرصاته وفرواته وتكسراته، وعلاماته الكبرى. وهو حضور مضم بصير، يسعى إلى تصوير أشكال الخلق الأولى وما تطبعه في أذهاننا وترغبتنا بالحزن إلى فخامة وقدايمه اندثرتا في طباط المدنية والحضارة

وأكثر ما يبدى في قصائد عزلة الملكات ويجمعها هو هذا الدأب المتواصل على التعبير عن الحرب بمعناها الشامل والانسائي. الحرب كعمل يومي تاريخي. ففي قصائده دوماً هناك قلاع وجيوش وسود وقتل وختار وبتناز وباروق ودروع الخ. مفردات تسيطر على مناخ هذا الشاعر بشكل جلي. ما أن نغيب حتى نحضر عن غيرهما. ويتقل الكلام دوماً بين هذه العوالم الخرافية عبر الأفلاك،

وليس أبداً عبر تجليات الوصف أو التأمل. يقول حداد كلامه بسطوة إيقاعية سريعة ومتينة، كأن فيه احتفالية انتشادية، أو كأنه مسيوك بأحرف ثخينة أو منحور في صخر:

دليتهج القطن مثالاه

ويضاهي صلالة الصبايين وفخاجهم

(ص ٥٧)

وغالبا ما يسعى إلى ابتكار عالم مؤسب ومفسد بفكره أو بخيال شديد التجوس والعنف، كما أننا نرى نزوا نحو شراسة في التصور، وفي تكوين هذا العالم المملوء بما هو حاد ونافر وعصبي... كأن في شعره روح تأجيل وتبريد، لا مكان فيها للبسيط والمادي، حيث لا تفاصيل العفقات والساعات. حيث الزمن موجة عالية من الأحداث وسيت المكان متحرك في الفكرة وفي الكائنات:

وتعيرل لها أعراف المدهاد وشكيمة القرون

يفزع لها مدمنو الكائنات

والشحيذون بطينة العفان

وحير يغسل المجمع صبايل التبد

تضع الجيول أعضائها في شربة الحانة

تأركة للنساء حرية المعاقبة

لتعزل المراك نسلأ

من المفاكين العفاد

(ص ٣٩)

لكن أحيانا تنفذ القصيدة أشجاناً شحصة وضوءاً ذاتة، وفي حدود صغرها وأحدايتها تنصب السيرة وتواضع سبابة المفردات، لكن ذلك استثناء نادر في عظم الصخب المتشاكل بين السطور والقصائد. وتغلب على عزلة الملكات، لوحة الانتشاد والغناء العالي، ولا يزال الشاعر معها يميل إلى لغة البنية، لغة قرارة العالم وحلمه، وهي في تصحيحها لمناخ هذا العالم تحاول أن تبني قلاعها وإسراجها، بل ريباً أحياناً اختلال ظواهرها وشرعيتها.

وكذا وضعت حتى على شيء تحول

وأغد شكل البراكبي

(ص ٤٦)

هذه اللهجة الانتشادية التي يتبناها الشاعر/ الرائي أو دلثتيه لا تتنازل عن علو كلامها وفخامت وقوته، ولا تحيد عن الاصاك بتلك العلاقة بين لغوام الماضي وصور الحاضر. والقصيدة إذ تحاول التجمع بين الأعلام والذكريات بين الأشياء وروايتها، في نسج مسيوك خلص كلياً للمخيلة، فإنها

تدفع على وجه الخصوص إلى ما هو موضعي أسر، وإلى ما هو منحور وطيقي. وبلاط، أشد ما نلاحظه، تقييب كل ما هو واقعي وزمان عن الحيز الشرقي وقضاة، وفي ذلك كله ثمة قدرة على انتشاء موضوعات شعرية في قلب السرد، وعلى انتفاضة. فلا الكلام يبرد ولا الشعر يدمو فوارقه عن الإيقاع أو عن طبيعة الأشياء السرية للامحسوسة.

وتتطابق اللغة في كيميائها مع موضوعة الشعر، ولعل هذه الكيمياء بالتجديد هي التي تعطي نكهة سحرية لهذا السرد العاطفي والروحي في آن معاً.

دعوة بلا رافة

خلو بنياز صيداً

هذا الميكل الكبير، ضحية التركات

لتنهار أجزاؤه العاجية

تحت سنابك العاصفة ورجبة النار

(ص ٥٣)

على كل، إن ما يسعى إليه قاسم حداد ليس فقط التسايف مع عالم مفارق كتيف الزمن، بل إلى البحث عن صورة الإنسان المتعدد من خلال أعماله. هذا الإنسان الكلي الماكوس برغبته لنظام الطبيعة، والتعدد فيها في الوجود نفسه. وما القصيدة هنا سوى مدح لانتكاس هذا الإنسان في مرآة الأشياء:

والشال نجر الجثث

على مهول

(ص ١٥)

ورغم هذا النفس الإتهالي - الاحتفالي فإن نبرة قاسم حداد لا توجي إلا بنظرة اليأس وشعور الحزينة. ويقدر ما هو بأس وجويدي تراء أيضاً في المرآة - الطبيعة، انتصاراً وقرحاً غير محذو لكل ما هو بدائي وطبيعي ولا حضاري:

وأفهم الصغور

ذخيرة الوردية ومهانة الطريق

أجراسها ترشد الجنائز ويتدهد الموتى

(ص ٢٣)

أو كما يقول في قصيدة «السهر»:

والجبال تغزل كائناتها سرياً

سرماً

لتنال الفرقة وتفسد عليك المكابرة

(ص ٣٢ - ٣٣)

أو كما يقول في قصيدة «انبار» للمرة جداً

عن نزوح الشاعر نحو الحلس بموت الإنسان

وانتصار الطبيعة:

القصيدة عند

حداد مبيع

لانتكاس

الإنسان في

مرآة الأشياء



ولا فيكل جديد
لكن لخدمة الطبيعة
وصدعة العضاة

(ص ٥٤)

لا شك أن الشجرة التصويرية التي يتيمي إليها الشاعر هي من أرسخ الشجرات في القصيدة العربية. وهذه الشجرة التصويرية جذعها الأساسي أدونيس وثمرتها الشاعر الشفري المميز سان جون برس. إذ إن التأثيرات الكبيرة التي تركها سان جون برس على الشعر العربي، وعلى شعر أدونيس تحديداً، يمد ترجمته قصيدة «أنا يا نزهة استمرت في فعاليتها في الكثير من أشغال الشعراء العرب منهم على سبيل المثال لا الحصر، سليم بركات وقاسم حداد وبعض من أجد ناسر..

بالعودة إلى أعمال المؤلف الأخرى، أو بالعودة إلى ما أخذ عنه آخرون، وبطبيعة الحال فإن العمل على الأصهب كان محكاً، لأنه ترك لنا أعمالاً أخرى تضمنت المعطيات التي يفتقر به أنه استخدمها ذاتها في صياغة كتابه عن الديارات. لكن أو تعلق الأمر ببعض آخر وكتابت آخر، لصارت المهمة أكثر صعوبة ولاحتجنا عند ذلك إلى مؤلفات المؤلف ذاته، هذا إذا ترك أعمالاً أخرى، خصوصاً إذا كنا نأخذ من فريد. ففي هذه الحالة فإن العودة إلى مصادر لاحقة ذكرت أو استشهدت بمقاطع من الكتاب المفقود، هي العمل الممكن في سبيل جمع أجزاء من العمل عبر عملية طويلة ومعقدة

وموضوع الكتاب الذي نحن بصدده هو الديارات، والواقع أن الأصهب لم يكن أول أو آخر من تحدث وكتب في هذا الموضوع. فقد استقى المعلومات عن سبقه في جمع أخبار الديارات (الأديرة)، فضلاً عن خبرته الشخصية ومشاهداته. وقد أخذ عنه من جاء بعده أيضاً وألف في ذات الموضوع.

والواقع أن الكتابة في موضوع الديارات، صارت نوعاً أدبياً قائماً في ذاته ضمن الأنوع الأدبية التي لا تحصى لها في التاريخ العربي وقد ذكر لنا المحقق العديد من المؤلفات (بعضها مفقود، وبعضها ما زال خطوياً)، وبعضها وجد طريقه إلى التحليل والنشر ومن ذلك: «رسالة في أديرة مدينة أنطاكية ووصفاتها للفرس الأنطاكي» وأخبار أديرة ورميان مصر لفرج الله الأحمسي، وتاريخ دير السرصران لأبواب السرايب السريالي، والديارات للشاشي، وهو مطروح، و«الديرة لمحمد بن الحسن بن رمضان» وهو مفقود فضلاً عما ورد ذكره من أخبار الأديرة لدى البكري في معجم ما استعجم، والديارات المشهورة لدى العمري في مسالك الأبحار. وتكرس دياريات الصناري بمهر للمصريي ضمن المواقف والاعتبار بذكر الخطط والأثار وعبر ذلك.

وكما نلاحظ فإن الذين كتبوا في موضوع الديارات كانوا مسيحيين ومسلمين عن سواء. ولم يكن جمع أخبار الأديرة عسلاً دينياً، ولكنه إنشاء أدبي وتاريخي بل جغرافي أيضاً، ويتشوج في إطار الاهتمام بالأمكنة وتضاريسها الدينية والعمرانية والتاريخية على السواء

على كل حال، فإن هذا التأثير الواضح للملح «السري» لا يعني صياغة حداد الخاصة، ولغته الحميمة والدافئة، الميزة لصورته. وحضور أدونيس بصيغة برس، هو حضور الصدى والتأثير، بما هو تبار يخفي بالطبيعة وبأفعال الإنسان، وليس حضوراً في التشكيل والتسليف، وهذا المعنى فإن نبرة حداد وفجائية صوره وقساوتها، التي تجعل في طياتها انكساراً حياً، تحفر جراحها الخاص في القصيدة العربية.

إن قاسم حداد في «عزلة الملكات» تحديداً، يسود أكثر حميمية وفنائية من مجموعاته السابقة، ويبدو أنه طور ما بدأ تجربته صائغة في «يمشي غشوراً بالوعول» نحر نزعته غنائية، للذات وحضورها الأول. □

إعادة بناء النصوص

خالد زيادة

المعطيات التي استخدمها المؤلف أصلاً في أكثر من عمل من أعماله خصوصاً أن الأصهب قد اشتهر بكتابه «الأغاني»، الذي ضمنه كمية غزيرة من المعلومات المفقودة، التي طال عمله في جمعها وتصنيفها حتى استغرق خمسين عاماً، حسب ما تذكره المراجع وما يذكره المؤلف.

ومن هنا فإن عمل المحقق يعتبر نموذجاً في مجاله، هذا إذا اعتقدنا أن المؤلف كان قد ضمن ما ذكره في كتبه عن الديارات في كتبه الأغاني. وفي جميع الأحوال فإن هذه الطريقة في بناء النصوص على طريقة علماء الآثار ذات فوائد، فإذا لم تتمكن من جمع النص بمجمله فعل أقل تلخيص تستطيع أن تجمع أجزاء معبرة منه، وفي ذلك فوائد عديدة على أي حال. وعلى هذا النحو يمكننا أن نغترف أمكنة جمع شذرات أو أطراف من خطوط مفقود

الديارات

أبو الفرج الأصهباني

تحقيق جليل العطية

رياض الريس للكتاب والنشر

قبرص - لندن ١٩٩١

■ العمل الذي قام به جليل العطية بإعادة جمع كتاب «الديارات» لأبي الفرج الأصهباني، يستحق أن نتوقف عنده، ليس لأهمية الكتاب بحسب، بل للطريقة التي اتبعها في سبيل ذلك. فقد عاد المحقق إلى مؤلفات الأصهباني نفسه، واستخرج النصوص المتعلقة بالموضوع. وأفكره الرئيسية هنا أن هذا الكتاب الذي نذكره المراجع والفهارس، وتنسب إلى مؤلفه، قد فقدت خطوطه الأصلية. وقد تصور المحقق أن بإمكان إعادة إنشاء الكتاب من خلال



الحجارة، شديد الجبرية، تجتاز فيه السفن بشمقة، وهذه المواضع تسمى الأبواب... وهذا السير راكب دجلة، وهو من أحسن السيارات موقفاً وأزهرها موصفاً، يُقصد من كل بلد، ويتركه كل أحد. ولا يكاد تجلو من متحدر ومصد، ومن دخله لم يتجاوز إلى غيره لطبه وزخته ووجود جميع ما يحتاج إليه بالمثل وبه».

ووصف الشايبي معبر، وخصوصاً قوله: «وجود جميع ما يحتاج إليه». وهو الأمر الذي تجده له تأكيداً في كتاب الأصبهاني؛ فقدر خنة بالحيرة بالكفة قنبان الحيرة ويثربون فيه (ص ٧٤). وفي حنظلة الطائي، كانت حوله من السفراء ما ينسي حلال الشوي وسط عصرة وزهر، فنزلنا فيه وبست إلى خار بالقرب من الفرات فشرينا... الخ (ص ٧٦). وفي حمر سفر يشوع، يقول عنه الأصبهاني: «كنت أعاشر جماعة من أهل الطرف وأولاد الرؤساء ويتجمع على الشرب دائماً، فدعانا فني منهم إلى العمر الذي في أسفل مدينة واسط، ففضينا ومعنا من الغناء والآلة والشرب كل شيء طريف، وأقمنا ثلاثة أيام... الخ» (ص ١٠٠).

وهكذا فإن «الديارات» تدخل في نظام اجتماعي متكامل، فضلاً عن كونها مواضع تثير اهتمام المؤرخ والجغرافي والأديب والشاعر. □

المسلمين، فلا غرابة في الحديث عن بعض اعتبارهم. يضاف إلى ذلك الانجذاب إلى هذه المواقع التي هي أماكن للعبادة والزراعة والأقامة... كل هذه أسباب ودوافع يمكن أن تفسر بروز هذا النوع الأدبي. وضع ذلك يمكننا أن نتساءل: أي يمكن ثمة وظيفة تشغلها الأدبية في حياة المسلمين حتى أشرت هذه الاهتمامات الأدبية وغير الأدبية؟

هذه الوظيفة يمكن أن تكون ممرية وعملية في نفس السوقت. فقد مثلت الأدبية معنى الاختلاف والمغايرة، فالأدبية أمكنة ومواضع تقع في الخارج، أي أنها تفيض للدخول أو للخروج وقواعدها وشروطها. وبهذا المعنى كانت الأدبية أماكن يخرج مصفداً للفتن من في النسيات والأعيان.

وتدخل الأدبية في نظام وتوقيت مختلفين بالنسبة للبيئة الإسلامية، فهي تدخل في التوقيت الشمسي، وتختلف بالأناسبات الدينية المسيحية وغيرها من الأعياد، وخصوصاً تلك التي تتفق مع التسوية الطلعي كأعياد الربيع. وقد انجذب بعض المسلمين إلى هذه الأعياد التي يمكن أن يبارسوا خلالها ضرورياً من الملهم غير المسموح به في دينهم. وفيهم هذا الأديب من وصف الشنشي في كتابه لأحد الأديب: «يرون... والعلشان فرقة على شاطئ» دخل في الجلب الشرقى حياء، ويبدو منها من دجلة موضع صعب، ضيق الجبال، كبير

ويؤدوا أن تكون هذا النوع من الأدب الذي يجعل موضوعه الأدبية، يعود إلى عهد قديم سابق للإسلام، حيث أبدى العرب اهتمامهم بالأماكن المشهورة وتلك التي تحيط بها هالات القداسة والقدّم. وقد كتب في «الديارات» القديمة وجمع أخبارها الأهمشي وناقض الحموي عن السواء. وقد ذكر الأهمشي في كتابه الصغير الحجم المواقع الشهيرة أو الدارات التي وردت في أشعار العرب في الجاهلية، وذكر عدداً من المشهور منها، مثل دار جليل ودار الكور وداره مأسل وغيرها. وقد اشغل الاهتمام بالديارات العربية قبل الإسلام، إلى الديارات والزيارات رأي أماكن الزيارة كالأضرحة مثلاً بعد الإسلام. وإذا كان جمع انحصار دير أو حلة أدبية من جذب وهبان ورجال دين مسيحيين أسراً مفهوماً، فإن اهتمام الكتاب المسلمين بهذا النوع الأدبي يعود إلى أسباب عديدة، منها أن الديارات كانت حتى في أيام الجاهلية مأوى للعباسيين وعطبات للمسافرين. ويذكر الحلق ما بي: «اشتهرت الديارات في الجاهلية بآلاء المحتارين بها، لم يكن فيها أبداً دور خاصة بالضيافة... ثم جاء الإسلام لحقت القانتين على الديارات على استضافة من مر بهم من المسلمين ثلاثة أيام...» (ص ٢٢، ٢٣). وعلى هذا النحو تطورت أشكال وأحجام بعض الأدبية التي ألحن بها جئس خاصة للضيوف. إلا أن الأدبية كما يذكر الأصبهاني في بعض الأخبار، وكما يذكر الشايبي بعده في أخبار مطولة، كانت تضم حداث (دكاكين) لبيع الخمر. وكانت هذه الحانات محط رجال السامريين والسنجيين وخصوصاً في الأياد حين كانوا يرتادونها للسمر واللغو، لأن الأدبية جميعاً تقع في أماكن خارج المدن، بعيدة عن أنظار ورؤية الناس. وكان ثمة أدبية خاصة بالمعادي (الراهبات) وبعضها يحتفظ بين رهبان وراهبات. وقد أثار الأمر اهتمام وشغلة شعراء، قدماء وعديثين نجد ضرورياً من شعرهم لدى الأصبهاني.

ويمكن أن نورد أسباباً أخرى لاهتمام الكتاب المسلمين بموضوع الأدبية، غير تلك التي يتطرق إليها الحلق. ويمكن القول هنا بأن الأدبية مواضع وأثار مشهورة تثير شهية الاستطلاع والبحث والتصنيف. فضلاً عن كون المسيحيين يعيشون جنباً إلى جنب مع

استخرج عطية نصوص الكتاب من مؤلفات الأصبهاني



... لولا قصة التغيب!

قراءة في ملف «بيروت ١٩٩٢»

جورج طراد

رصية وجادة، ولكنها تعرف تماماً أنها موجودة. قد لا يشاطرونا معنوا الملف هذه النظرة إلى الأمور. وربما هم ينطلقون من وجهة نظر خاصة بالسرح والسرحد، لكن، أما كان بإمكانهم عدم الالتفات بعرض وجهة النظر تلك، في مقدمة المحور، وبالتالي الإصرار في المجال أمام عقل التيار الأخرى للافتتاح من رأيهم في الملف، حتى ولو اعتبرنا، في حكم عام، أن أساء هذا التيار، وأوجدت ثنائياً مسرحياً متخلفاً بلجهة التعبير الفني المسرحي الذي خضع لدوقية جمهور الناطق، (ص ٨٢).

ولماذا غاب، أو غيب، أكثر من صاحب اسم في التجربة المسرحية اللبنانية، التي يصطلح في شكل من الأشكال على اعتبارها رصية، أمثال شكيب خوري وجبران خوري وصمام محفوظ وعقوب الشدراني والبلدان ولطيفة ملقي وآخرين؟

الحركة المسرحية، سلبانيا وإيجابياتها، موجودة في بيروت. وتظن أنه لا يجوز استبعاد تيار معين، أو اسم محدد، لجرد أننا غير مقتنعين بجذوى هذا التيار، أو بتجربة هذا الاسم أو ذلك.

وإذا ما انتقلنا إلى محور الشعر، في ملف بيروت الثقافية، فإننا نلاحظ حجم الخلط، أو الذاتية الفردية في المقاربة. فكل الذين حاولهم الملف، تقريباً، من نصراء، نزع معين في الشعر. صحيح أن هذا النوع بصرى، وأنه فرض نفسه وعشق جلوده، ولقد داخلنا وعصرياً. ولكن الصحيح أيضاً هو أنه لا ينبغي وجود نوع آخر من الشعر. فشاعر القصيدة العمودية مخفيين تماماً عن الملف، مع أن في بيروت أكثر من شاعر لا يزال يتسلق بكتاتبة هذا النوع من الشعر. نعرف أن العمودية الجافة تراجيع، ويجب أن تراجيع، ليس فقط لصلصة شعر التفعيلة، بل ربما كذلك لصلصة قصيدة النثر. ونعرف كذلك، في المقابل، أن العمودية ليست هو الأسطر. في السهنية التبريلة لرؤية العالم ولبيان القصيدة. لكن كل هذا لا ينجّنا من طعن طعن واقع وجود هذا النوع من الشعر، لا سيما وإن أحد أبرز رموزه في لبنان وفي العالم العربي، وهو سعيد عقل،

ولأننا لا نريد أن نغرق في تعدد فضائل ملف بيروت الثقافية وحسناته، كما ظهر في «النقاد»، باعتبار أننا من أهل البيت، وقد تطبق علينا سلبية الحكمة المأثورة التي تقول: «مناح نفسه بتركك السلام»، فإنه لا بد من تعدد النقائص، أو ما يترامى أننا أنه نقصان، وذلك بهدف تصوير المسار أكثر، وضبط إيقاع الملفات الثقافية المقبلة في «النقاد»، بحيث يشار إلى الاستفادة من تجربة الملف الحالي، تماماً كما حدثت الاستفادة في ملف بيروت من ثغرات ملف دمشق.

أول المأخذ على ملف بيروت أنه لم يسطر كلمة النشاطات الثقافية التي تشتهر بها العاصمة اللبنانية.

فإن البحث مثلاً، وفي لبنان نجاتون معروفون؟ ولين المرسقي كذلك، وفي لبنان أكثر من ميسر معروف عربياً، وأكاد أقول عالمياً؟

فإن النشيطات، وبيروت الثقافية تتبع «مصادر» المراجع، والباحثين القويين المشهود لهم عربياً؟

ولين النقاد، كمحور مستقل، وهو نشاط ثقافي أساسي، إضافة إلى أنه لا يجوز لمجلة ثقافية، اسمها «النقاد»، أن تغيب النقد عن ملفها الثقافية؟

ثم أين محور دور النشر، وهو الوجهة الثقافية التي طالت شهرتها في بيروت ولما تزل؟

قد يكون لغيب كل هذه المحاور، وربما غيرها بما فاتها، عن ملف بيروت الثقافية، أسباب تخفية، بعد اجتهد كل من لا نراه قليلاً لآب تخفية، هو التحرك وفق مواقف شخصية، وآراء مسبقة، تستبعد من هذا المحور، أو من ذلك، أساء معروفة، أو حتى تيارات واسعة، ضمن المحور نفسه، لا يندرج في شيء لمجملها أو الانقياس من قدرها، طالت أنها موجودة على الساحة الثقافية البيروتية، وطالت أن الملف الذي تصدره مجلة «معنى» بإبداع الكاتب وحرية الكتاب، يطرح فكرة باتورامية التعريف بكل ما يمكن أن يتدجج ضمن النشاط الثقافي في بيروت.

فإذا أخذنا محور المسرح مثلاً، فإننا نلاحظ اختصاره على ثلاثة أساء فقط لا غير. هذا مع العلم بأن في المسرح اللبناني إشكالات وألواناً، لا نزع منها، جميعاً،

■ العدد الخاص الذي أصدرته «النقاد» عن بيروت الثقافية - ١٩٩٢ (العدد ٤٤ - شباط/فبراير)، قرأته من الغلاف إلى الغلاف، فأعجبني شموليته الظاهرة، وشأنيتي إليه أكثرية الأساء المشاركة، وهي أساء بارزة كل في حقل اختصاصه، ولفتني الأمانة العلمية التي قصت بقل حرقية كلام المتعنين، تلاها لكل تأويل أو أساء تفسير، كما حدث في عدد «العواصم الثقافية» الأول التعلق بدمشق.

وعلى سيرة المقارنة مع ملف دمشق الثقافية، أود هنا أن أسجل التطور، النوعي والكمي، الذي تم إحرازه في ملف بيروت. فالملف السابق جاء مثيراً إلى حد كبير، واستمجد بعض الشيء، كي لا أقول إنه خلا من الموضوعية في نقل آراء اللطيفين الدمشقيين، كما نبين من خلال الردود التي جاءت على الملف الأول، والتي نُشر قسم منها في «النقاد»، وقسم آخر في صفحته دمشق.

بالتأكيد، الزملاء، يحيى جابر ويوسف بزي، اللذان أعدا الملف الحالي، وعبد الله الذي حرزه، استأذنا جميعاً من تجربة ملف دمشق، فتلافوا هنا الثغرات التي أحاطت بالتجربة الأولى هناك. في مطلق الحالات، غالباً ما تكون البدايات عطفوة بالثغرات، رغم حسن النوايا. والتجارب اللاحقة تستفيد، أو هكذا يجب أن يكون، من النقائص التي لا بد أن تشوب المحاولة الأولى.

من هنا، فإن ملف بيروت الثقافية، يبدو أكثر تكاملاً وتكاملاً، وأقل إشراقاً واستمجداً. طبعاً بانتظار ردود الفعل التي يمكن أن تصدر عن بعض الذين شاركوا فيه، أو عن بعض الذين استبعدوا منه، سهواً أو لغاية في نفس المسؤولين عن الملف. على العموم، ما يمكن تأكيده هو أن فكرة أعداد ملف خاص عن عاصمة ثقافية فكرة جريئة من النوع الذي عودتنا عليه «النقاد». تجربة وصيفة التحقيق. وهذه إيجابية أولية تستجيب، لصلصة الفكرة ككل، وإن كان ثمة ملاحظات لا بد منها على طريقة التنفيذ. وقد عيّننا ويخطئ، لا أجد واحد، ومن يجهّد ويصعب فله أجران! إن شاء الله.



أعاد طبع نتاجه كاملاً، قبل فترة، وسط ضجة اعلامية واضحة. وسأذا عن عبدالله الاخطل وعن منصور الرحباني وغيرها؟

فهل ان إلهاء اسم سعيد عقل وغيره من المؤلف، سواء أمتا طريقتهم أو رفضهما، يترجمهم نهائياً من الخريطة الشعرية لثبوت الثقافة؟ لا نظن ذلك. ثم ان هناك شعراء آخرين يعزفون على وتر النوع الشعري الذي احتل به المؤلف، ويتجدهم معينين عن المحور، رغم وجودهم الجسدي والنشوي في بيروت، أمثال فؤاد رفقة ورياض فاخوري وعبدالله وشوقي بزيع والياس خرد وسيمر الصايغ وآخرون كثير من اجل لذكركم جميعاً.

أكثر من هذا، فإن بيروت الشاعرة انفتحت على التعبير بلغات أخرى، غير العربية. وهناك اصداوات كثيرة لشعراء يبروتيين ولبنانيين يكتبون بالفرنسية وبالانكليزية، ورويا بغربها من اللغات العالية. فلماذا غابوا جميعاً عن المحور؟ ألا يمثلون جانباً من جوانب ثقافة بيروت؟ أم يكن من الأفضل إفساح المجال أمامهم لبرود تجربتهم، خصوصاً ان هذا لا يشكل سائبة في ان الملتقى الشعري الأول الذي انعقد في بيروت مطلع السبعينات، خصص جلسات كاملة لشعراء لبنانيين كتبوا بلغة اجنبية؟

ثم، ألم بلغت كاتب افتتاحية محور الشعر الى ان وانفتاح التجربة الشعرية اللبنانية على لغات أخرى، خاصة الفرنسية، اعطى المجال للتجربة منذ الستاتين والتصدد، وأصبح ابطال اللغة باقاً تحتل اجزاء جديدة وحلولاً شعرية لم يعرفها الشعر العربي المساك، إلا عبر ظهيرات مزجحة بشكل سيء ومصطنعة (ص ٤١)؟ فطلما ان للشعر اللبناني، المكتوب بغير العربية، في الدور البارز، فلماذا وضعت أكثر من كلمة على فمه؟

لا بأس من التوقف أكثر عند محور الشعر في ملف بيروت، باعتبار ان الشعر كان، ورويا لا يزال أبرز نشاط ثقافي عربي. فالشعر اللبناني المكتوب بالعامية، غالباً قماشاً من المؤلف، وهو تغيب أمواج ألا يكون متممداً. فمن حق أي كاتب، خصوصاً معاني المؤلف، ان يكون له موقف من الشعر العامي. لكن ما ليس من حق أحد، على ما نعتقد، تجاهل الموجود وأتباع سياسة العناملة في تعاملها مع الصياد. نعرف ان غلاة العامية رهباً يتفلقون، في غالب الأحيان، من مواقف سياسية متطرفة. لكننا لا نغهم ان يصار الى وضعهم جميعاً في كيس واحد، مع ان العديد منهم لا يكتبون الشعر العامي إلا لأغاية ابداعية خاصة بهم. فالإبداع الشعري يبقى إبداعاً، سواء عبرت عنه بالقصي أم بالعامية. بالعامية أم بالفرنسية. طبعاً أحلال العامية عمل القصي مطلب مدان، وفي نظر الكثيرين مشوه

ومأجور. لكن الغاء العامية، والتعير بها، قد يكون كذلك رديفاً للضعف الثقافي، إضافة الى استحالة تنفيذه. فالعلامة القنوي المعروف، الشيخ عبدالله العاليلي، في كتابه «مقدمة لدروس لغة العرب» (١٩٣٨) عقد مقارنة بين شعر مكسب بالعامية غناه مطرب يبروتي قديم، اسمه سعيد حمد، وبين مقطع شعري من إحدى قصائد أحد شوقي، انتهى فيها الى ان الإبداع الشعري في التصونح العامي، جاء أوسع مما وصل إليه أمير الشعراء. دون ان يعني هذا بالطبع، ان العامي في المطلق، أفضل استقبلاً للإبداع، من القصي.

على هذا الأساس، نعتقد ان محور الشعر، في ملف بيروت، جاء ناقصاً، خصوصاً وان ثمة شعراء علميين لبنانيين يصدرون عن ابداع شعري يعترف به معظم النقاد. من هؤلاء الشعراء ميشال طراد إيمان حيدر وعصام عبدالله وموريس عواد والرحبانيات وكثيرون غيرهم. ثم إذا كان هذا اللوقف من العامية موقفاً عربياً (وللعلم المتداول غطاء للكلمة)، فكيف يبرر معدو الملف ترشعهم لرأي شعراء (ثلاث على الأقل، وفي شكل واضح) بمجاهرة بقرعهم ما يكتب في الشعر العربي؟

لا تريد الإشارة أكثر، ولا التبرج على محاور أخرى اضافية. فما يقال على الشعر والمشر يقال على السينما والرواية. ولكننا في حاجة الى التوقف في المزيد من التفاصيل، كي نظهر ان اختيار مجلة الحروف تمّ عشوائياً، أو، في أفضل الحالات، جاء غير مدبر من حقيقة الواقع الثقافي في بيروت. نعرف ان البلاغ عن هذه الثغرات جازع سلفاً. فرياض نجيب الرئيس كتب، في المقدمة، ان «النقاد ليس لديهم رأي اذعاه بأنها حققت مسحا شاملاً للثقافة اللبنانية» (ص ٤). ولكننا نعتقد ان ثمة فارقاً كبيراً بين عذوبة الطاقة البشرية على الاحاطة بكل شيء، وبين الانتسار البني على مواقف مسبقة، كي لا نقول المخطط على سلفاً وعن سابق تصور وتصميم!

إضافة الى كل ما تقدم، وبالرغم من اننا نللف لمعادلة ٦٠٠ مقالة، المعروفة جيداً في التريكة الثقافية اللبنانية في طوائف الذين تمت بحاورهم رجل دين من هنا ورجل دين من هناك الخ، فإن اللافت، لا سيما في محور الحياة الفكرية، ان فئة من المفكرين المتواجدين في بيروت، سواء أمتاً بديتهم أو سقمهم، وسواء رفضنا أفكارهم أو إيماننا «غاية» لهم من المؤلف، قلقد قرأوا مثلاً، في المؤلف، أكثر من «ماتيسقو» فكري للقنوي والعربي والقنوي السوري والشيعي، ولم نقرأ فكر الطرف الآخر. تكراراً نقول انك تلك التعاطف مع هذا الطرف أو ذاك، ولكنك قطعاً لا يمكنك تجاهل الموجود، لأن تجاهلك له لا

يمكن ان يلغي. على العكس، ربا ان عاوزتك له تظهر هشاشة فكره، فينكثل، هو باسقاط نفسه، عوضاً عن ان تغفل، أنت، اسقاطه! رتبة أمور أخرى لم أجد لها مبرراً في الملف. سواء كان في التوبيع والتوزيع على المحاور، أو في تحويل بعض المقالات إلى نشره اعلامية، أو ما يمكن ان يجر في هذا الانحياز. فمثلاً، لماذا أخرج الحوار مع السيد محمد حسن الأمين في محور الحياة الثقافية، وليس في محور الحياة الفكرية، مع ان موضوعه يتنهي إلى غير القعة التي أخرج ضمنها؟ ولماذا كذلك أقررت مقاطع للتوزيع مؤسسة ثقافية معينة (دار الندوة)، وكان ما جاء فيها نص اعلامي مدحوق؟

الواضح كذلك ان الملف قائم على اسئلة محددة، ضمن كل محور، تُقلى على المعنيين. أحياناً كان يتم تعديل تلك الاسئلة، لا سيما بلغة إلهاء بعضها. لكن الملف، حين النشر، أظهر الأجوبة واسقط الاسئلة، بحيث بدت الآراء وكأنها مقالات قائمة بذاتها. هذه الطريقة، على ايجابياتها الكثيرة، خصوصاً بلغة ثلاثي التكرار الملل، أدت إلى ما يشبه تنقيح المتفوقين بحدود متوسوعة سلفاً، ومنظمة معينة من الاشكاليات، بحيث اضطروا إلى الاجابة عنها، مهملين، على الأرجح، أفكاراً ربا دارت في رأسهم ولكنها لا تتسجم مع الاسئلة المطروحة. من هنا بدأ أكثر من محور وكأنه جرد تجميع لأصاحيب صحافية أكثر ما هو رصد الاشكالية معينة وعلاوة لإيجاد حلول لها. وهذا لم يمنع العديدين، خصوصاً في مجال الفكر والشعر، عن التيشم بالفكرار، بما يشبه «الماتيسقو» السياسي أو الأدبي، الكامل الأوصاف. كذلك بعضهم انجرف إلى المقارنة التي تلالس حدود المبالغة.

كل هذا لا يعني انتقاصاً من قيمة ملف بيروت الصافية. ربا أننا من ملاحظات، إضافة إلى كونها صادراً عن وجهة نظر مختلفة إلى الأمور، إنما يندرج، كما قلنا، ضمن باب ثلاثي الثغرات، قدر الإمكان، مستقبلاً. للملف حاقيل البليض والحركة. كما انه يعكس، في جوانب كثيرة، من حقيقة الصراع الفكري والثقافي الذي صنع جدد بيروت. ولعل ما جاء على لسان الشاعرين أسني الحاج وشوقي أبي شقرا، يقدم أفضل دليل على الخلافات في وجهة النظر حول الموضوع نفسه. ما نُشر على لسان كل منهما يشكل ومشروع تسخين، كي لا أقول «خقانة» بينهما. ففي حين يؤكد أسني الحاج انه كان «بعد فؤاد كتمان، أو ما شجع أي شقرا في الخصيمات ونشر له»، وان أي شقرا، بغضل تلميح أسني الذي كان يترأس تحرير «ملحق النهار»، «مارس سلطة التحرير بحرية مطلقة» (ص ٤٤)، ترى أي شقرا بمجاهر التقيض إذ يقول: «أنا عملت ملحق النهار. كان أسني الحاج رئيس تحرير





الملحن وعمل الغانسي، وبالإسم، لأنه ابن الجيرة. أنا من وضع الصيغة، وليرسل من يرسل. أنا مطبخ الملحن والصانع من الداخل» (ص ٤٧). أو «تسي الحياض (...). كان صديق، والأيام فرقتنا. وهو يعرف ما قدمته له كصديق بما لم يقدمه صديق لأخره» (ص ٤٨).

وهذا ليس المظهر الوحيد لشروع «التسخين» في العلاقات الذي قد يحدده ملف «الناقد» عن ثقافة بيروت. وإذا استعرضنا الحوادث جميعاً لنلاحظ أن الملف رسم خريطة كاملة، بصراحة حياً وتورقة حياً آخر، لتحليلات المثقفين وحقائيقهم. فتمت شراؤه لمجاهلهم شعراء آخرين من مجاهيلهم، فرفضوا ذكرهم، ولو بالإشارة العابرة. وثمة واثيون مارسوا اللبقة نفسها على قاعدة «نجاهل المعارف». من هنا فإن الصراع السلي سيقتصر، على الأرجح، من ملف بيروت

الثقافة، سيكون بمثابة الحيط الرفيع الذي يشد بيروت الحاضر إلى بيروت الماضي. أولئك تكن الثقافة، في الشينات والسيهينات، عاور و«كاتوناته» وجزراً مستقلة؟ إن لم يكن العديد من الصفحات الثقافية يعيش على تأجيل هذا الصراع ونقل أخباره ونتائج؟ من وجهة النظر هذه ربما يمكن القول أن الوجه الحقيقي لبيروت الثقافة، يكمن في ما لم يظهله الملف صراحة. بتسيير آخر، أن جزءاً من الصراع الدائري في العتمة في حين استأثر الجزء الآخر، وعن غير حق، بكامل الأضواء. هذا الصراع، في النهاية، هو الوجه المشرق، وإن الخفي، لبيروت الثقافة. صراع المناقشة والتغيب أو التكريس. حتى الذين تمّ تغيبهم عن الملف فإنّه جزء لا يتجزأ من المشهد الثقافي لبيروت ١٩٩٢. إنها قواصة لعبة المناقشة الحادة التي، ولو استكانت حياً، فإنها تعود إلى الواجهة، كلما هبت عليها رياح ملف جديد، مشير للجدل، كما تعلت «الناقد» التي نكّلت أكثر من جرح كان الكثيرون يعتقدون أنه أوشك على الاندثار! □

«الناقد» العدد (٣٥ - أيار - ١٩٩١) ردأ على مقال للسيد جبل داري نشر في العدد (٢٧ - أيلول - ١٩٩٠) في مجلة «الناقد» تحت عنوان: «تحرافة دكتورية النقد الماركسي»، وكان ردأ على مقال للسيد أحمد الدريس عنوان: «دكتورية النقد الماركسي» نشر في مجلة «الناقد» العدد (٢٤ - حزيران - ١٩٩٠)، فقد قرأت المقال - «النقد الماركسي» - وفي ذهني أنه سيكون مناقشة لطيفة للغثرات التي اعني منها مقال جبل داري، وخاصة النطاش من اعتبار بعض الأمور المثيرة للجدل كأنها مسلّات لا يتحور حولها أي خلاف، وأشير هنا على وجه التحديد إلى موضوع العلاقة بين الماركسية والبيروتية، فهذا الموضوع شائك، يجتدل أراء متعارضة متناقضة، فقد بالإضافة إلى بعض الجمل الانعقابية التي قد تنسجم مع مزاج شاعر، لكنها غير ذات نفع كبير في دراسة نقدية تنشذ الكشف عن الحياض وتأكيد التواصل... .

لقد قرأت مقال السيد علي بامعان على الرغم من الأمل الكبير الذي سبّب لي، وذلك ليس بسبب اتجاهه الفكري، أو تصديقه لمقال جبل داري. وأبين هنا أن لا بدني أنه صديق - وإن كان الأمل نتيجة عدم التزامه بأية قاعدة نقدية على الرغم من اتهامه داري بأنه «يقفز فوق الحواجز ويتحول إلى ملاكم»، المقال يسمح بالتجريح الشخصي والأحكام الذاتية، ومن الواضح أن دفاع مكشوف عن أحد الدريس الذي يوصف من بداية المقال إلى نهايته بـ «الناقد» مع لي لم أسع بأية دراسات نقدية لتجزأه، في حين أن اسم «المسكين» محمد ذكروب - على الرغم من كل جهوده النقدية - يرد في مواجهة اسم «الناقد» الدريس هكذا: محمد ذكروب مجرداً من أية إشارة تعريف تليق بمستوى ما قدمه ويقدمه باستمرار.

لا أريد أن أتوقف أمام جميع النقاط التي أثارها السيد علي في مقالته، لأن ما أبغى من خلال هذا المقال شخص بصورة أساسية في الدعوة إلى إعطاء النقد حقه الكافي، واستجلاء مع ذلك ساجل فقط ملاحظتين أرى ضرورة التأمّل فيها:

١- نزعة التشفي:

هذه النزعة لا تخص السيد علي وحده، وإنما هي سمة عامة تميز - بمستويات متفاوتة - بالباشرة - كتابات حشيش من نقاد الماركسية الجدد، فقد وجد هؤلاء أن الفرصة قد حانت لتسديد الضربة القاضية إلى الماركسية «الترنجة» نتيجة الاختلافات المستمرة في الدول الاشتراكية، وتفاعل الأنظمة المختلفة الكبيرة منها والصغيرة مع بعضها، مع الملاحظة أن العين هنا لا يدعون إلى حوار ديموقراطي مسؤول لا يعتمد الأسس الأيانية القطعية، ولا يقر بجدوى أحداث

حالات معينة غالبية عن صاحب الموضوع المنقود نفسه؛ والنقد الجاد يلتزم عادة منهجية مناقشة الفكر من الداخل، فهو لا يفتّر بما يقترع على السطع، ولا يلجأ إلى الأحكام العامة في مناقشة قضايا دقيقة، ولا يسهّ جهود الآخرين بحجة قلم، كما أن الناقد الحقيقي لا يستعسر خلف صيغ اتهامية تمكّنه من التستر على جهله، ومثل هذا الناقد لا يدخلغ العواطف بقصد إذاعة الآخرين استجابة لتوجه ذاتي أو رغبة غير مشيئة.

إن موضوع اعتماد منهجية علمية في النقد هو موضوع على غاية الأهمية. نظراً لطبيعة الاشتكالية، وتداخله مع أمرجته من يشقرون له، ولعل حيوية موضوع كهذا تبرز بكل عفوانها حين نقرأ هنا وهناك موضوعاً «نقدياً»، نتعقد أنه سيمنّا أن كنا نبحث عنه، وتعدّل علينا الوصول إليه، لكننا غالباً ما نصعب بدوار ينشأ ما كنا قد حصلناه، فكيف السبيل إلى بلوغ ما نريد تحصيله...

هذه الحالة غمرتني وأنا أقرأ مقالاً بعنوان: «النقد الماركسي» كتب السيد محمد صالح حسين علي في مجلة

■ ولا نقد إلا إذا كان الناقد على استعداد لتعديل رأيه، فإن قال هذا حسن وذلك ردي» كانت عليه البينة، فلماذا كان الحسن حسناً والردى ردياً، ولا يكتفى منه أن يهض شفته استحقاقاً وأن يعطها استحقاقاً، فلو كان يستحسن نفسه ويستحسن لنفسه لما كانت به حاجة إلى توجيه الخطاب اليها، ولكنه يوجه إليها الخطاب، وإذا فاد أن يعي «كلامه ما يستطيع المشاركة فيه... .» ولقد كان الإهماء الرجائي على حثي حين قال: «انه لا بد لكل كلام تستحسنه ونقظ تستجده من أن يكون لاستحسناتك ذلك علة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل، وعلى صحة ما ادعيتنا من ذلك دليل» (ص ٣٣ دليل الاعجاز).

(في تعريب محمود: في فلسفة النقد، دار الشروق، بيروت ١٩٧١، ص ٣٣)

النقد في أصله حوار بين عقل منقذ وموضوع محمد ابتكره ذهن إنساني، وهو يهدف في المقام الأول إلى اكتشاف ما جاز الفاري، المعادي عن إدراكه، وتجبير ما يتضمن النص من طاقات دالة كاست قد تكون في



البيلة والاطلاق الصباحات الحاسوبية، حوار يطالب بإعادة النظر في الماركسية بغية تعميمها ما لها وما عليها، ويؤكد ضرورة التمييز بين الماركسية بوصفها فلسفة تدعو إلى استيعاب المستجدات المتلاحقة وقتل الاكتشافات الحديثة على غفط الصعد، والماركسية وقد تحولت إلى عقيدة سياسية متكلسة، وأهمية مثل هذا التمييز تنبثق من حقيقة جوهرية فحواها: إن الماركسية العقيدية الجامدة هي التي ثبت فشلها، وهي التي أسهمت باستمرار في تشويه الفلسفة الماركسية، وحدثت من إكثالياتها التجاوزية إلى الخلافة...

لكن التيار الجديد من متفندي الماركسية لا يولي أي اعتبار لمثل هذا التمييز، بل إنه يقدم - من وهي في معظم الأحيان - على خلط حسيب بين مفاهيم متباينة، ليسكن من تقرير أحكامه القطعية التي تدعو إلى تبذ الماركسية، وإدانته بالظلم، على أنه الرغ من أن أصحاب هذا التيار لا يتعلمون البديل المفلور... ف هؤلاء، يستخدمون مصطلحات ومفاهيم عدة وكأنها جميعها تشير إلى أمر واحد، فالاشتراكية، والاتحاد السوفياتي، والحزب الشيوعي السوفياتي، ومنظمة الدول الاشتراكية، وفلان من الناس أحد أعضاء أحد الأحزاب الشيوعية، والأجهزة الكهربائية والميكانيكية التي أنتجت في دولة اشتراكية ما، كلها مفاهيم ومصطلحات يمكن إدراجها لدى مشار اليهم في سياق دلالات مصطلح الماركسية.

في المقابل، ينظر هؤلاء إلى البرسرويكما وكأنها تدعو إلى العلاقات الرأسمالية، وإعادة الشيوعية، والسوق الحرة، والتشهير باليهود، والبيشزاة الإطالية، والهابزبرغ والجزيرة الأمريكيتين.

ربما بدأ هذا الخلط لأول وهلة فريدي تقع بالنسبة لرجب، لكن تدقيقاً أوثقاً بين أن يمثل الأرضية التي يقيم عليها هؤلاء أحكامهم، فجرائم ستالين، والتدخل السوفياتي في أفغانستان، والارواح السوفياتية غير المنقطة الصنع، جميعها في منظور أنصار هذا التيار دلائل دافعة تؤكد أن الماركسية قد انهارت، وما يبق لها جملعة حيلة يتبعه بالسباط على حد كبير العقيد (ص ٧٢)، الذي يؤكد أن وعالقة الماركسية يعتبرون الماركسية مرحلة تاريخية بالذات (ص ٧١).

٢. رؤية التفسير:

إن المرء الذي تسير به رغبته يتخذ عادة من الأحكام الانجشالية وسيلة ينشأ من خلالها آراء الآخرين، ويرتب بموجبها تصورات، وأمر كهذا جيد صعوبة جمة في الأقرار بتبعات عملية التفاعل الموضوعي مع الآثار المتعددة، على الرغم من أن هذه الخطوة تقفل المنهجية الأكثر قدرة على اكتشاف الحقيقة، فالماركسية قد تكون

انقضت بالفعل في ميادين عديدة، لكنها أفلحت دون شك في ميادين أخرى كثيرة، والتفند الموضوعي يستوجب دراسة الماركسية من الداخل، تناول الجوانب الإيجابية والسلبية فيها، بيان الثغرات الغائرة وتلك التي لها علاقة مباشرة بالبنية النظرية للماركسية نفسها، أما أن نتكفي ببعض الأحكام العامة الاجشامية، فهذا لن يمكننا من تأدية رسالة التفند الموضوعي الجاد أولاً، وسيلزنا ثانياً بالتحجج إلى الاسقاطات الذاتية ما دامت الوقائع لا تسعنا ولا تروي عطشنا الفريخي الزمن...

فالسيد العملي يجثى - تحت وطأة الانتماءات الهيمية عليه - أن يقدم داري على مباركة وخطة تولين اليهود الماركسيين الذين جازوا إلى فلسطين وعده الماركسة لا شيء إلا أنهم ماركسيون - ص ٧٢؛ ولعل المارقة واضحة بين موقف يلتفت بالشرق الماركسية ومتعمي بما يملأن أن الماركسية وقفت حتى جعله، وصوفت آخر - للشخص عينه في المثل نفسه - يتخذ نتيجة من نتائج سياسة البرسرويكما، ولكن مرة أخرى نلتصق بالماركسية، وكان ماركس وليس بلقرو هو الذي وعد اليهود بأقامة وطن قومي لهم في فلسطين؛ لا أريد الخوض في بحث معرفي يهودي ومن الجحش السوفياتي، ومن الحشوب الشيوعي السوفياتي تحديداً، وموقف ماركس بالذات من اليهود، فهو مسائي تحجج إلى الزيف من الأساطير، ولا أوجب في الوقت ذاته أن أكون نفسي عماياً بدين من أفعال الآخرين بغض النظر عن كونها صالحة أو خاطئة، إنما أودع في أن أفكر: إن هذا تزييف لمثل هذه التهم المشوية قد ولت، فالتسائل باتت واضحة للجميع، والنظرة الموضوعية الحادئة قادرة على اكتشاف الخفاقات، مسألة أخرى تؤكد هيمنة الرؤية على تفكير السيد العملي، فهو في مقالته يمدح أرنت فيشر، ويهفه بالكاتب الاشتراكي الذي لا يحمل أوماماً الماركسية (ص ٧٣)، وقد اعتمد التجميع مع هذا الوصف أراء عدة قلما فيشر في كتابه المعروف: «ضرورة الفن»، لكن هذا ليس بيت القصيد، فكل إنسان الحق في أن يعجب بأراء هذا الفكر، أو ذاك، بغض النظر عن موقعه الفكري أو الأيديولوجي - ويأخذ منها دون تشويه ما يخدم توجهه، ويسهم في تبيين الأرضية التي يقيم عليها أحكامه، أما أن يتقطع من كلام هذا الفكر جملة أو عبارة، يتزعمها من سيئاتها، فهذا جرم لا يمكن لأي شسار أن يستتر عليه، لأن أية عملية جراحية في ميادين فكرة الآخرين لا يمكن إلا أن تكون تشويهاً للفكر ذاته، فالسيد العملي في سعيه لتأكيد كون الرومانسية أكثر ثورية من الماركسية، يجري عملية قيصرة لوجهة نظر أرنت فيشر حول الرومانسية، فيخرج نتيجة تقول: إن الرومانسية هي

وحركة احتجاج مقمع وجداً وحماة عاطفة ضد العالم الرأسمالي البرجوازي، عالم الأوهام الضائعة... في غمرة نبوذه (ص ٧٣).

من الملاحظ أن العملي يتحاشى بصورة ذكية لافتة للنظر ما بدأ به أرنت فيشر حديثه، فهذا الأخير يقول: لقد كانت الرومانسية Le Romantisme حركة احتجاج، احتجاج مقمع وجداً وحماة عاطفة ويستاقص... ضد العالم الرأسمالي... (ضرورة الفن، ص ٦٣).

والتجميعاً مع هذا التحجج لم يتابع العملي قراءة الأسطر - وليس الصفحات - التالية التي خطها فيشر، مؤكداً النجاح الذي حقته الماركسية حيث أعققت الرومانسية، والتزاماً بالأمانة العلمية أرى ضرورة إيراد ما قاله فيشر حول هذا الموضوع، فهو يقول في الصفحة نفسها التي اقتطع منها السيد العملي بعض العبارات ما يلي: «ولم يكن ممكناً، إلا مع ماركس وأنجلز، التعرف على طبيعة ونشأ هذه الاكتشافات وفهم جدلية التطور الاجتماعي، وإدراك أن الطبقة العاملة هي القوة الوحيدة القادرة على التغلب عليها، فالوقوف الرومانسي فيمكن يوسع أن يكون إلا مبيهاً... الفع (ضرورة الفن - ص ٦٤).

ويطفي العملي قديماً في ممارسة قراءته الخاصة الحافظة في نفس أرنت فيشر، ليخرج نتيجة تدعب إلى أن هذا الأخير قد أصاب حين قال عن قلة من الناس غرغزودين: «أنه أكثر جدلية وقبعة من سائر البيانات الشيوعية» (مقال التفند الماركسي، ص ٧٣)، وهنا لا أرى أفضل من تثبيت المقطع الذي اجتزأ منه العملي هذه العبارة بكامله، وذلك كتبيل ببيان مدى الظلم الذي تعرض له فيشر على يد العملي.

ومرة أخرى لا بد من الاعتراف بذكاء السيد العملي، وقدترته على بتر ما لا يلزمه، فقد تجامل عن قصد العبارة للاتساقية في حديث فيشر، وهي: «وكل هذا يبدو، وما أراه هو أن هذه العبارة وليست تلك التي أودها السيد العملي هي التي تعمد موقف فيشر من نص العملي المشار إليه، وبالتوافق مع هذا التوجه لم يزل العملي أدنى اهتمام بالتوضيح الذي قدمه فيشر بعد قوله: «ومع ذلك، فكان ما كان، ولم يتطابق ما في الأذعان مع ما في الأعيان»...

وأخيراً لا بد من القول: إن ما تم تناوله من غلال ما تقدم القصر على بعض المثالب المنهجية عاني منها رد السيد العملي، لذلك لا أتوقف عند مسألات أخرى عديدة مصدرها قصور معرفي أو تجاهل حقيقة الأمور، وأخص بالذكر في هذا المجال الرأي الذي قدمه العملي حول خلفية موقف الماركسية من الدين... □